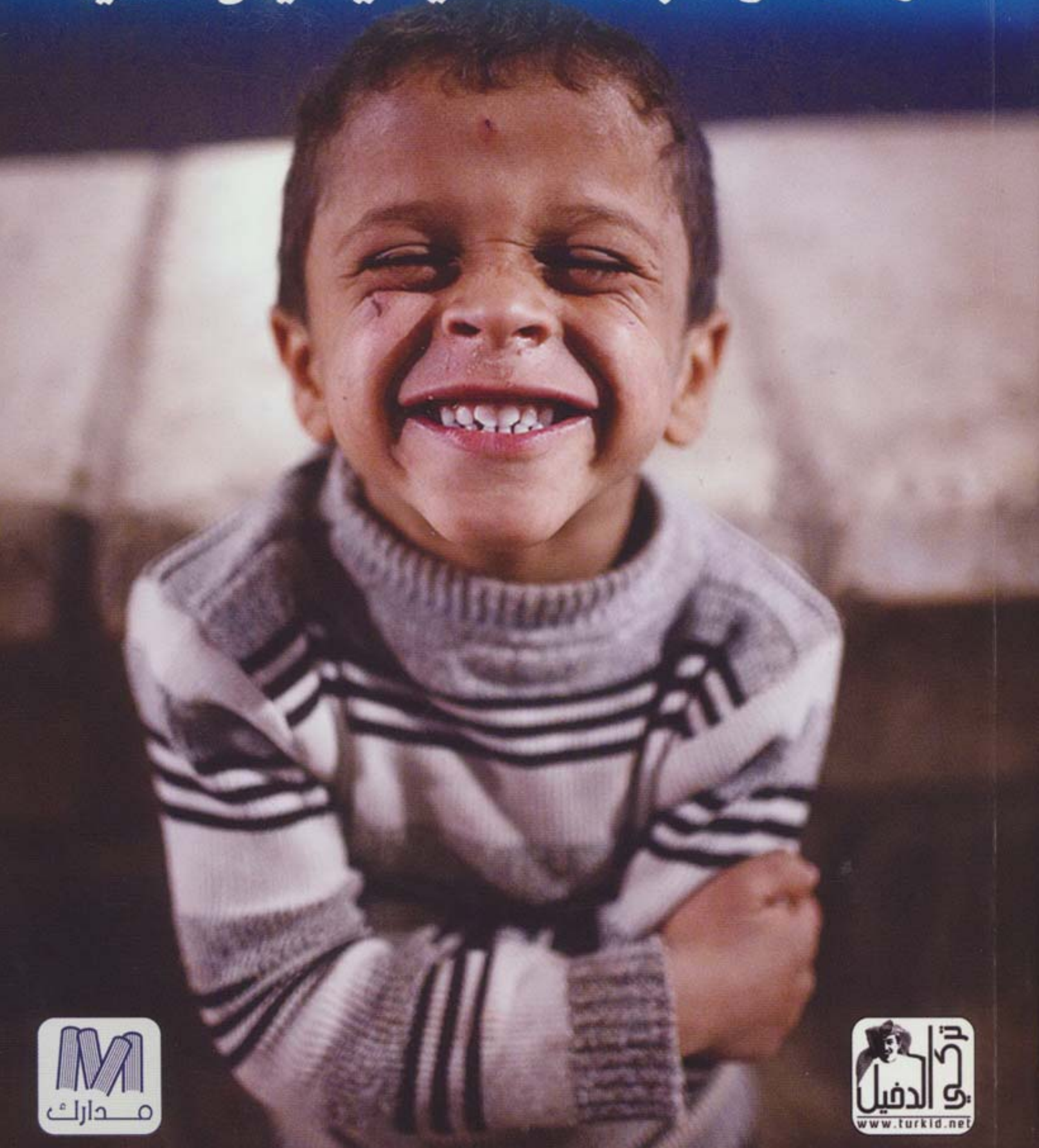
الطبعة الرابعة

تركي الدخيل

جوهرة في يد فحّام!

رحلات ومقابلات صحافيّة في اليمن السعيد



مدارك

تركي الدخيل
www.turkid.net

تركي الدخيل

جوهرة في يد فحّام!

رحلات ومقابلات صحافيّة في اليمن السعيد

الكتاب: **جوهرة في يد فحّام**
رحلات ومقابلات صحفيّة في اليمن السعيد

المؤلف: **تركي الدخيل**

التصنيف: **أدب الرحلات**
الإرهاب والتطرف - تنظيم القاعدة
اليمن والحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية

الناشر: **مدارك إبداع، نشر، ترجمة وتعريب**

الطبعة الأولى: سبتمبر (أيلول) 2010
الطبعة الثانية: يناير (كانون الثاني) 2011
الطبعة الثالثة: فبراير (شباط) 2011
الطبعة الرابعة: مايو (أيار) 2011

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-614-411-030-0

الكتاب: www.jawharabook.com
المؤلف: www.turkid.net

www.turkid.net

الكتاب متوفر على الإنترنت: مكتبة نيل وفرات. www.nwf.com

Madarek مدارك
Creating, Publishing, Translating & Arabizing إبداع، نشر، ترجمة وتعريب

Tel.: 00961 1 282075 - Fax: 00961 1 282074
Gharios Center. Forn Elchebbak. Beirut - Lebanon
www.mdrek.com - read@mdrek.com
P. O. Box: 50074 Forn Elchebbak - Lebanon
سنتر غاريوس، الطابق الرابع، فرن الشباك، بيروت - لبنان

الإهداء

إلى يمنيين قاسمناهم اللقمة والمحبة...

والأخوّة والطموح...

إلى معلمي المطبّق والمعصوب...

إلى البنّائين والمقاولين...

إلى التجار الحضارمة...

إلى كل أولئك الرائعين الذين عاشوا معنا...

بكل إيجابية...

وتشاطرنا وإياهم العيش والسلام...

تركي الدخيل

المحتويات

مقدمات... لا مقدمة!

الجدل الديني

الإيمان يمان الحارس

جدل المرأة

الأدب في الدين والسياسة

مقدمات... لا مقدمة!

سحر الصور...

قراءات في خارطة «اليمن السعيد»

«جوهرة في يد فحّام»

عبد العزيز الثعالبي

(1876 - 1944)

اليمن التاريخ... اليمن الذات

كانت رحلاتي إلى اليمن مصدر ثراء كبير، ليس لفهم التاريخ اليمني فحسب، وإنما فرصة لفهم الحالة العربية بأكملها، على اعتبار اليمن خزينة من أعظم خزائن التراث الإنساني، ومن أعرق زوايا الأرض، بكل ما تحمله من إرث ثقافي، لا يمكن اختصاره في هذا التقديم.

لم أستطع نسيان تفاصيل التفاصيل، -خاصة في رحلتي الأولى إلى اليمن-. كنت وقتها عريساً وعطر الزواج يفوح من رقبتي. يمّمت وجهي شطر «اليمن» لمهمة مهنية، ملبياً نداء الصحافة. التي لم أعص لها أمراً. كانت الرحلة الأولى بداية لصفحات كثيرة ستعلق في الذاكرة. عن تلك الأرض... عن اليمن السعيد.

اليمن، من البلدان التي ما زارها كاتب، إلا وسطّر عنها ما تيسّر له من الذكريات والأحاسيس، وحينما طالعتُ كُتب الرحّالة الذين زاروها، وجدتُ نصوصهم التي كتبت على أنها يوميات، تفيض شعراً آسراً، صيغت حروفه بخيوط من ذهب، وحينما قرأتُ بعض ما كُتب عن اليمن، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بدا لي أن سمة تاريخ اليمن السعيد، هي «اللاثبات»!

المقلق في اليمن، أنه البقعة التي تمدّ الأمم بالطاقة، ولا تستطيع إنعاش نفسها، لهذا بقيت الدولة الأكثر إثراءً، والأقل ثراءً، مع أنها ذات طبيعة غنية وساحرة. كان باستطاعة المجتمع اليمني الخروج من شبح الفقر، عبر فرصٍ كثيرة، لولا التوتّر السياسي، الذي لم يهدأ حتى اليوم، فمعادلة «الاتصال والانفصال» بين اليمنين، تؤرّق كل المتابعين. واليوم يسهم تمرد «الحوثيين» في بعثرة أوراق السلطة وإرهاق

الأمن الاجتماعي، وإعادة شبح الكوارث، مع مئات الألوف من المهجَّرين داخل بلادهم.

أكثر ما يجذبني للكتابة عن اليمن، هو ذلك الحراك الذي لا يُفهم، فقد بقي اليمن محور اهتمام العالم، وإلى اليوم لا ينقضي أسبوع، إلا ويحدث فيه ما هو جدير بالرصد والتغطية. لقد كانت رحلة اليمن منتصف التسعينات معجونة ببدايات تجربتي الصحافية مع جريدة «المسلمون». وهي أمدتني بمعارف إنسانية وخبرات مهنية، أدين لها بالكثير من الفضل.

اليمن... الاضطراب

كانت الثورة من أبرز الأحداث التي أثّرت في تاريخ اليمن، وليس عسيرًا أن تشاهد على وجوه الناس وعلى تجاعيد جباه المسنين آثار الاضطرابات السياسية، التي لم تهدأ. كأن كل يمني يعبّر عن تاريخه وهو يتحرك من مكانٍ إلى مكان، وكأن القرون التي مرّت على أرض اليمن، وما شهدته من أشلاء ودماء، ومن سجالات تدفقت دماً هي التي حدّدت شكل الصراع اليمني. لنقف على سبيل المثال مع صورة من النزاع تضمنها تاريخ الثورة اليمنية، وذلك حينما يحذر الزبيري من عبد الرحمن البيضاني.

يقول أحمد الشامي[1]: «ومن تحذيرات الزبيري رسالة طويلة أطلعني عليها

(1) أحمد الشامي، (1924-2008)، سياسي يمني ولد بالضالع. هاجر مع أسرته إلى صنعاء بعد احتلال الإنجليز عام 1928. تنقل في عدة مناصب من سكرتير لمجلس الوزراء، إلى قائم بالمفوضية اليمنيّة بالقاهرة، ثم وزيرًا في مجلس اتحاد الدول العربية. ثم عضو المجلس الجمهوري، ومناصب وزارية ودبلوماسية في عدد من البلدان الأوروبية، تفرغ بعدها للتأليف في مجالات الأدب والشعر والتاريخ.

العام الماضي مدير جامعتها الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح، وهي بخط الزبيري المعروف ومؤرخة يوم 20 يونيو 1962 أي قبل قيام الثورة في 26 سبتمبر بثلاثة أشهر فقط وفيها يقول الزبيري: «جاء عبد الرحمن البيضاني الذي عرفناه دائماً من الأذناب الأذلاء. أول ما عرفته بعد عام 1948 وسمعت عنه وأنا في باكستان وهو يعقد المؤتمرات الصحفية لحساب الإمام، ويبرر ذبح الأحرار، ويرميهم بالخيانة، ونحن الأحرار في الداخل والخارج نكابد الأهوال والآلام وظل كذلك ذنباً مخادعاً، عشر سنوات تقريباً، جاء هذا الرجل من ألمانيا فجأة وقد أصبح من الأحرار الكبار، ومن الأبطال وصار يتحدث عن بطولاته المزعومة الخيالية، وكانت الفكرة الوحيدة التي ينادي بها هي ثورة «القحطانية» ضد «الهاشمية» لأنه يعرف أن لها أنصاراً متحمسين يمكن أن يخدعهم، وقد خامرني الشك في موقفه لأني أعرفه مهرجاً ومخادعاً ولا يمكن الثقة به. هل يجوز أن يصير مثل هذا الشخص المخادع قائداً مؤتمناً على الرقاب والدماء، والتخطيط وتراث الأحرار، ورصيد الأحرار، وشرف الأحرار، بينما نحن مبعدون عن ذلك مكتوماً عنا كل شيء، بينما يتحول جاسوس الإمام إلى قائد للحركة الثورية ولم يمر عامان على ثورة 26 سبتمبر 1962 حتى قاموا بطرده بعد ارتكابه للمجازر وجردوه من الجنسية اليمنية»[2].

تعبّر تلك الرسالة عن تاريخ من النزاع السياسي اليمني، ولا يمكن فصل التأثير السياسي عن التركيبة السوسيولوجية للتكتلات اليمنية المتعسكرة قبائلياً وسياسياً، وعلى الرغم من الثورات العلمية والصناعية التي بلغت رياح تأثيرها عواصم العديد من الدول العربية غير أن طغيان العادات والتقاليد وثبات «اللاثبات» حال دون إفاقة الروح اليمنية من غفوتها.

---

(2) أحمد بن محمد الشامي، رياح التغيير في اليمن، ص 18-19.

الإخوان المسلمون ومقتل الإمام يحيى

لا يمكننا، عند الحديث عن اليمن، إهمال لاعبين كبار أسهموا في كتابة تاريخ اليمن الحديث، وإن كانوا قد بقوا على هامش تاريخها، أو هكذا أراد مؤرخو اليمن المعاصرون. لقد ساهم الإخوان المسلمون في نسج المشهد الثقافي والديني والسياسي في اليمن منذ نهاية أربعينات القرن الماضي، وعبر حزب التجمع للإصلاح، الذي تأسس أوائل التسعينات. بعد الوحدة أصبح الإخوان المسلمون حلفاء السلطة وشركاء حزب المؤتمر. كان الفضيل الورتلاني[3] الجزائري أحد أحجيات تاريخ اليمن الحديث، وقد شرح لنا الشامي علاقته الوطيدة بهذا الرجل المثير للجدل ووصفه بأنه مهندس ثورة 1948.

من المؤكد أن شخصية الورتلاني تستحق الدراسة بشكل أوسع من هذه اللمحة الخاطفة. ومن قبل كان الورتلاني من مؤسسي جماعة الإخوان المسلمين في مصر، انتدبه عبد الحميد بن باديس، وهو في الخامسة والعشرين، ليكون نائباً له وممثلاً لجمعية علماء المسلمين في فرنسا، فقام الفضيل بتأسيس نوادي التهذيب لتعليم اللغة العربية ونشر مبادئ الإسلام في صفوف المسلمين المقيمين في فرنسا، وافتتح عشرات النوادي في باريس وضواحيها، وأخرى في المدن الكبرى. ويذكر أن المفكر الجزائري مالك بن نبي، وهو من النخبة الجزائرية المثقفة في فرنسا وقتها، لم يخف استياءه من النفوذ الذي كان يتمتع به الورتلاني بمباركة من ابن باديس. يقول الشامي: «في اعتقادي أن العالم المجاهد الجزائري السيد

(3) الفضيل بن محمد حسين الورتلاني: (1900-1959)، عالم جزائري، من أعلام جماعة الإخوان المسلمين. ولد في بلدية بني ورتلان بولاية سطيف في الجزائر. حفظ القرآن الكريم، ودرس مبادئ العربية والعلوم الشرعية. درس على الإمام عبد الحميد بن باديس، وأصبح مساعدًا له في التدريس منذ سنة 1932، ومتجولاً لصالح مجلة الشهاب ومرافقًا له في بعض رحلاته، كتب في مجلتي البصائر والشهاب. تمكن منه الداء فصرعه في إحدى مستشفيات تركيا حيث كانت وفاته في 12 مارس/آذار 1959، دفن في تركيا، وفي عام 1987 نقل رفاته من تركيا ليعاد دفنه في مسقط رأسه بالجزائر، وفي عام 1980 دُشن مسجد بالجزائر يحمل اسمه تخليدًا له.

الفضيل الورتلاني هو الذي غيّر مجرى تاريخ اليمن، لأن ثورة الدستور سنة 1367-1948 هي من صنع الورتلاني»[4]. وما هو أكثر خطورة حقيقة الدور الذي لعبه الإخوان المسلمون وقتها في التمهيد لقيام ثورة 1948، وما قيل عن تدبير خفي لحسن البنا في مقتل الإمام يحيى آل حميد الدين[5].

ما يزال الحزب الاشتراكي في اليمن يمارس حضوراً في وقت انحسرت فيه الأحزاب الاشتراكية في معظم دول العالم. لقد تضامن مع التجمع اليمني للإصلاح منذ سنوات، والإصلاح يمثل الحزب الإسلامي الأكبر والأشهر في اليمن، ويأتي ائتلاف المعارضة هذا بعد عداوات شرسة، وبعد إقصاء وتكفير متبادل إبان حرب الانفصال عام 1994. منذ سنوات يجمع بين العدوين تحالف يضم أحزاباً أخرى في مواجهة حزب المؤتمر الحاكم.

الحدث اليمني بين صنعاء وعدن هو خليط غريب تتزاحم فيه التفاصيل الصغيرة والكبيرة، وتتعدد فيه الأسماء، بدءاً من «المؤتمر» و«الإصلاح» و«الاشتراكي» ومروراً بـ«السلفيين»، وأسماء أخرى صارت رموزاً تضيف إلى الثوب اليمني ثقوباً أخرى.

إن في اليمن خطوطاً متداخلة، هنالك همٌّ يتزايد، وحدس يطرح تساؤلات عدة حول ما بعد ذلك، والإجابات يكتنفها الغموض خصوصاً في مجتمع قبلي مسلح، وفي أجواء تغذيها الشائعات المدسوسة حول المؤامرات التي تستهدف الإنسان والوطن بغية إشغال البسطاء بمثل هذه الأفكار. اليوم يقف الإخوان المسلمون

(4) قاسم غالب أحمد، حسين أحمد السياغي، محمد علي الأكوع، عبد الله المجاهد السماحي، ابن الأمير وعصره، صورة من كفاح شعب اليمن: محمود إبراهيم زايد. من مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة في صنعاء. ط. 2004 ص 147.

(5) عبدالله حميد الدين. اغتيال الإمام يحيى حميد الدين،استعادة لحدث شارك فيه الإخوان المسلمون. جريدة الحياة 2004/2/27.

بثقلهم مع حركة التمرد التي يقودها الحوثيون، في الوقت نفسه الذي يدعمون فيه مطالب الانفصال في الجنوب التي تصاعدت وتيرتها في العامين الأخيرين. كل ذلك يضفي على قصة اليمن سجفاً غامضاً ومستقبلاً محزناً، وشبح كوارث إنسانية تخيم على هذا البلد السعيد البائس.

في زيارتي لليمن، عقب حرب الانفصال، كان السلفيون والإخوان المسلمون يتبادلون الشكوى من بعضهم البعض، فيشتكي الإصلاحيون من تنفير عامة الناس منهم من قبل السلفيين، فيما يشكو السلفيون من موقف بعض قيادات الإصلاح وشبابه من الحركة السلفية، متخذين من سيطرة «الإصلاح» على الجهات الدينية الرسمية - بحكم مشاركته في الحكومة - وسيلة من وسائل الضغط على السلفيين والتضييق عليهم في محاضراتهم ومساجدهم. القصة اليوم لا تختلف كثيراً.

سعادة اليمن... قصص الزواج

كحال العديد من الدول العربية، يعتبر الزواج في اليمن «ضربة حظ» حيث تقوم الأم أو الأخوات بالخطبة للابن أو الأخ، وهذه الصيغة الكلاسيكية للزواج في الخليج واليمن بالذات، هي الطريقة الرائجة للزواج حتى اليوم. يحكي الشامي في مذكراته مستعيداً صورة الزواج القديمة: «كان معظم النساء يتزوجن وهن لا يعرفن عمّن سيصبحن أو يمسين شريكات لحياتهم شيئاً، عدا وصفات الأمهات أو الأخوات أو الخاطبات، ولم تكن هي أيضاً الفريدة التي تزوجت وهي صغيرة السن فقد كان ذلك مألوفاً، ولم يعرف الناس بعد مشاكل الزواج المبكر، ويكاد المثل

المشهور «بنت ثمان وعلي الضمان» يدور على كل لسان»[6].

وربما لا يكدّر صفو «الزواج» في العادات اليمنية سوى العنصرية القبائلية، والتي تعتبر معياراً من معايير الزواج لدى الخليجيين عامةً، حيث يبحثون في أصول الخاطب وعن مصدر دمه قبل أن يتم السؤال عن أخلاقه، وبلغ الحال أكثر إيغالاً في تقديس البيت الهاشمي الحاكم، فقد كان «يحرم زواج اليمني بشريفة، وإن حدث هذا وجب التفريق بينهما، وأشاعوا الوهم بين الناس، أن من تجرأ على هذا الزواج التهم البرص أعضاءه، حتى جدران المساجد ومنابرها ترصع بأسماء الأسرة ومناقبها..»[7]، ولم يكن يسمح للنساء بأن يراهن إلا محارمهن، وتصل مخالفة العادات البسيطة إلى القتل والتشويه، فـ «غيرة الرجال عليهن جعلت منهن نساء أكثر توحشاً من أي مكان آخر حتى أنهن لا يجرؤن على الخروج إلى الشرفات لاستنشاق نسيم رطب»[8]، و«باستثناء عدد يسير من العامة لا تظهر النساء أبداً إبان النهار في طرقات المخا، وعند المساء يكون لهن بعض الحرية لتبادل الزيارات .. أما لباسهن فهو تقريباً نفس لباس كل نساء الشرق، وتجد بين ذوي المناصب فتيات فاتنات لا يزيد سمارهن عن الإسبانيات، وفي سيماهن من الرقة والجمال ما قد يثير المشاعر ويحرك الأهواء»[9]. وكأن الرحالة وجدوا آثار تاريخ أمة اليمن على سحنة النساء هناك، واختصرت وجوه الناس الآلام التي اختزنها التاريخ. في الآونة الأخيرة انشغل العالم بقصة طفلة لم تتجاوز التاسعة من عمرها، جرى تزويجها من ثلاثيني، شغلت القصة الرأي العام اليمني وناشطي حقوق الإنسان، وشغلت وسائل الإعلام العربية والدولية.

---

(6) أحمد بن محمد الشامي، رياح التغيير في اليمن، ص 68.

(7) ابن الأمير وعصره، صورة من كفاح شعب اليمن، مرجع سابق، ص 46.

(8) جان دي لاروك. أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة. ترجمة منير عربش. تقديم: توميسلاف كلاريك. (1708-1710 و 1711-1713) من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة في صنعاء. ط. 2004 ص 147.

(9) كتاب أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة، ص 67 و 68.

التعدد المذهبي...
هل انقرضت أخلاقيات التسامح؟!

مرّ اليمن بتاريخ من النزاعات الفكرية والسياسية، ناهيك عن الصراعات القبلية التي لم تهدأ نارها حتى اليوم، لكن التاريخ الملطخ بآثار التنابذ والتنافي لم يخف نماذج التسامح الجذابة التي مهما كانت ندرتها غير أنها موجودة. سرد الشامي ذكرياته عن والده «الزيدي» الذي يسكن في منطقة تحتكم إلى المذهب الشافعي، وكيف كان والده محل احترام وعطف من الشوافع قائلاً:

«سألت والدي لماذا يرسل يديه و«عبده» وخالتي «دنيا» يضمانها إلى صدريهما؟ فقال: نحن الزيود نسربل والشوافع يضمون وضحك وكأنه أعجب بهذه الملاحظة المبكرة»[10].

ومع تمرد الحوثيين الزيدية، وتصاعد مطالبهم وصدامهم المسلح مع الحكومة اليمنية، يشخص اليوم شبح الاحتراب الطائفي في اليمن وتتصاعد التحذيرات من اختراق شيعي إيراني يهدد نسيج اليمن، الديني المتسامح والمتجانس. قبل قرنين كتب كوركيل هانسن عن حالة الاختلاف الإثني في اليمن: «كما عملت هذه المخلفات على تشتيت الشعب اليمني وضرب وحدته الوطنية، فهذا شمالي وهذا جنوبي وهذا قبيلي وهذا مدني، وهذا زيدي وهذا شافعي ... ومع كل هذا ورغم كل هذه المخلفات فقد ظلت أصالة الشعب اليمني تناضل ضد هذه المخلفات وبقي بعض أبناء الشعب غير متأثرين بما حولهم من أضاليل».

(10) رياح التغيير في اليمن، ص 77.

اليمن... المعدن الثمين

«كل شيء عندكم -في اليمن- أثري عتيق يستحق خزنه في دار الآثار»[11] هكذا وصف أحمد فخري[12] اليمن وهو يتحدث للشامي، لكن فخري نفسه لم يخف ألمه من تعب اليمن، بل كان وصفه لحالة اليمن المريضة من أدق الأوصاف التي يقف عليها الباحث وهو يقرأ تاريخ اليمن القريب. يقول فخري:

«يا سيد أحمد كل شيء عندكم يحتاج إلى الإصلاح، اليمن تعبانة، اليمن تعبانة؛ إنها كما قال عبد العزيز الثعالبي:[13] جوهرة في يد فحام!»!

اليمن «جوهرة» ثمينة في يد فحام، يرتبط تاريخه بتاريخ الكثير من ثقافات الشرق، فهو يشبه الأواني الثمينة التي ضاعت أغطيتها، يشبه الأقمشة الراقية التي لم تجد من يخيطها، ذلك هو اليمن. استطاع اليمن «الثقافة» واليمن «الوجع» أن يؤسس فلكلوره الشعري والغنائي الذي يسحر كل من سمعه، لكأن اليمن «الفن» وهو في ذروة دلالته يعبّر عن أوجاع اليمنيين الذين يعانون في الأعم الأغلب من الاضطرابات والفقر، بكل صبر وتجلد، كما تعاني المرأة اليمنية من سطوة «العادات»، لدرجة جعلتها صامتة مختبئة لا تحسها ولا تسمع لها ركزاً. ولم يعبر عن آلام المرأة في اليمن أكثر من اليمنيين أنفسهم، بل والناشطات اليمنيات

(11) رياح التغيير في اليمن، مرجع سابق، ص 77.

(12) الدكتور أحمد فخري: (1905-1973)، عالم بالآثار المصرية. ولد في الفيوم، وتابع دراسته حتى أصبح أستاذًا لتاريخ الشرق القديم بجامعة القاهرة. له عدة كشوف أثرية في الواحات المصرية، وبضعة كتب بالإنجليزية، أحدها في أبحاثه الأثرية باليمن بعد قيامه بحفائر فيها، وكتاب عن «الصحراء الغربية والواحات»، بالإنجليزية أيضًا. دعي ليحاضر في السوربون، فبينما هو بباريس، أصابته أزمة قلبية، مات على أثرها. ونقل إلى مصر. كانت فيه دعابة، وله نظم شعبي.

(13) عبد العزيز الثعالبي: (1876-1944)، زعيم تونسي سياسي وديني. من القلائل الذين زاوجوا بين السياسي والديني، وبين المحلي والإقليمي والعالمي في عملهم. واجه الاستعمار بشدّة. ألف كتاب (روح القرآن)، ثم ترجمه إلى الفرنسية، ودعا فيه إلى الإصلاح والبعد عن الجمود، فأحدث ضجة بين أبناء الجالية الفرنسية في تونس.

بالذات حيث رصدن كل ما يتعلق باحتياجات المرأة، لكن ذلك الرصد بقي كما هو حال اليمن «جوهرة في يد فحام»! «وحين نمعن النظر في أحداث المجتمع اليمني اليوم تبدو لنا ملامح المرحلة التي تمر بها بلادنا، وهي كما تبدو مرحلة الوقوف السلبي أمام آلاف المشاكل والمخلفات التي تراكمت على مر الزمن وأخذت تفتك بالشعب اليمني»[14].

كرماء لأنهم ضيوف القدر

الإنسان العربي مشهور بالكرم. هذه معلومة يطرحها الرحالة عادة على أنها من المفاجآت بالنسبة لهم. لكن الجديد في طرح كوركيل هانسن أنه فسر سبب الكرم العربي واليمني بالذات، بدقة حينما كتب: «الإنسان العربي قنوع بالأشياء الصغيرة، والعرب يعيشون حياتهم كما يشربون القهوة قانعين برشفة منها بين الفينة والأخرى، إنهم ضيوف القدر».[15] كأنه يكتب رحلته شعْراً وهو يتحدث عن الكرم اليمني اللافت. إنهم يقدمون لك ما لديهم اليوم، بانتظار ما سيأتي من الغيب غداً، جرياً على المثل العربي الشهير: «اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب».

أما الرحالة جان دي لاروك فيصف كرم اليمن قائلاً: «كانت مراكب البلد تأتينا أفواجاً لتعرض علينا شتى أنواع المرطبات، وقد شعرنا من حينه أن العرب أناس طيبون، وأنهم متعودون -أكثر مما كنا نظن على- معاشرة الأجانب»[16]، تلك الاعترافات اللطيفة الحميمية تعبر عن ركيزة أساسية في التعامل مع الآخر

(14) من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص 15.

(15) من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص 285.

(16) أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة، ص 35.

وهي أن «السلوك» أسرع وسائل التعبير وأكثرها إثارة للمشاعر، والتعبير عن التسامح سلوكياً أصدق من التعبير عنه لغوياً، فالكثير من الكلام عن التسامح مع الآخر، لا يمكن أن يكون بنفس مستوى التعبير السلوكي عن حب الأخر، واليمنيون برغم شدة التدين التي تسود في الكثير من المناطق وعلى اختلاف المذاهب لم يمتنعوا من التعامل الراقي مع الرحالة الأجانب، بل وصفهم لاروك بأنهم اعتادوا على «الأجانب». وإلى اليوم واليمن تعتبر قبلة السياحة الثقافية أو «سياحة الآثار» بل هي الأبرز في الشرق كله.

تؤكد مذكرات الرحالة الغربيين أن الزوار كانوا يتلقون وصايا وتعليمات قبل زيارة اليمن. فملك الدانمارك كان يزود أفراد البعثة إلى اليمن بثلاث وأربعين نصيحة منها: «أن يتعاملوا مع المحمديين بحذر شديد واحترام دينهم وعدم التصرف مع نسائهم كما يتصرفون مع النساء الأوروبيات»[17]، و«على البرفسور فون هافن أن يلاحظ تقاليد وعادات أهل البلاد وخاصة تلك التي ألقى عليها القليل من الضوء الكتاب المقدس والقوانين اليهودية، وعليه أن يعمل ليكتشف -بقدر الإمكان- كل شيء عن العرب والإسرائيليين والسوريين، وأن يطلع على طقوس وعادات الوثنيين قبل الإسلام»[18].

اليمن... لعنة الخرافة

كل التجمعات البشرية التي تبتعد عن «لغة العصر»، ولا تستعين بالتفاسير العلمية، تكون أقرب من غيرها لسطوة الخرافة، بل تصبح تحت لعناتها، هكذا هي

(17) من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص (ز).

(18) المرجع نفسه، ص 88.

حال القرى العربية التي لم تستطع استيعاب المنتجات الحضارية الحديثة. كانت صدمة كبيرة أن تصحو فجأة لتشاهد كل النقلات الحديثة دفعة واحدة. وهذا بالضبط ما حدث في اليمن أثناء احتكاكه الأول مع منتجات الحداثة، خاصة إذا عرفنا أن «الأئمة كانوا يسيطرون على عقول الشعب بوسائل غريبة متوارثة، فكل إمام يملك الجن والإنس وتنطلق ألسنة الدعاة من حوله تروي عنه الكرامات، والشواهد على صحة إمامته، وليس من هذه الأدلة اختيار الشعب له، أو رضاهم عنه أو قدرته على إدارة دفة الحكم، ورغبته في الإصلاح ورفع الظلم عن الرعية، ولكنها قصص خيالية تؤكد اتصاله بالملائكة وتحكمه في الجن وسيطرته عليهم إذ هو سلطان الإنس والجن»[19].

بل «كان كل إمام يبدأ دعوته بإيهام الشعب بأنه يسيطر على الجن، ويتحدث إلى الملائكة، وأوهموا الناس أن الإمام يملك من الجن ما يملك من الإنس، فالإمام ملك الجن والإنس، ويسوقون الناس سوقاً بهذه الخرافات وأمثالها حتى كان المواطن العادي مطارداً بشبح الإمام أنى سار وأين كان، يعتقد أن عليه رقيباً يحصي حركاته ويسجل سكناته»[20]. «وما زلنا نذكر أن الأتراك عندما دخلوا اليمن للمرة الثانية مدوا شبكات سلكية للبرق فتناول الناس هذه الظاهرة بالتفسير فلم يكن أيسر عليهم من أن يرجعوها إلى الجن»[21].

حينما تعجز العقول عن إدراك طرق صناعة الأدوات التقنية الحديثة، تفسرها بما تملكه من خرافات ومعلومات، وإذا اختفى العلم فتش عن الخرافة. هكذا كانت حالة اليمن، مغلوبة بالتفاسير، التي يروّج لها بعض الأئمة والمشايخ، حالت

---

(19) ابن الأمير وعصره، ص 147.

(20) ابن الأمير وعصره، ص 49.

(21) المرجع نفسه.

دون فتح الأفق من أجل ترسيخ التفكير العلمي، أو طرح التفاسير العلمية الواضحة والحية.

اليمن السعيد... جدل التسمية

قيل «اليمن السعيد» اسم أطلقه الاسكندر على هذه البلاد، لأنه فشل في غزوها، وكان الرومان يسمونها «العربية السعيدة» وسماها المستر «فون هافن» في رسائله —باللغة الفرنسية- بـ«العربية السعيدة». يقول كوركيل هانسن: «كل شيء حتى ذلك الوقت كان يدل على أن هذه الأرض، التي يتهيأون لاكتشافها لأول مرة في تاريخها، هي حقاً أرض السعادة على وجه الأرض»[22]. «إن اليمن لا تزال حتى اليوم تُدعى اليمن السعيد .. لماذا؟ إننا لا نقترب كثيراً من الجواب حين نأخذ في اعتبارنا وضعها الجغرافي، فهي تتألف من جزأين: من تهامة، وهي امتداد طويل لسهل صحراوي يمتد على طول امتداد البحر الأحمر من ميناء المخا، في الجنوب، إلى ميناء اللحية في الشمال. ومن المنطقة المرتفعة وهي مناطق جبلية خصبة»[23]. «لقد تجاوزت عاصمة اليمن السعيد كل توقعاتهم فصنعاء كانت حقاً جنة الله على الأرض، وأكثر من ذلك»[24]. سميت بهذا الاسم-يعني اليمن السعيد-لأنها كانت البلد الغني الوحيد على الأرض[25].

تعددت التفاسير التي جعلت من اليمن «سعيداً»، لكنها لم تختلف على

---

(22) ابن الأمير وعصره، ص 226.

(23) المصدر نفسه، ص 387.

(24) المصدر نفسه، ص 400.

(25) أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة، ص 39.

أن اليمن هي أرض «الأحلام» بمعنى أنها المنبع الرئيسي للإلهام العربي في الفن والآثار. إنها البلد الذي تعبر تضاريسه عن تاريخ العرب، كما تحكي كل ذرة أو تهامة أو قرية مع الذات ومع الآخر، قصة نضال العرب وتوهانهم في الصحراء، روايات البحث عن المأوى. ترسم اليمن ملامح الحنين إلى البداية أو «البداوة» بعد أن عسرت «الحضارة» على الهضم. يعبر اليمن السعيد عن أزمة عربية باقية خارج الحضارة، وخارج البداوة، في اليمن يجد العربي نفسه حيث قصص البدايات التي لم تتغير. ذلكم هو اليمن السعيد، فاليمن تراثي بطبعه لم يستوعب الحداثة جملة وتفصيلاً.

وعن حمامات اليمن في القرن الثامن عشر يقول جان دي لاروك: «يجب الاعتراف بأنه لا يمكن رؤية أجمل من حمامات هذه المدينة فهي مكسوة كليًا بالرخام واليشب[26] وسقوفها قبب رائعة ذات منافذ للضوء ومزينة من الداخل بأروقة ترتكز على أعمدة جميلة»[27].

القات يُسعد اليمنيين أم يقتلهم؟!

الزائر اليوم لصنعاء لا يحتاج إلى مزيد معرفة، ليكتشف أن هذه المدينة العتيدة تتنفس التاريخ، غير أنك لتصل إلى هذا التاريخ، لا بد أن تمر على طيبة اليمنيين، وبساطتهم، وفقرهم، وتمكن القات، تلك النبتة الخضراء منهم.

عدت من اليمن بعد زيارته العام 2007، وقد آمنت بتسميته باليمن السعيد،

(26) حجر كريم يشبه الزمرد.

(27) أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة ص 39.

فأهلها مستمتعون بحياتهم، رغم الفقر والعوز أحياناً، راضون بحالهم، لأن خيار الرضى هو المتاح، وهذا من حسن تدبير المرء، كريمون رغم ضيق ذات اليد. في ربوع صنعاء، حيث السحاب والمطر، والفقر والكرم، والسماحة والتخلف، والسياسة و«القات»، تفتح عينيك على بلاد العجائب.

عندما دخلت فندق موفنبيك الحديث، قبل عامين، وجدت لوحة عند المدخل تؤكد على منع إدخال القات إلى الفندق الفخم، أو مضغه، أو تناوله، ومثل ذلك لوحات تجدها في ممرات محطة تلفزيون اليمن، وهي تشير إلى أن تخزين القات ممنوع في الغرف الفنية، كل هذا يدعوك إلى التساؤل: ماذا عن الغرف غير الفنية؟

وعندما كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة ظهراً، تجمع أمام مبنى تلفزيون اليمن العشرات، فسألت صديقاً يمنياً وأنا أمزح: هل سمح النظام بالتظاهر السلمي حول مبنى التلفزيون للعاملين فيه؟

كانت الاجابة: أن موعد الغداء قد اقترب، وإذا اقترب الغداء، فهذه دلالة على أن موعد جلسات المقيل (جلسات تخزين القات) قد حان وقتها، لتستمر حتى ساعات المساء!

اكتشاف الفقر في اليمن لا يحتاج الى مزيد جهد، ويكفي أن الموظفين يمررون كلمة سحرية تعني حاجتهم إلى أن تدس في يد أحدهم وريقات مالية، عندما يقولون لك: لا تنسَ حق «القات».

اليمنيون مُجمعون على الآثار السلبية لـ«القات»، وأنه ينخر في القدرات المالية الفردية والأسرية والمجتمعية، إلا أنهم يُصرون على أن النبتة الخضراء ليست مادة

مخدرة، وفي ذلك صنفوا مصنفات طبية، وبالتالي فهم في الغالب لايرون حرمة مضغ «القات» شرعاً.

تناول القات، هو قضية وطنية وقومية رئيسية، لا مساومة عليها، في اليمن السعيد، وإن ظهرت جمعيات ضد «القات»، ضمن مؤسسات المجتمع المدني، وإن تحدث الرئيس صالح في مقابلة تلفزيونية، محاولاً ثني اليمنيين عن المضي في هذه العادة، وبخاصة أن الرئيس أشار إلى أنه يتناول «القات» أحياناً! مع أن المحافظات الجنوبية، اليمن الديمقراطية سابقاً، تمكنت أن تحدّد تناول القات بقانون ثوري صدر في السبعينات، من القرن الماضي، يقضي بعدم مضغ القات إلا في يومي الخميس والجمعة. ثم أُلغي هذا التشريع بعد الوحدة اليمنية. كذلك فإن منطقة حضرموت لم تألف القات من قبل، والحضارمة بشكل عام لا يستسيغونه.

الشعب الذي يعيش معظمه تحت خط الفقر، كريمٌ إلى حد الإسراف، والأسرة التي تئن من الغلاء، لا تجد غضاضة في أن يكون القدرُ الأكبر من ميزانيتها مُستهلكًا في مضغ القات، من قبل الرجال والنساء، سواء بسواء، مثلاً بمثل، بل ويضاف إليهم الأطفال أحياناً!

يتكئ اليمنيون على أرائك مقيلهم، حيث مجالس القات، من منتصف النهار حتى أوقات متأخرة من الليل أحياناً، ويخوضون في حديث سياسي لا سقف له.

الجميع يتحدث في السياسة، الصغير والكبير، الغني والفقير، الوزير والغفير، الجاهل والمتعلم، ولدى كل يمني تحليل شخصي للأحداث الداخلية والخارجية، وتحتل نظرية المؤامرة حيزاً كبيراً من هذه التحليلات، فالإسلاميون يرون «أذناب الإمبريالية» يسعون في البلاد فساداً، واليساريون يرون «القوى الظلامية» يعودون

بالمجتمع إلى الوراء، والمثقفون يعتقدون أن «السياسي قَلَّص أدوار المثقف، خوفًا منه».

يندر أن تسمع في أحاديث النخب الموغلة في السياسة، والمتشربة بالأدلجة بين اليمين واليسار، أي حضور للحديث عن التنمية، أو التعليم، أو رفع مهنية المجتمع بعامة، أو المواطن اليمني بشكل خاص!

ومن العجائب التي لا تخطئها عين الزائر إلى اليمن السعيد، وتقع في مرمى سمعه، أن اليمن عن بكرة أبيه يتحدث عن «وجوب محاربة الفساد» ويجتمع على هذه المقولة كل يمني، لكنك تتساءل باستغراب: إذا كان الجميع يدعو إلى محاربة الفساد، فمن هم الفاسدون إذاً؟

ومن الطرائف أن ينتقد اليمنيون تعاطي القات ويكثرون من الحديث عن آثاره السلبية، لكنهم يقولون ذلك وهم مخزنون!

وفرة السلاح تحصد الأرواح

يعد الشعب اليمني في طليعة شعوب العالم في التسلح الفردي، إذ لا يكاد فرد بالغ في اليمن يخرج بدون سلاحه، سواء كان مسدساً خفيفاً أو رشاشاً آلياً، وفي أمثال اليمنيين: السلاح زينة الرجال! لا يشترط لحمل السلاح سوى استخراج تصريح بحمله، وهي عملية إدارية سهلة تشترط ألا يحمل السلاح في الاحتفالات التي يحضرها الرئيس، ولا في الدوائر الحكومية، مما أسهم في صعوبة ضبط الجانب الأمني نظراً لكثرة التسلح، الأمر الذي زاد في حوادث

إطلاق النار في كثير من المناطق، الأمر الذي يُسْفِرُ عادة عن سقوط عدد ليس بالقليل من القتلى، وهو أمر يذكي الصراعات القبلية، بطبيعة الحال.

فرضت الحكومة اليمنية بعض القيود على حمل السلاح في التجمعات العامة أخيراً، ولكن الخطر الماحق الذي يهدد كل يمني باستسهال حمل السلاح من قبل الأطفال والمراهقين واليافعين مازال شاخصًا. ولا جديد في القصة.

تلك هي المقدمة، التي أردت أن أفتتح بها كتابي عن اليمن، مقدمة أفرش بها للقارئ مشاعري كزائر لليمن، خاصةً وأن بعض اليمنيين الأصدقاء عتبوا عليّ حينما كتبت مقالات تلت زياراتي لليمن عن العادات أو التقاليد اليمنية. ظنوا أنني أكتب عن اليمن وأنا منفصم عنه، ولم يعلموا أنني أكتب عن اليمن كما أكتب عن جزءٍ من جسدي. أكتب عن اليمن عبارات متعددة ناقدة ومادحة، تتراوح بين المشاعر والشعر، بين الأحداث والحوارات، وفي كل تلك الكتابات محبة لا تهدأ لليمن «الخزّان»، اليمن اللغز، اليمن الجوهرة التائهة الضائعة، منذ قرون... في أيدي الفحّامين!

لماذا جوهرة في يد فحّام؟!

بيني وبين اليمن مديونية وجدانية عصيّة على التفسير، وكان للثراء البصري المحفوظ في مخيلتي أكبر الأثر في دفع هذا الكتاب إلى الإصدار. ثم وجدتني مضطرًا لأن أكتب مقدمة طويلة أشرح بها المناخ الذي تحرّكت فيه داخل اليمن.

لم تكن تسميتي للكتاب سوى التعبير الأكثر نصاعة عن عمق الوشائج التي شدت قلبي إلى اليمن السعيد.

كان اختياري لعنوان الكتاب «جوهرة في يد فحّام»، وسيلة للتعبير عن فكرة رئيسية، وهي أن اليمن الجوهرة تنازعت مصائره أيادي الفحّامين.

هو عنوان مأخوذ من عبارة عبد العزيز الثعالبي، إنه تعبير عن حبي لليمن الجوهرة من جهة، ونقدي لأيادي الفحّامين من جهة أخرى.

هل وُفِّقت؟!

أتمنى...

الحكم لكم... والمحبة... ورجاء العذر.

تركي الدخيل

أبو ظبي

24 مايو (أيار) 2010

الجدل الديني

«كل شيء عندكم - في اليمن - أثري عتيق يستحق خزنه في دار الآثار»

أحمد فخري

(1905 - 1973)

الشيخ عبد المجيد الريمي

رئيس مجلس أمناء مركز الدعوة في صنعاء

2007-9-14

الشيخ عبد المجيد بن محمود بن علي الهتاري، رئيس مجلس أمناء مركز الدعوة بصنعاء، وإمام وخطيب مسجد سعد بن معاذ بالعاصمة اليمنية. داعية يمني، وله مواقف في السياسة والحزبية والديموقراطية بشكل عام، أصدر في ذلك كتباً منها: «الحزبية ما لها وما عليها»، و«مفاسد الديموقراطية»، إضافة إلى «نظرات في مسيرة الحركة الإسلامية في اليمن».

ولد الشيخ عبد المجيد الريمي في العام 1956 بمحافظة ريمة -بني هتار- وكانت نشأته هناك، ثم انتقل إلى الرياض ليتم القرآن في مدرسة ابن سنان لتحفيظ القرآن، ودرس على أيدي الشيوخ عبد الله بن جبرين ومحمد قاسم ومحمد ذاكر.

بعد عودته إلى اليمن عام 1978، ذهب إلى الداعية السلفي الشيخ مقبل الوادعي في مدينة صعدة، ومكث عنده مدة قليلة، ثم ذهب إلى وادي كنى في -بني عمرو- عاش هناك يدرّس الطلبة في الوادي مدة سنتين تقريبًا، ثم ذهب إلى الشيخ عبد المجيد الزنداني في «خمر» شمال صنعاء، وكان في تلك الفترة يقوم بالدعوة في منطقة حاشد، وبقي هناك سنوات عديدة قضاها في الدعوة والتعليم، إلى أن تعرف على الشيخ محمد سعيد العنسي، وانتقل معه إلى جامع الدعوة بصنعاء.

في هذا اللقاء فتحنا ملفات عدة مع الشيخ الذي ينتمي إلى التيار السلفي، منها موقفه من السلفيين أنفسهم، فهو يتهم بعض أجنحة هذا التيار بالعمالة، ثم موقفه

من الديموقراطية، التي أنكرها في كتابه، ثم بدا أنه أجازها في شريط مسجل فيما بعد. وكان عضواً في مرحلة سابقة في الهيئة العليا لحزب الإصلاح، ثم انسحب بعد ذلك منها، فهل تغير الشيخ عبد المجيد الريمي خلال بضعة عشر عاماً، أم تغير الناس عليه؟ ما هي هذه التحولات، وإلام يعزوها؟

للشيخ آراؤه في طريقة اختيار الحاكم، وفي كيفية الخروج على الحاكم «الجائر»، وكذا في تكفير الحكام والحكومات، وفي ما قاله الشيخ مقبل الوادعي في شريطه الذي سماه «البراءة من الحزبية»، على الرغم من علاقة وطيدة جمعت الريمي والوادعي في إحدى المراحل. ثم لماذا أيد انتخاب الرئيس علي عبد الله صالح الذي انتخب عبر الصناديق على الرغم من موقفه المناهض للديموقراطية، وأخيراً موقفه المناهض لتمرد الحركة الحوثية في اليمن، والذي يرى فيه البعض تفتيتاً لوحدة المسلمين، وهو موقف يخالف موقفه من الزيديين عامة.

هذه الموضوعات وغيرها طرحناها على الشيخ عبد المجيد بن محمود بن علي الهتاري الريمي، وكان اللقاء.

هل الديموقراطية كفر؟

تركي الدخيل: في بداية التسعينات أصدرتم كتاباً تنتقدون الديموقراطية، ولكم موقف مضاد من الحزبية، لكنكم أصدرتم شريطاً أسميتموه شريط «الشخصية الإسلامية»، قلتم فيه إن الحزبية والتحزب مما أثنى عليه القرآن، استناداً إلى قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِ ﴾ (المجادلة: 22)، كيف يمكن أن نجمع بين موقفكم المعارض من الحزبية، وبين ما قلتموه في شريط الشخصية الإسلامية؟

عبد المجيد الريمي: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أما بعد... ما يزال الموقف من الديموقراطية هو الموقف نفسه، لما تتضمنه الديموقراطية والحزبية من مضار ومفاسد عقدية واجتماعية وأخلاقية، وهذه النظرة ليست تعبيراً عن رأي شخصي، وإنما هي نتيجة لما يُفهم – على الأقل من وجهة نظري أنا – من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، من نصوص تعارض هذا المبدأ.

■ إذاً أنتم تصلون بحكمها إلى التحريم؟

– هذا هو الذي يظهر، لأن القرآن الكريم ينص في كثير من نصوصه على وجوب تحقيق الحاكمية لله سبحانه وتعالى، مثل قوله جل جلاله:
﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ (الشورى: 10) ومثل قوله تبارك وتعالى:
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (النساء: 65)، ومثل قوله جل جلاله
﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ (الأنعام: 62).

إلى غير ذلك من الآيات، والديموقراطية تعطي الحكم للشعوب والجماهير في اختيار أشخاص، سواء في السلطة التنفيذية أو السلطة التشريعية، لا تتحقق فيهم المواصفات الشرعية.

■ إذًا هل الطريقة الأنسب، في تقديركم، أن يتم مثلاً تولي الأشخاص بالاستيلاء على الحكم بالقوة؟ أم ما هي الوسيلة الأنسب، إذا كنتم ترون أن الديموقراطية مفسدة؟

- الأصل أن ولي الأمر الذي ينطلق من شريعة الله عز وجل، ينظر هو والعلماء في مواصفات أهل الشورى، ومواصفات أهل الولايات بشكل عام، والشروط التي اشترطها الشرع فيهم من العدالة والأمانة والتقوى والورع والمعرفة بحسن التصرف فيما يوكل إليهم، ينظر العلماء والحكام في شروط هؤلاء ثم يرشحونهم لهذه الأعمال، لكن نرجع إلى السؤال الذي طرحته أولاً.

■ موقفكم من الديموقراطية!

- الموقف هو هو، والحزبية كذلك، وأما ما ذكرته أنا في شريط «الشخصية الإسلامية» من قضية أن الله أثنى على الحزبية، فهذا خلاف كان سلفياً، أي بين السلفيين.

■ هل كان هذا هو خلافكم مع الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله؟

- هو ظن، أو اعتقد أن أي تجمع، أو جمعية، أو أي شيء، يعتبر حزبية محرمة، فأنا ذكرت أن الحزبية لا تُذم لذاتها، وإنما على حسب المبادئ والقيم التي قامت عليها تلك الحزبية، فقلنا مثلاً إن الله عز وجل، لا شك أنه في القرآن مدح الحزبية وذمها، أولئك حزب الله، أولئك حزب الشيطان، فدل على أنه لم يكره لفظة حزب -الحاء والزاي والباء- لمجرد هذا، ولكن للخلفية العقائدية/العقيدية والأفكار...

■ **هل هذا يعني أنكم تميلون إلى تعيين الحاكم مثلاً عبر مجلس الشورى، وليس انتخابه من قبل الناس أو الشعب؟**

- هذا هو الأصل، أن ولي الأمر هو الذي يختار، وقد يتخذ وسيلة، أو طريقة، أو لجنة، أو شيئاً من هذا القبيل، يختارون أشخاصاً.

■ **لكن ألا يُترك الأمر للشارع، لصناديق الاقتراع؟**

- السبب أن الشارع لا يعرف، لا يدرك، المواصفات الشرعية، وتدخل الحزبية والعصبية والمذهبية، وتدخل الفرق الأخرى، التي لها آراء تتعارض مع الإسلام، كالفرق الضالة من الرافضة والباطنية، والأحزاب العلمانية وغير ذلك.

■ **هل رفضكم للديموقراطية يصل بكم إلى تكفير من يستخدم النظام الديموقراطي؟**

- هذا مبني على معرفة الشرع أولاً من قبل هذا الشخص، ونقاط الخلاف والوفاق بين الديموقراطية والشريعة، ومعرفته بحجم المخالفة التي في الديموقراطية، فإن كان يجهل المخالفة، فالأصل هو الإسلام.

■ **لكن إذا كان يعرف المخالفة؟**

- إذا كان يعرف حجم المخالفة، وتعمد الإتيان بهذه الأحكام، فقد وقع في مناقض لأصول الدين، مناقض الحاكمية، مناقض للتشريع، لأن التشريع حق الله عز وجل.

■ **لذلك تصفون النظام الديموقراطي في مؤلفاتكم بأنه نظام طاغوتي؟**

- الطاغوت لفظ عام يُطلق على كل ما تجاوز العبد حده من معبود أو متبوع

أو مطاع في غير طاعة الله عز وجل، فقد يكون كفراً وقد لا يكون، ليس من اللوازم إذا أطلق الطاغوت أن يكون مقتضاه الكفر.

ضوابط التكفير

■ إذًا أنتم لا تكفرون أحداً ممن يلجأ أو يشارك في العملية السياسية في الأنظمة الديموقراطية؟

- يعني شخص، وخاصة ممن تأول أن الديموقراطية هي بمعنى الشورى، أو بهذا المعنى، فالأصل أن الكفر يُدرأ بالتأويل ويُدرأ بالاجتهادات، التي تُبنى على المصالح والمفاسد، وليس تفضيل هذا الحكم على شرع الله عز وجل.

■ لكن ألا تعتقدون أن وجهة نظركم هذه التي ترونها يمكن أن تكون أرضية لتكفير الحكومات في العالم الإسلامي؟

- لسنا مسؤولين عمن يتجاوز الحدود الشرعية، أو عمن يتجاوز القواعد والضوابط الشرعية، فينطلق في التكفير، نحن عندما نضع، أو نتكلم حول هذه القضايا في الوقت نفسه نكون قد وضعنا وبيّنا الضوابط التي في قضية التكفير، وأنه ليس كل واحد يمكنه أن يصدر هذه الأحكام، أحكام التكفير، وحتى لو صدر الحكم أو الرؤية على فعل أو عمل أنه كفر، فليس بالضرورة أن يكفر فاعله، هذا أمر معروف من عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

■ هناك كثير من التيارات الإسلامية التي دخلت في العملية الديموقراطية، ترى بأن دخولها هو من باب استخدام أخف الضررين، حتى لا تنفرد أحزاب -في قولهم- غير إسلامية مثلاً بالبرلمانات، أو بمجالس الأمة في الدول الإسلامية، كيف تتعاطون مع هذه الرؤية؟

- هذا هو الأساس في دخول بعض الحركات الإسلامية في هذا المجال، لكن هل بقوا على هذه الرؤية؟ أم حدث تطور في الرؤية إلى حد أن يعتبروا أن النظام الديموقراطي هو الشورى، وأنه ليس من باب دفع مفسدة أكبر بارتكاب مفسدة أصغر؟، لم يصل إلى هذا الأمر أو ما انتهى الأمر إلى مثل هذا.

■ بل تجاوزه إلى أكثر من ذلك، لو توقفوا عند هذا ما كانت هناك مشكلة.

- لو دخل شخص في مجلس البرلمان بقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الناس -حين تقع مخالفة للشريعة- إلى وجه المخالفة للشريعة، فهذا قد يكون محل اجتهاد أو نظر بين العلماء.

■ رغم أنكم في انتقادكم الديموقراطية أو الحزبية، تصفون النظام الديموقراطي بأنه نظام طاغوتي، وفسرتم قبل قليل ما تريدونه بهذه اللفظة، وتصفون النظام الديموقراطي بأنه تحاكم إلى الطاغوت، إلا أنكم في مقابلة أجريت معكم قبل أشهر في جريدة أخبار اليوم، أثنيتم على الحكومة اليمنية، رغم أن النظام في الحكومة اليمنية نظام ديموقراطي، كيف يمكن أن نجمع بين موقفكم هذا، وبين رأيكم ذاك؟

- لا تعارض، لأن النظام الديموقراطي -من حيث هو- أحسن حالاً من النظام الديكتاتوري، النظام الديكتاتوري الذي يكمم الأفواه ويمنع الناس من الكلام.

■ لكن القول برأيكم قد يؤدي ـ في آراء معظم الذين يناصرون الديموقراطية ـ إلى تغذية الأنظمة الديكتاتورية، أليس كذلك؟

- إذا حدث إكمال للصورة، كأن يقال مثلاً إن النظام الديموقراطي أحسن حالاً من النظام الديكتاتوري الجبري الذي يكمّم الأفواه، ولكن هذا النظام الديموقراطي لا يمثل المقاصد الشرعية، ولا يمثل طبيعة النظام الإسلامي، ولا يمثل صورة العدل الإلهي الذي أراده الله عز وجل من خلال ما شرعه في كتابه وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن حنانيك، بعض الشر أهون من بعض، هذا هو المنطلق.

■ أنتم قبل قليل تحدثتم عن أنظمة ديكتاتورية تكمم الأفواه، بينما ترون في الوقت نفسه بأن النظام الديموقراطي هو نظام فاسد، مخالفوكم يرون بأنكم لو توليتم مثلاً سلطة، أو توليتم الرأي، ستكممون أفواه المختلفين معكم، وأن هذا شكل من أشكال الرأي الواحد الذي يمكن أن يسود، كيف يمكن أن نجمع بين القولين؟

- الذي ينظر في طبيعة الخلاف يجد أن بعضه خلاف بين حق وباطل، بين خير وشر، بين عقيدة الإسلام وبين ما يضادها.

■ لكن الجميع يرى أنه على حق يا شيخ، ليس هناك من أحد يعتقد برأي ويقول إنه على باطل!

- لكن أنا أقول إن هناك ميزاناً فيه مرجعية، فيه حكم، لمعرفة المحق من المبطل، ليس كل خلاف يكون مرفوضاً، ولا كل خلاف يكون مقبولاً، كما قال: وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر فالخلاف في دائرة العلماء، وفي دائرة الدعاة إلى الله عز وجل والفقهاء، وكما ترى فالتاريخ الإسلامي مملوء بالخلافات المختلفة في هذه القضايا، لكن هناك معروف

وهناك منكر، ونحن مأمورون شرعاً أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، فحيثما يكون الرأي منكرًا، كأن يكون فيه تطاول على الشريعة، على الرب تبارك تعالى، على المعتقدات، على الثوابت، هذا ما يجوز أن نقول له رأيه ونقره على ذلك، فما دام ملتزماً بالشريعة، فالشريعة تلزمه بأن يتأدب مع الله، مع شريعته، مع رسله، مع ثوابت الدين.

■ هل تعتبرون أن الذين يشاركون من الإسلاميين في النظام الديموقراطي يسمحون بهذه التجاوزات التي تفضلتم بها؟

- ليس كل من دخل بهذا يسمح بذلك، ولكن مع مرور الأيام أحياناً تصل إلى مثل هذا، أنا سمعت قبل أيام في الجزيرة تقريباً كلام يتحدث عن أن الله أذن للناس بأن يكفروا، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف 29). هذا - في الحقيقة - وضع للآية في غير موضعها، وإلا فما معنى الآيات التي تأمر الناس بالدخول في الإسلام وتكفر المخالف، عشرات الآيات ومئات الآيات تكفر المخالف، كما في قوله سبحانه وتعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: 73)، وأيضًا:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 75).

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها تكفير الرب تبارك تعالى لليهود وتكفيره للنصارى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③﴾

(الكافرون: 1-3)، وكذلك الآية:

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: 41).

■ لكن هل التكفير يختلف عن إرادة الشخص في أن يؤمن أو يكفر، أنت قد تكفّره لكن هو له مشيئته في أن يختار ما يريد أليس كذلك؟

- هذا صحيح، لكن في ظل النظام الإسلامي، ليس له أن يظهر ما يريد من الكفر، ليس له أن يجاهر؛ وإلا كان المنافقون سيظهرون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ببرامجهم وآرائهم ومذاهبهم، ويعارضون الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعارضون صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخلاف مع «الإصلاح» و «الوادعي»

■ أنت كنت عضواً في مرحلة سابقة في الهيئة العليا لتجمع الإصلاح، جمعية الإصلاح في اليمن، أو تجمع الإصلاح، وهو حزب بطبيعة الحال، ثم انسحبت بعد ذلك من الهيئة العليا لتجمع الإصلاح، وأصبحت تنتقد بعد ذلك الإصلاح انتقادات علنية وأحياناً عنيفة، أيضاً كنت مقرباً في خطكم الفكري من الشيخ مقبل الوادعي، ثم أصبح بينكم مفاصلة وردود، أحياناً يصفها البعض بأنها عنيفة أيضاً؛ هل تغير الشيخ عبد المجيد الريمي خلال بضعة عشر عاماً، أم تغير الناس عليه؟ أم ما هي هذه التحولات، وكيف تعزوها في تقديرك؟

- في التسعينات، من القرن الماضي، لما أُعلن عن الأحزاب وإنشاء الجمعيات وغير ذلك من منظمات المجتمع المدني، بسبب دخول البلد في الديموقراطية ونظمها، استُدعينا إلى بيت الشيخ طلاب الحسين الأحمر.

■ مَن استدعاكم؟

- الإخوة العلماء، الدعاة، فحضرنا على أساس أنهم كانوا ينوون إنشاء حزب، ونحن لم يكن عندنا معرفة بالمآلات، وبما سيكون الحال، وكان الأمر هو

كيف أن الدعاة إلى الله عز وجل يواجهون هذه المرحلة، وكيف ينبغي أن يتعاونوا وكذا..! فلم يكن عندنا مانع في هذا الإطار.

■ وافقتم على الدخول في الحزب؟

- لم تكنِ صورته أنه حزب، ولم تكن الصورة أنها حزبية، كانت هناك دعوة لحشد طاقات العلماء والدعاة، وكذا للتعاون في ظل هذا الوضع.

■ كانت تسمى «الهيئة العليا لتجمع الإصلاح»؟

- لم تكن كذلك، هذا جاء لما خرج البيان، ورأينا هذا. كنا قد دعينا إلى بيت الشيخ فوجدنا الكلام عبارة عن حوارات ولقاءات، ولم يكن هناك إعلان عن إنشاء هذا الحزب، حتى أننا قلنا لا يكون حزباً، واشترطنا أن لا يكون حزباً، فبعدما ظهر البيان والهيئة التأسيسة، نحن بعد ذلك انسحبنا، لكن لم نعلن الانسحاب منه، وإنما اشتغلنا بما نراه أنه نافع ومفيد في التربية والتعليم والدعوة إلى الله عز وجل.

■ كان انسحاباً هادئاً؟

- نعم، بدون مشكلة، وأيضاً حتى قولك أنه أحياناً يقع هجوم، هو هجوم أحياناً على الأفكار وليس على الأشخاص، والأفكار أحياناً تستدعي أن تبين للناس خطورتها، فقد تُستعمل بعض الألفاظ، وقد يكون هناك خطأ في الأسلوب وفي النقد لا نبرئ أنفسنا.

أما قضية الشيخ مقبل، فهو شيخ محدّث، أولع بعلم الحديث، ويحب أن ينشر علم الحديث، ومشغول بالعلم، فقلنا له: يا شيخ لو توسع الأمر والدعوة في قضية إنشاء العمل الخيري، والجمعيات الخيرية وما أشبه ذلك، طبعاً هو كان

يخاف في تلك الفترة بالذات حين أُنشئت الأحزاب أن تكون الجمعية أيضاً حزباً سياسياً، فكان موقفه هو المنع، ونحن أيضاً قلنا نستطيع أن نخالفك في هذا، ولا مانع من إنشاء جمعية خيرية، ونحن نفهم ماذا نفعل، وماذا نبدي ونعيد من هذه الأمور.

■ لكن الشيخ مقبل وصفكم بأنكم خنتم السلفية وانشققتم عنها؛ أنتم أيضاً في أشرطة وصفتموه بأنه ضيق الأفق، وأنه ليس لديه مدارك واسعة؛ إذاً ليس الخلاف خلافاً هادئاً مثل ما تفضلتم...

- الحقيقة أن الشيخ هو الذي خرّج الخلاف إلى الساحة بشريط سماه «البراءة من الحزبية»، وذكر في ذلك جمعية الحكمة، فقلنا كيف يتبرأ منا؟ لم نأتِ بشيء يخالف أصول أهل السُّنة والجماعة، الجمعية الخيرية عندنا فتوى فيها من ابن عثيمين، ومن ابن باز، بل ومن الألباني، وقد جلسنا مع الألباني وحاورناه في هذا، ولم يكن عنده اعتراض على إنشاء الجمعية، فقط على إيداع المال في البنوك، وقلنا هذا أحياناً قد يضطر إليه بعض الناس، حتى ولو لم يكن في حزب أو في جماعة، أحياناً النظام يفرض ضرورة أن يكون هناك تأمين أو شيء من هذا القبيل في البنك، فقلنا هذا، ووجدنا الشيخ نفسه - الألباني - مؤمّناً على سيارته، المقصود أن هناك مصالح عظيمة من إنشاء الجمعيات، من خلال الأعمال التي تقوم بها الجمعيات، كبناء المساجد، كفالة الأيتام، والدعوة، وطباعة الكتب وما أشبه ذلك، وما ينبغي أن نتوقف عن هذا العمل من أجل أمور بسيطة.

الولاية العامة يجب أن تُصان

■ أنتم أشرتم إلى أن الشيخ انتقدكم في جمعية الحكمة واعتبرها حزباً، أنتم أيضاً أشرتم في بداية المقابلة إلى مفاسد الديموقراطية، وتعتقدون أنها مفاسد وأخطاء قد تصل حدّ التحريم كما قلتم في مسألة الديموقراطية، إلا أن جمعية الحكمة كانت تؤيد الرئيس اليمني في انتخاباته الأخيرة، أليس هذا أيضاً امتداداً للعملية الديموقراطية، ودخولاً في اللعبة ذاتها؟

- أنا لما أتحدث معك الآن أتحدث عن رأيي الشخصي، ولا أملك أن أمنع الآخرين من أن يعبروا عن آرائهم حول هذه القضية، الديموقراطية والأحزاب إنما أعبر فيها عن رأيي، فالمشايخ في جمعية الحكمة رأوا أنهم يشاركون، أنا بالنسبة لي أرى أن نشتغل بما هو أولى، وكان الأصل في الحكم الشرعي في الإسلام ألا تعرض الولاية العامة إلى الاهتزاز كل فترة يأتي شخص أو يترشح شخص آخر، من المعلوم في الشريعة الإسلامية أن الشخص يظل حاكماً حتى يموت، فإن قيل إنه قد يكون هناك ظلم... فإذا كان ملتزماً بأحكام الإسلام، فلن يكون هناك ظلم، إذا كان ملتزمًا بالعدل الإسلامي والشريعة الإسلامية، يطبقها في المجتمع وعلى نفسه وعلى أفراد المجتمع، لن يكون هناك ظلم، ومن ثم نسد باب المنافسات، التي تُصرف فيها أموال، وتُضيع فيها جهود، ويدخل الناس فيها في مهاترات وعداءات.

■ ألا تعتقد أن الموقف مضطرب بين أن يُعتبر النظام الديموقراطي نظاماً طاغوتياً، ثم يتم تأييد الرئيس من خلال نظام ديموقراطي؟

- أقصد أن الإخوة إذا رأوا أن من المصلحة أن يختاروا مرشح التجمع، أو يختاروا مرشح المؤتمر، أو يعينوا مرشحاً لهم، فهذا اجتهادهم، ولست ملزماً به.

■ **لكن ألا ترى أن رأيك قد تغيّر فيما يتعلق بالديموقراطية، من القول بأنها شرك الحاكمية وطاغوت العصر، إلى القول بعد ذلك بأن هذا من الاختلاف، وأنه مثل القراءة خلف الإمام؟**

- لا، أنا أعتقد أن هناك فرقاً بين من يدخل في العملية الديموقراطية ملتزماً بقواعدها ونظمها، يرى أنها الخيار الوحيد والأفضل وما أشبه ذلك، وبين من يدخل وهو غير مقتنع، أو غير راض، أو غير ملتزم بالعملية الديموقراطية ككل، ولكن يدخل ليستغل هذه الإمكانات أو هذه الوسائل لإقامة حجة أو نصح أو ما أشبه ذلك، هناك فرق بين شخص يدخل ملتزماً، أو مؤسسة أو حزب أو جماعة تدخل ملتزمة بقواعد اللعبة الديموقراطية، وخاصة قوانين الأحزاب التي تنشأ، وبين شخص يدخل لا يُكلف، أو ليس مكلفاً، أو لا يُطلب منه أن يلتزم بها...

■ **لكن ليس هناك من أحد يدخل إلا أن يكون ملتزمًا بقوانين اللعبة، أليس كذلك؟**

- أعتقد أن هناك فرقاً بين شخص يستغل الأوضاع ويدخل غير ملتزم بقواعد اللعبة، بل يمكن أن يعبر عن رأيه ضد الديموقراطية...

■ **ممكن أن يعبر من خلال الديموقراطية ضد الديموقراطية.**

- ممكن أن نعبر الآن في ظل أجواء ديموقراطية.

حكم الخروج على الحاكم الجائر

■ **في شريط «فقه الواقع» قررتم أن الخروج على الحاكم الجائر حق، وأن الخروج على الحاكم ليس ممنوعاً مطلقاً في عقيدة أهل السُنة، ألا تعتقد أن كثيراً من دعاة المنهج السلفي تجاوزوا هذه المسألة إلى مسألة ضرورة الالتزام بالسماع والطاعة لولي الأمر، كما أن الرأي هذا قد يفتح أيضاً الباب لكثير من الفتنة مثلا؟**

- هذه مسألة فقهية تبحث في السياسة الشرعية، في كتب السياسة الشرعية، في الأحكام السلطانية، في الإمامة، وأحكام الإمامة بشكل عام، طبعاً هناك مباحث حول هذا الموضوع، حيث يقسّم الخارجون على النظام إلى أربعة أقسام تقريباً، فمنهم الذين يخرجون مكفرين للمجتمع، فهؤلاء الخوارج كالخوارج مثلاً، ومنهم من يخرج بقصد المنافسة على الدنيا والبغي فهؤلاء بغاة ولهم حكم آخر، ومنهم من يخرج يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يرى أن هذا الحاكم مرتكب لمنكر أو معطل للشريعة، فخروج من خرج بقصد إزالة المنكر...

■ **وما حكم هذا الأخير؟**

- الرسول صلى الله عليه وسلم أذن، قال: «على أن تنازعوا الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم فيه من الله برهان»؛ فإذا خرج يراعي فقط المصالح والمفاسد، هل سيستطيع أن يغيّر؟ هل سيستطيع أن يقيم حاكماً عادلاً؟ هل سيستطيع أن يقيم نظاماً إسلامياً؟ فإن امتلك القدرة والأسباب على التغيير فالشريعة تجيز له ذلك، لماذا يطاع للحاكم ويُسمع له كيفما كان وعلى أي حال وبأي حكم.

■ **أنت قبل قليل تقول إن الحاكم يحكم طول عمره!**

- نعم، الحاكم يحكم طول عمره ما دام يحكم بشرع الله عز وجل، فإذا حكم بغير شرع الله حينئذ أهل الحل والعقد الشرع أذن لهم أن يزيحوه ويأتوا بشخص آخر.

■ **هل تكفرون بعض الأنظمة العربية؟**

- نحن... لا... بالنسبة لي أنا لا.

■ **أنا أسألك أنت شخصياً لأنك تقول إنك لا تعبر إلا عن نفسك.**

- لا، ليس لي أي نص في هذا، لا قديماً ولا حديثاً، تكلمت فيه عن نظام معين أنه كافر، أنا أتكلم عن مفاهيم، عن أفكار، أقول هي كفر، مثلاً الاشتراكية أقول إنها كفر، والعلمانية كفر، والديموقراطية كذلك، لأنها تحكيم للجماهير وللآراء وإلغاء لشريعة الله عز وجل، إلغاء للشروط والمواصفات الشرعية في أصحاب الولاية، تسمح فيها لكل أصحاب الأفكار والمفاهيم بحجة حرية الرأي والرأي الآخر، تمنع من تكفير من كفره الله عز وجل، فانظر إليها من هذا الجانب؛ لكن لا أكفر أشخاصاً معينين، بل وحتى مؤسسات أو أحزاب لا أكفرها، لأنني أراعي أيضاً حالة الأمة أنها تبحث في ظل جهل وضياع، تبحث لعل الحق ها هنا، فنحن نبين أحكام الأمور والمقادير الشرعية والمواصفات الشرعية على الآراء والأفكار، وليس لنا حينئذ أن نتكلم عن أشخاص معينين، لا بد من ورع في هذا الباب، ولا بد في الوقت نفسه من إقامة الحجة وانتفاء الموانع وتوفر الشروط كما هي.

الفاتيكان أفضل من بعض العلماء!

■ **أنتم تنكرون على بعض التيارات السلفية ـ رغم أنكم تنتسبون إلى السلفية ـ التي تتهم الحركات الإسلامية والجماعات الدعوية أحياناً، تتهمونها بالعمالة، وتتهمونها في نياتها، أنتم تنكرون عليهم ذلك، وتقولون إن هذا محاربة للجمعيات الخيرية التي تبذل الخير، ألا تعتقد أنكم تقعون في المشكلة نفسها عندما تنتقدون بعض علماء الشريعة، كمثل قولك إن موقف الفاتيكان خلال حصار العراق أفضل من موقف بعض العلماء؟**

- أنا قلت بهذا؟

■ **نعم في شريط «القضية الفلسطينية»، أليس هذا نفس الموقف الذي انتقدته على بعض من ينكر على الجمعيات الخيرية؟**

- أصل المنهج السلفي يقوم على أساس العدل، والحكم بالحق، ورد الباطل، يصدر ممن صدر، حتى لو كان من أفتى بتلك الفتوى الباطلة شخص سلفي أو كذا، الحق مقبول من أي جهة كانت والباطل مردود من أي جهة كانت، في منهج شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان لما يناقش الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة، كان أحياناً يقبل كلام الفلاسفة ضد المعتزلة أو الأشاعرة، وعندما يُخطئ الفلاسفة يقف أيضاً هو مع المعتزلة والأشاعرة ضد الفلاسفة، بخلاف منهج الإمام الغزالي، حيث كان -رحمه الله- يرى أننا نتوجه جميعاً ضد الفلاسفة، ويرد ما قاله هكذا رداً مطلقاً، ولذلك في حصار العراق - أيام صدام - إذا كان بعض العلماء ساكت عن ذلك، وأنكر الفاتيكان واستنكر، أو أي شخص من الملل الأخرى، فينبغي أن يوجه اللوم لمن يسكت عن مثل هذا، لأن الشعب العراقي شعب مسلم يُحاصر ويُمنع من رزقه ومن دوائه ومن مصالحه، والمسلمون ينظرون ويتفرجون، وعلماء المسلمين ساكتون منتظرون

لإذن من حاكم أو من دولة، هذا غير لائق، يجب على أهل العلم أن يقولوا بالحق، لكن أنا لا أذكر بالضبط ما هو السياق، أو ما هي المسألة، لأن هذا الكلام يبدو قديماً.

■ لكن قِدَم الكلام لا يمحوه، إلا إذا تراجعت عنه.

- إذا قال اليهودي أو النصراني أو الفاتيكان أو أيٌّ كان كلاماً حقاً، ووقف مع المسلمين، ومع قضايا المسلمين، وسكت بعض العلماء، أو أفتى بعض العلماء مثلاً بفتوى ضد هذا الحق الإسلامي أو حق العرب، أعتقد أنه يخطّأ هذا العالم، والحوار والنقاش والدعوة إذا كانت تقوم على أساس مجاملة بعضنا بعضاً فهذا لا يجوز.

ضوابط وحدة المسلمين

■ أنت أيضاً في صحيفة «أخبار اليوم» اليمنية، كان لك موقف من تمرد الحركة الحوثية في اليمن، قلت: «يجب على العلماء أن يقفوا صفاً واحداً لمواجهة هذا المد والعقائد الفارسية المجوسية التي، تحمل حقداً عظيماً على أمة الإسلام، فمما لاشك فيه أن الرافضة خطر عظيم يوشك ـ كما هو مشاهد ـ أنهم ما حلوا في أرض وإلا وقامت الفتن والدسائس والمؤامرات»، البعض يرى أن هذا الطرح هو تفتيت لوحدة العالم الإسلامي، كيف تعلقون على ذلك؟

- وحدة العالم الإسلامي لها ضوابطها ولها شروطها ولها منطلقاتها، فإذا كان المطلوب وحدة تقوم على أساس أن يتكلم بعض المسلمين في ثوابت الأمة، في عقيدتها، من الأمثلة على ذلك الرافضة، تخالف في قضية توحيد الألوهية،

فتجيز دعاء القبور والتمسح بها والاستغاثة بها، والطواف حول القبور، بل يفضلون القبور على الكعبة، كما قال شاعرهم.

■ هل تحاسب كل الشيعة على مقولة أشخاص بعينهم؟

- أنا أضرب مثلاً ببيت فقط؛ ومن أصولهم مثلاً تكفير الصحابة، وهذا موجود في كتبهم، والقول بعصمة الأئمة، وهذا معناه إعطاء خاصية النبي لشخص عادي يصيب ويخطئ.

■ هل تعتقدون أن الحركة الحوثية تؤمن بهذ الأفكار؟

- وكذلك بغض النظر هل هم زيدية قائمين على أصول الزيدية، أم قاموا على الفكر الرافضي؛ فالذي يبدو أن هناك تأثراً بالفكر الرافضي، قد تكون جماعة معهم تضمر الكراهية للدعوة السلفية أو ما يسمى بالوهابية، الله أعلم، لكن الأصل أن الزيدية المفروض أن يبتعدوا تماماً عن الفكر الاثني عشري، بل وعن التعاون معهم، لأن الاثني عشرية تحمل أيضاً تكفير الزيدية أصلاً.

الخلاف مع الزيدية يقوم على الحوار

■ أنتم ما موفقكم من الزيدية؟

- المذهب الزيدي يقوم على أساس فتح باب الاجتهاد، وخرج منه علماء مجددون مصلحون، مثل الجلال، ومحمد بن إبراهيم الوزير، ومحمد بن إسماعيل الأمير، ومحمد بن علي الشوكاني، والحمد لله فإن علماء الزيدية يذهبون ويسرحون في القرى والمناطق.

■ **ألا تختلفون معهم في أصول؟**

- نحن نصلي خلف بعضنا البعض، المسائل الفرعية في الغالب عند العامة ليست محل الخلاف، بالنسبة لأصول الزيدية هي أصول المعتزلة، فالخلاف ليس خلافا شيعياً سنياً، لأن هناك أناس من أهل السنة أصولهم معتزلة، وأناس بشكل عام ممن ينسبون إلى مذهب أهل السنة كالزمخشري، والهمذاني، وأبو الحسن البصري؛ هؤلاء من المعتزلة، فأصول الزيدية هي أصول المعتزلة في الأسماء والصفات، في القضاء في العدل والتوحيد كما يسمى، وكذلك في الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي أصولهم، وأهل السنة يختلفون معهم، لكنه اختلاف يقوم على أساس الحوار العلمي والمناقشة، ولا يصل إلى حد سفك الدماء والحقد التاريخي.

■ **بينما مع الاثني عشرية تعتقد أنه يجب أن يصل إلى سفك الدماء؟**

- أنا سمعت أمس خطاباً لرافضي يقول «الوهابي كالكلب، اقتلوا الوهابي»؛ هذا لا يمكن أن يقوله الزيدي.

■ **ألا يقول السلفيون بأن الرافضي أيضاً كافر؟ ألا تساهم أطروحات السلفية تجاه الرافضة في تأجيج المشاعر؟**

- تجاه الرافضة أو تجاه الصوفية أنت تتكلم عن عقائد، عن أعمال، لكن نرى أن هؤلاء الأصل فيهم الإسلام، لهم حق الإسلام وحق الأخوة.

■ **هل ترى أن الشيعي ـ من تسميه بالرافضي ـ تجتمع معه بالإسلام وله حقوقه؟**

- عوام الشيعة نعم، الأصل فيهم - إن شاء الله - الانتساب إلى الإسلام، وقد يقوم في الواحد منهم ناقض من نواقض الإسلام يحتاج إلى إقامة الحجة

وتوفر الشروط وانتفاء الموانع، لكن هذه الأصول التي ذكرتها، أي القول بالعصمة، القول بتحريف القرآن، القول بجواز دعاء غير الله؛ هذه كلها – الحقيقة- نواقض للدين، نواقض للإسلام، لكن يجري الحوار، نحن نفضّل الحوار.

■ **لكن حديثكم ـ يا شيخ ـ عن العقائد الفارسية المجوسية في الجريدة، كان في إطار الحديث عن التمرد، تمرد الحركة الحوثية.**

– على أساس أن الحركة الحوثية متأثرة بالفكر الإيراني، وهناك من يذهب للدارسة في إيران، ويرجعون ويحملون هذه الأفكار.

■ **هل تقاتلون ـ أنتم السلفيون ـ الحوثيين في جبهات القتال؟**

– الحقيقة أن الدولة قائمة بهذا الأمر، ونحن نقوم على جانب كبير، وهو جانب توعية الناس وتحذيرهم من هذه الأفكار وهذه المفاهيم، وحسبنا هذا الأمر.

■ **أي أن الدولة تقوم بالواجب فلا حاجة إذًا لكم في القتال؟**

– أظن أن الدولة تقوم بهذا الواجب وهو شأنها، شأنها لأنها هي المسؤولة عن كل ما يقع في البلد.

■ **وأنتم ما هو موقفكم؟**

– قبل الأحداث وبعدها موقفنا رفض هذه الأفكار من زمان، نتكلم عن العقائد الاثني عشرية من خلال الدروس، من خلال الخطب، من خلال المواعظ، نتكلم على أساس أنها منطلقات فكرية وعقدية، لسنا منتظرين من الدولة أن تقول شيئاً، هذا أصل يفرضه علينا ديننا ورسالتنا في الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أميركا تغذي الفتنة

■ ألا ترون أن فتنة طائفية تقوم الآن وتشتد بشكل عنيف في العالم العربي والإسلامي؟

- هذا صحيح، ونخشى أن تكون أميركا تغذي هذه الطائفية، ولهذا فإننا نقول للمسلمين بشكل عام -الشيعة والسنة- اتقوا الله، ولا يستجركم العدو إلى أن تدخلوا في صراع لا يعلم مداه إلا الله عز وجل، تحاوروا، حكموا كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

■ أليست هذه دعوة للوحدة الإسلامية التي تحدثنا عنها قبل قليل؟

- الوحدة الإسلامية من أنكرها كافر، ولكن على أي أساس تقوم هذه الوحدة؟ هل على أساس «اسكت عني وأنا أسكت عنك»؟ أم على أساس تعالوا نجلس ونتحاور ونرى، نرى أين الحق ونُحَكِّم كتاب الله وسنة رسوله؟

■ أنت ترى أن الحوار واجب لنقض أفكار الطرف الآخر؟

- إذا عندهم شيء ضد أفكارنا فليطرحوه مثلما طُرِح كثير من المناظرات في مجلة «المستقبل»، في قناة «المستقلة»، وكان حواراً جيداً، ليسمع الناس ويروا ما هو أساس الخلاف وعناصر الخلاف، وكيف يمكن معالجة هذا الخلاف.

■ المجتمع اليمني مجتمع متعدد، سواء قبلياً أم مذهبياً، هناك الزيدية، السنة، الشوافع، وأيضاً الصوفية، والسلفية. هل تعتقد أن هذه التعددية مصدر ثراء بالنسبة لليمن، أم أنها جانب سلبي في تقديرك؟

- أما المذهبية، فكون الشخص يتمذهب بمذهب الشافعي، وهذا بمذهب الحنيفة أو ذاك بمذهب زيد بن علي بدون عصبية، بدون محاولة فرض الرأي

لمجرد أنه مذهب لا لأنه له حجة أو له دليل. لا شك أن السلفيين لا يعترضون أصلاً على أصل التمذهب، فتجد السلفية مثلاً في دول الخليج حنابلة في الفقه مثلاً، ولكنهم يرجحون الراجح...

■ لكن هناك شافعية أيضاً في الخليج، وأحناف ومالكية...

- وفي اليمن كذلك، هناك الأحناف وإن كان بشكل قليل، وشافعية وزيدية، وليس بيننا وبينهم إلا الأخوة.

■ هذا فيما يتعلق بالمذاهب الفقهية، لكن فيما يتعلق مثلاً بالصوفية؟

- الخلاف هنا عقائدي، وهذا أعتقد أنه خطير ولا يجوز أن يُقر، ولا يجوز أن يسكت عنه، ولكن البحث عن أساليب ووسائل معالجة مثل هذا الخلاف لا يجب أن يؤدي إلى تفرق المسلمين وتمزقهم وتقاتلهم، ولا إلى بث الخلاف والعداوة فيما بينهم.

■ مع أنك تقول إنه يجب أن تُفضح أخطاؤهم...

- نبين أخطاءهم نعم، ولكن بالأسلوب المناسب. يمكن أن يقال: اتقوا الله يا معشر المسلمين، مثلاً يا إخواننا في المذهب الشيعي لماذا لا تحكمون الكتاب والسُّنة؟ لماذا لا تفردون الله تبارك وتعالى بالعبادة؟ لا تدع غير الله، لا تذبح لغير الله، لا تنذر لغير الله، لا تستغث بغير الله عز وجل، أثبت ما أثبته الله لنفسه من الصفات والأسماء، حكّم كتاب الله، لا تجعل كلام البشر مثل كلام الله معصوماً تطيعه كطاعة الله.

■ هل ترى أنه يجب أن يؤطر الناس على الآراء السلفية؟

- ليست كل الآراء السلفية، هناك أصول سلفية هي قواعد أهل السنة والجماعة.

■ **هل يجب أن يجبر الناس عليها؟**

- يجبرون على قواعد منهج الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة الأربعة، بمعنى أنها الدين المشترك، أنها الأصول التي لا يجوز التفريط فيها، فيجب على الأقل، على ولاة الأمر، أن يتبنوا هذا المنهج، إذا بقي من الطوائف، من الفرق في المجتمع من لا يعتقد هذه العقائد، يبقى أن تُستعمل معهم أساليب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن وجه الدولة، وجه الحكم، يجب أن يكون منطلقاً من أصول أهل السنة والجماعة والله أعلم.

الشيخ الحبيب علي الجفري

مدرّس التصوف في تريم

2004-12-1

أثار إخراج الشيخ، الحبيب علي بن عبد الرحمن الجفري من مصر في العام 2001 زوبعة إعلامية، جعلت الرجل في دائرة الضوء منذ تلك الحادثة، وكشفت عن تلك الشخصية المثيرة للجدل، بين مريديه الذين يحوطونه برعاية وحماية وإخلاص، ومعارضيه الذين يهاجمونه بكل وسيلة وجهد. غير أن المعارضين لا يستظلون تحت راية واحدة، فمنهم من يعادي الجفري من منطلق سلفي، ينظر للصوفية، التي يمثلها الشيخ الجفري، بمنظار الناقد الرافض، ومنهم من يعادي ضيفنا، لمساهمته في تحجيب الفن، واعتزال الفنانات.

كان سؤالنا للشيخ عن أسباب إخراجه من مصر هو البداية، لكن الرجل لم يرغب في أن يقدم أكثر من إجابة دبلوماسية، ذهبت إلى الطريقة الودية في إخراجه، بأكثر مما كشفت عن أسباب ذلك الإجراء، على الرغم من إلحاحنا عليه، وسردنا لما نشر عن تلك الأسباب، كتأثيره على بعض الفنانات المصريات كي يتحجبن، لكنه ظل مُصِرًّا على أن المصريين كانوا مهذبين معه، إن في إبلاغه بوجوب الخروج من مصر، أو في اصطحابه بكل رقة وأدب إلى المطار، ليغادرها منذ عام 2001.

والقصة تدور حول طلب تقدمت به السلطات الأمنية المصرية إلى الجفري يدعوه إلى مغادرة مصر، وقد ترددت الشائعات في حينها حول ضغوط أمريكية على مصر، لإخراج الدعاة الجدد، الذين أثروا على الأوساط النخبوية في مصر: أمثال عمرو خالد، وعلي الجفري!

وذهب آخرون إلى أن السبب وراء إخراج الجفري هو تأثير هؤلاء الدعاة على عدد من الفنانات اللاتي ارتدين الحجاب، وهو ما أزعج بدوره، الأوساط الفنية، ومؤسسات الإنتاج، والمستثمرين في هذا المجال، ما دفع هؤلاء باتجاه الضغط من أجل إخراج الدعاة.

ويذهب البعض الآخر، إلى القول بأن وراء إخراج الجفري، عددًا من دعاة الأزهر وعلماء مصر (السّنة)، الذين يعارضون المذهب الصوفي الذي يروج له، وهي رواية ضعيفة!

يعتز الشيخ بلقب «الحبيب» ويؤكد أنه من نسل النبي –صلى الله عليه وسلم– وأن من يشتغل بالعلم من أهل البيت النبوي يُلقّب بالحبيب، وهو ولد في جدة بالمملكة العربية السعودية، في عام 1391هـ 1971م، ونشأ في الحجاز، حيث كانت تقيم أسرته الفارّة من بطش الحزب الاشتراكي اليمني.

تتلمذ الجفري، حسب ما ذكر، على يد عدد من دعاة الصوفية، في أرض الحجاز، منهم: عبد القادر أحمد السقاف، وأحمد المشهور بن طه الحداد، وأبو بكر العطاس بن عبد الله الحبشي، وكرامة سهيل، وهم جميعاً من أبناء حضرموت النازحين إلى أرض الحجاز نتيجة البطش الذي مارسه الحزب الاشتراكي ضد العلماء والدعاة والأئمة عموماً في جنوب اليمن – سابقاً.

ويُدرِّس «الحبيب» الجفري بدار المصطفى بـ«تريم»، وهي من الأربطة الصوفية التي يتلقى فيها «المريدون» علم التصوف، ويَفِدُ إليها مئات الطلاب من داخل اليمن وخارجه كل عام، ورغم عدم خضوع هذه الدار لمناهج التربية والتعليم، إلا أنها تحظى برعاية واهتمام رسميِّين، ولا تزال تعمل رغم إغلاق عشرات المعاهد

العلمية، التابعة لحركة «الإخوان المسلمين»، والمعترف بها رسمياً في السابق.

«الحبيب» الجفري متزوج وأب لاثنين من الأبناء وثلاث بنات، وله أخ وأخت من أبويه، وهو ينتمي الى أسرة لها اعتناؤها بالدين والاستقامة، وكان بعض أقاربه من أهل العلم والدعوة.

طاف الجفري العديد من الدول، وألقى المئات من المحاضرات، وينفي دائما أنه يعمل بالسياسة، بل لا يحبذ أن يوصف والده بالسياسي، وسينتابك الاستغراب إذا علمت أن والده هو عبد الرحمن الجفري، نائب رئيس دولة الجنوب، التي أعلن منها علي سالم البيض والجفري انفصالاً جنوبيًا عن اليمن الموحد، وجرت على إثر هذا الإعلان حرب الانفصال في العام 1994، والتي أكدت بقاء يمن موحد، ودحر فكرة الانفصال حينها.

ينفي الشيخ علي الجفري بشدة، أن تكون الصوفية –التي ينتمي إليها– مذهبًا خامسًا في الإسلام، وينفي عنها كذلك كونها حركة موالاة للأنظمة، أو أن الصوفية أداة للاستعمار، كما أنه يربأ بها أن تكون تيارًا طُقوسيًا، يعتمد الطواف حول القبور، والمظاهر الاحتفالية بميلاد الأولياء وما إلى ذلك، ويؤكد في المقابل أن التصوف عِلم من علوم الشريعة، ويعنى بتقويم سلوك الإنسان، ويُقدم أمثلة على متصوفة كانوا مقاتلين في وجه الاستعمار، ومعارضين لبعض الأنظمة الجائرة.

هل الشيخ علي الجفري شيخ النخبة ورجال الأعمال؟ هذه إحدى الانتقادات التي توجه إلى الرجل، نقلناها له بالطبع، وماذا يقدم لهم؟ أهي الفتاوى أم الدعوة؟ والدعوة إلى ماذا؟ وما رأيه في ظاهرة المشايخ الجدد؟ وهل يعتبر نفسه واحداً منهم؟ وما علاقته بالإعلام وقد أصبح نجماً فضائياً لا توفره قناة، حتى لو لم تكن

ذات طابع ديني؟ وما حقيقة الخلافات داخل المدرسة الصوفية؟ وكيف يرد على مخالفيه الذين وَزَّعوا أشرطة تحمل عناوين مثيرة من قبيل «التوضيح الجلي في فضائح الجفري»؟ ولماذا تَكَوّن تيار يقف من الجفري هذه المواقف الحادة؟!

تحول الحذر الذي أبداه الجفري في بداية حديثنا معه بعد دقائق من بداية الحوار، إلى مكاشفة حقيقية مع الرجل، الذي لم يخف انفعاله في بعض الأحيان، وبدا كمدافع قوي وهادئ في الوقت نفسه. عندما يرد على الاتهامات التي حملناها له، كما أنه لم يستطع إخفاء ابتساماته معظم الأحيان، خصوصًا عندما تطرقنا إلى دوره في «تحجيب» الفنانات، هذا الدور الذي يبدو أن الحبيب «يحبه» ويفتخر به.

تحرير الاسم واللقب

تركي الدخيل: بدايةً أودّ أن أسألك سؤالاً ننفذ من خلاله، إلى أسئلة كثيرة: هل الحبيب لقب أم اسم لكم؟

علي الجفري: الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد... نعم، درج الناس عندنا في اليمن، وفي حضرموت بخاصة على نداء من يشتغل بالعلم من أهل البيت النبوي بلقب حبيب، أو بلفظة حبيب، من باب محبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأهل بيته.

■ **هذا مختص بآل البيت فقط؟**

- بل بطلبة العلم منهم.

■ **إذًا اسمكم الأول هو علي؟**

- وسماني أبي بزين العابدين، تيمنًا بالإمام زين العابدين علي بن الحسين، وأبي اسمه عبد الرحمن الجفري.

■ **من اسمكم واسم والدكم ننفذ إلى سؤالنا. والدكم السيد عبد الرحمن الجفري هو أحد السياسيين اليمنيين، كان قائداً لفكرة الانفصال في اليمن، وكان من أبرز من أنشأوا الجمهورية المؤقتة في عام 1994، لكنكم أنتم لم تنخرطوا في السياسة كما هو والدكم بل انخرطتم في العلم والدعوة.**

- بغض النظر عن كونه من قادة الانفصال، أو كان له رأي سياسي آخر، لسنا الآن بصدد هذا الأمر، لكن نعم.

■ **ألم يكن من قادة الانفصال يا شيخ؟**

- يرى البعض ذلك وهو يرى خلاف ذلك.

بين الدين والسياسة

■ **أنت ماذا ترى بوصفك ابنه ومراقباً ومهتماً بالشأن اليمني أيضاً؟**

- أرى أن الوالد اجتهد فيما يفهمه في السياسة، وأن هذا الأمر ليس من تخصصي، وبالتالي حتى أتكلم فيه أو أحكم عليه أحتاج إلى دراسة، لكن الشيء الذي مطمئن له قلبي، أني أعلم من أبي أنه إنسان مؤمن، وأنه إنسان صاحب مبدأ، هذا القدر الذي أعلمه. بالنسبة للموضوع الذي سألتني عنه، وهو الاتجاه الذي يسّره الله تعالى، هذا الاتجاه في الأصل هو اتجاه أسرتنا، فجدّي والد الوالد وأخوه وابن عمه هم من بيت علم وآباؤهم كذلك، ويمكن ذكر فئة من النسب 10 أو 15 عالماً موجوداً... هذا كان الأصل في أسرتنا.

■ **أي الأصل أنكم رجال دين وطرأت السياسة عليكم؟**

- الأصل أن الأسرة أسرة علم، وأسرة دعوة إلى الله تعالى وخدمة للدين، وكان لهم منزلة بين الناس كبيرة، من المناطق التي كانوا فيها، من واقع العمل الدعوي والعمل التربوي، هذه المنزلة وصلت إلى الحد الذي جعلهم يفصلون بين نزاعات القبائل عندنا، ويسعون بالصلح بين القبائل، فكان هناك نوع من الدور السياسي غير التخصصي أو غير المتجرّد للسياسة، بينما كان ذلك ثمرة ثقة الناس بهم في المجتمع الذي يعيشون فيه.

■ **نوع من سياسة الوجاهة؟**

- سياسة إصلاح.

■ **إذًا السياسة طارئة على الأسرة وليس التدين؟**

- بالمعنى التخصصي نعم.

■ **هل أزعجتك هذه السياسة الطارئة؟ بالنظر إلى خروجها عن النسق العائلي؟**

- ليست هي أول خروج.

■ **هناك عمكم أيضاً، أحد أعمامكم شارك في السياسة؟**

- عمي الأكبر هو الذي أسس أول حزب لمقاومة الإنجليز عندنا في اليمن، في جنوب اليمن سابقاً قبل الوحدة، لكن الجيل الذي كان فيه أعمامي ووالدي، هو الجيل الذي فتحت فيه آفاق الارتحال إلى مصر، ودراسة العلوم التطبيقية المختلفة، وكان مطمح آمال كثير من الشباب الذين في عصرهم. أما الانزعاج، فالجزء الذي أستطيع أن أسميه انزعاجاً من توجّه أبي للسياسة، هو قناعة في نفسي أن الإنسان صاحب المبدأ يصعب عليه اليوم أن يستمرّ في السياسة.

الإبعاد عن مصر... والإثارة

■ قضيت فترة طويلة من عمرك في السعودية، وتنقّلت بين مناطق كثيرة، تنقلت بين الإمارات لإلقاء الدروس والمحاضرات وبين جدة أحياناً؛ وكنت في فترة من الفترات في مصر. سؤالي عن الفترة التي قضيتها في مصر والتي أثارت لغطاً، لعل منه هو قصة إخراجك من مصر، وكل التصريحات التي أدليتم بها لم ترو ظمأ الغليل. هناك من يقول إن الشيخ آثر أن يكون دبلوماسياً في إجاباته، ولم يتحدث عن قصة هذا الخروج من مصر فهل لك أن تروي غليلنا؟

- المشكلة أن الكثير من الذين سألوني عن هذه القصة ما كانوا يسألون ليعرفوا واقعاً يمكن أن يقيّم، بقدر ما كان سؤالاً يمكن أن تسميه بلغة أهل الإعلام «فلاش»، أو تستطيع أن تسميه لفت نظر أو «مانشيت عريض»، أو يريدون.

■ بولكن عناصر القصة المهمة موجودة: أنت نجم، ومصر دولة مهمة، وأثرت فيها أشياء كثيرة، لذلك فيها عناصر قصة، فلماذا تلومهم؟ هم يبحثون دائماً عن قصة مثيرة.

- هذا موضوع مهم فتحته أنت الآن، هو أهم من موضوع مصر وسأرجع إلى موضوع مصر.

■ لنكمل موضوع مصر يا شيخ ومن ثم نعود للموضوع.

- لك ذلك. لا أهرب من موضوع مصر، لكن أنت الآن افترضت مسألة مهمة للغاية، وهي أنهم يجدون في ذلك مادة، ونحن بحاجة اليوم في الإعلام عندما نطرق قضايا تتعلق بفكر أو باقتصاد أو بدين أن نجعل الإثارة وسيلة وليست غاية. أما بالنسبة لمصر، فقد جاءني كما ذكرت أكثر من مرة أحد المسؤولين

في الأمن المصري، كان رجلاً مهذّباً، وتكلم معي بغاية من الأدب، وقال لي: إن هناك توجيهات للأسف بأن تغادر مصر، فقلت: على الرحب والسعة.

■ **في أي عام بالضبط؟**

- في العام 2001 تحديداً.

■ **وخرجت؟**

- نعم وذهبوا بي إلى المطار بأدب شديد وكانت جلسة طيبة. حوالي ساعة ونصف قبل موعد الطائرة، كان الحوار فيها شيقاً وجيداً مع الضباط المنسوبين إلى الأمن الموجودين في المطار، كان أشبه بدرس ديني.

■ **درس ديني عن إخراج الضيوف؟ ماذا كان الموضوع؟**

- الكلام كان أكثره عن أمور تتعلق بهم هم كأفراد، أمور شخصية خاصة بدينهم. أنا أقدّر أن مصر تمرّ بظروف شديدة وصعبة، كما أني أتمنى أن يكون النظر إلى الأمور المتعلقة بالدين في العالم الإسلامي ككل أكثر نضجاً، وأكثر عمقاً من النظر إليه على أنه شيء قد يسبب إزعاجاً أو إشكالاً.

الدعوة... وتحجيب الفنانات

■ **من الواضح ـ شيخ الحبيب الجفري ـ أن إخراجك من مصر كان لعدم الارتياح لما تقوم به هناك؟**

- سمعت أكثر من تعليل، خلاصة التعليلات أن هناك أثرًا قويًا وتجمعات كثيرة.

■ هناك من قال بأن الحبيب الجفري ساهم في إقناع الكثير من الفنانات بالحجاب وبالتالي أثر على الفن في مصر، ما تعليقك على ذلك؟

- والله إذا كان الفن في مصر سيتأثر بإقناع أفراد فيه، فهذه مشكلة كبيرة لأن الإنسان إذا مشى في شيء، وكانت قناعاته بهذا الشيء قناعات هزيلة بحيث مجرد الجلوس يحوّلها، فينبغي إعادة النظر في الشيء كله.

■ طيب ألم تفاوض على البقاء مثلاً، ألم تطلب بيان أسباب خروجك مثلاً؟

- لم أطلب.

■ لماذا؟

- لقناعة عندي أن الأسباب مؤقتة.

■ ألم تزر مصر منذ ذلك الوقت؟

- لم أزر مصر[1].

■ هل ما زلت ممنوعاً من دخول مصر؟

- لم أبلّغ منعاً وعندما طُلب مني أن أغادر، لم أفكر في الرجوع.

(1) كان ذلك في ديسمبر (كانون الثاني) 2004.

مدرسة للعجم

■ أنت تنتمي إلى مدرسة علمية موجودة في اليمن، هذه المدرسة ـ كما قلت أنت في مقابلات سابقة ـ ساهمت في نشر الدعوة في بلاد العجم بالذات ولم تركز على البلاد العربية، لأن هذه المدرسة، تعتقد بكفاية الدول العربية، بمدارس كثيرة. هل يمكن أن تسمي هذه المدرسة صوفية إن صحَّ التعبير؟

- نعم، بمعنى أدق، أو بتعبير أدق، هذه المدرسة لم تشتغل بالعمل في حاضرة العالم العربي، مصر والعراق والشام، لوجود العلماء الذين يقفون فيها، بينما كان للمدرسة هذه وجود في الحرمين وتولى عدد من رجالها الإفتاء في الحرمين لقرون.

■ لكن هناك من يقول بأن هذه المدرسة تلجأ إلى العجم لأن العجم عندهم استعداد لقبول الصوفية أكثر من العرب.

- لهذا قلت لك إن المدرسة هذه كان لها وجود في الحرمين، وتولى الإفتاء في الحرمين عدد من رجالاتها ومن متأخّريها.

■ وهل ينقض الفكرة التي في السؤال في تقديرك؟

- أعتقد هكذا.

■ لنتحدث عن الصوفية يا شيخ علي.

- (مقاطعاً): عفواً، لا أريد أن أقاطعك، لكن عندما تذكر العجم ينبغي أن يفهم المستمع وأن يتضح له أيضاً، أن أندونيسيا تدخل تحت هذا الإطار، وهي أكبر دولة إسلامية في تعداد السكان.

■ طبعاً أنا أعرض العجم دون تقليل من قيمتهم بطبيعة الحال.

- لكن حتى تكون الصورة واضحة، أن نحو الثلث من العالم الإسلامي اليوم، هم هؤلاء العجم الذين دخلوا الإسلام على أيدي رجالات هذه المدرسة.

علماء امتهنوا التجارة

■ دخلوا الإسلام على أيدي التجار الحضارمة.

- هذه معلومة ليست دقيقة؛ الذين نشروا الإسلام في تلك الجهات هم الدعاة الحضارمة، فلما وصلوا إلى تلك البلدان امتهنوا التجارة، حتى لا يحتاجوا أن يمدّوا أكفّهم إلى الغير، ثم لما رأى الناس الذين في حضرموت أن هذه التجارة رائجة وأن لها نجاحًا، تحرك بعد ذلك الأعداد من التجار. ففي تاريخ أندونيسيا أن التسعة الذين أدخلوا الإسلام إلى أندونيسيا كانوا علماء...

■ هل تريد أن تقول إن الدعوة انتشرت عن طريق علماء ودعاة وليس عن طريق التجار؟

- هم علماء ودعاة ذهبوا للدعوة وامتهنوا التجارة، حتى لا يحتاجوا إلى الغير، حتى لا يمدّوا أكفهم إلى الغير.

الصوفية و 11 سبتمبر (أيلول)

■ فيما يتعلق بمسألة الصوفية؛ هناك من يقول بأن الصوفية هي الطريقة الأنسب لتقديم الإسلام بعد 11 سبتمبر (أيلول). (يضحك الشيخ الجفري) وذلك

لأنها لا تركّز على المواجهة، لا تركّز على القتال؛ وفي المقابل هناك من يقول بأن هذه إحدى عيوب الصوفية، أنها لا تمارس التحديات التي يجب أن تضطلع بها الأمة. أنت ما تعليقك؟

- في تقديري أننا بحاجة إلى أن نقرأ التاريخ، والذي يقرأ التاريخ القريب، والبعيد، لن يستطيع أن يرى راية جهاد حقيقية لم تحمل في طياتها عناصر التخريب أو عناصر التطرف إلا والصوفية هم على رأسها. إن أردت التاريخ القريب عمر المختار كان من الصوفية، كان من أتباع الطريقة السنوسية، إن أردت الجزائر الأمير عبد القادر الجزائري، إن أردت الشام الشيخ الهاشمي، إن أردت أندونيسيا فالحملات التي حاربت البرتغال في شربون، إن أردت عندنا في حضرموت.

■ **أنت قلت في مقابلة: لن تجد حركة إسلامية استطاعت أن تخلّف أثراً في العصر الحديث إلا كان لها أثر.**

- (مقاطعًا): أثر إيجابي نعم.

التصوف ليس مذهبا خامسًا

■ **هذا على اعتبار أن هناك حركات أسهمت بآثار سلبية مثلاً؟**

- كل حركة إسلامية لها إيجابيات ولها سلبيات، لكن هناك حركات غلبت إيجابياتها سلبياتها، فلا تكاد توجد حركة إسلامية لها إيجابيات بارزة في الأمة إلا مبتدؤها كان له ارتباط بالقوم. ينبغي أن نفهم أمراً يغفله أكثر الناس وهو أن التصوف ليس شيئاً شاذاً أو مذهباً خامساً مع المذاهب الأربعة، أو طائفة غير طائفة أهل السنة، التصوف عند أهل العلم، لا أتكلم عن التصوف الذي تنقله

قناة (الجزيرة) أو (العربية) أو بعض القنوات كقناة (إقرأ)؛ في صور الناس الذين يرقصون، أو الناس الذين يطوفون على القبور، أنا أتكلم عن التصوف العلمي؛ العلم السلوكي.

■ **كيف يمكن لنا أن نفرق بين هذا وهذا؟**

- بقواعد الصوفية أنفسهم، عندما تقرأها.

■ **لكن هؤلاء أيضاً يقولون: نحن صوفية!**

- نعم، عندما نرجع إلى الكتب، إلى تنظير هذا العلم، يعني مثلاً: في علم الحديث يوجد من انتسب إلى علم الحديث وأشير إليه بالبنان بأنه من علماء الحديث، وهو من وضاع الحديث على رسول الله، فلا يتأتى نقد علم الحديث لأن فيه مَنْ وضع، لا يتأتّى نقد علم التوحيد لأن فيه مَنْ جسّم، أو فيه من عطّل.

■ **(مقاطعاً): شيخ الحبيب، هل أنت تتحدث عن التصوف كسلوك؟**

- أتحدث عن التصوف كعلم من علوم الشريعة، يُعنى بتقويم سلوك الإنسان؛ بتقويم النفس البشرية وكيف ترتقي في تقويمها، هذا العلم الذي يمثل مقام الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

طواف القبور مسألة فقهية

■ **قلت لنا بأن الصوفية ليست منهجاً فكرياً، وليست ما تقدمه بعض التلفزيونات عن الدراويش مثلاً، الذين يطوفون على القبور أو نحوه، هل ترفضون هذه**

المظاهر؟

- نعم، الطواف على القبور محرّم عندنا شرعاً، لأن الطواف بغير الكعبة لا يُشرع، لكن ثمة مشكلتان، المشكلة الأولى: هل مسألة الطواف على القبور أو مسألة التوسل من قضايا التصوّف؟ هذا خلط.

■ أهي من قضايا الفقه؟!

- نعم من قضايا الفقه.

■ أليست من قضايا العقيدة في نظرك؟

- هنا المسألة الثانية، وهي أن كثيراً من القضايا التي كانت عند علمائنا من الحُفاظ ومن الفقهاء، وُضعت في حيّز الحلال والحرام، أو في أقصى حالاتها، في حيّز فروع العقيدة، ثم أعطيت بعد ذلك اسم أصول العقيدة فصار المخالف فيها خارجاً عن الإسلام.

■ والطواف في تقديرك من القضايا..!

- (مقاطعاً): من الفروع.

■ طواف القبور من الفروع؟

- وليست من فروع العقيدة، ولا حتى من فروع الحلال والحرام، هل يجوز الطواف بالقبر أو لا؟ لأن الطواف بالشيء ليس بعبادة له، وإلا لصرنا عبّاداً للكعبة لأننا نطوف بها.

■ ليس بعبادة لمن يطوف؟

- أنت لا تعبده عندما تطوف عليه.. وإلا صرت أنت تعبد الكعبة في طوافك

بالكعبة، الطواف بالقبور حرام لكن عندما يتحوّل...

■ لكنه ليس شركاً؟

- عندما يتحوّل من حرام إلى شرك هنا يتدخل السيف وهنا يتدخل العسكري، وهنا يتدخل الإقصاء وهنا يأتي التكفير، وهنا يدخل الصراع بين المدارس.

■ أنت في تقديرك أن الطواف على القبور حرام؟

- نعم.

■ إذًا هو ارتكاب لمحرم، أي أنه مسألة فقهية وليست مسألة عقدية؟

- بلا شك، وهذا ليس اعتقادي فقط؛ هو ليس رأيي فقط؛ هذا الكلام الذي نص عليه العلماء في الكتب. عندما تقرأ في كتب الفقه ترى هذا منصوصاً عليه قبل 200 سنة، أو بمعنى أدق قبل القرن الثامن، كان الكلام عن القبور ومتعلقاتها من أبواب الفقه.

السجود بين الاحترام والعبادة

■ مسألة فقهية وليست مسألة عقدية أليس كذلك؟

- من بداية تقعيد علم الفقه، كانت مسألة القبور وبناء القبور والطواف على القبور من القضايا الفقهية، لكنّا فوجئنا بعد ذلك في القرن الثامن. ثم ماتت بعد القرن الثامن، وأحييت في القرنين الماضيين على أنها مسألة من العقيدة، بل من أصول العقيدة، بل الذي يخالف فيها خرج على الإسلام.

سأذكر لك على سبيل المثال؛ كنا في الحج، فزارني بعض الأفاضل من القضاة، فاشتكى أحدهم من الغلو الذي يراه، من وجهة نظره، يحصل عند قبر النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - قال لي: أنا الأسبوع الماضي رأيت من يرتكب شركاً أكبر وهو يسجد إلى قبر النبي، فقلت له على رسلك السجود إذا كان بقصد العبادة هذا شرك، وهذا لا يفعله مسلم، والسجود إذا كان بقصد الاحترام هذا إثم حرام، لأنه قد كان جائزاً في شرائع سابقة، يعقوب وزوجته وأولاده سجدوا ليوسف، والملائكة سجدت لآدم. والأمور المتعلقة بالعقيدة لا خلاف بين الشرائع فيها.

■ **ما رأيك يا شيخ بحديث: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» هل هو هنا من باب التحريم؟**

- من باب التحريم بلا شك.

■ **إذًا السجود المفضي للشرك إذا كان المقصود به العبادة فقط...!**

- (مقاطعًا): هو شرك؛ وهذا لا يوجد بين المسلمين، وإذا كان المقصود به الاحترام فهو إثم وحرام. في الشرائع التي كانت قبلنا كان جائزاً، ولهذا سجد - كما قلت لك - إخوان يوسف ووالده - وهو نبي من الأنبياء له.

■ **وبالتالي فإن شرع من قبلنا هو شرع لنا. أليس كذلك؟**

- على خلاف، لأن شرعنا هنا جاء ناسخاً لهذا الشرع. النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - نهى عن السجود لغير الله، فصار الأمر حراماً عندنا؛ أتعرف ما الفرق؟ في الحالتين هو ممنوع. لكن الفرق بعد ذلك في التعامل معه عندما يحصل. الشخص الذي سألني قال: أنا نهرت وركلت، أو نهرت هذا الرجل الذي سجد وقلت: رسول الله يكرهه، قلت له: لو رجعت إلى المجلد الرابع من سير

أعلام النبلاء للحافظ الذهبي لوجدته يقول: «ولو أن أحداً أساء الأدب فسجد إلى قبر رسول الله فينبغي أن ينبّه بلطف، لأنه ارتكب حسناً وسيئاً، وما حمله على هذا الفعل وعلى البكاء والصياح وتقبيل الجدران إلا حبه لله ولرسوله، وهو المعيار والفارق بين أهل الجنة والنار»، هذا كلام الحافظ الذهبي القائم على علم يقول: هذا خطأ وحرام ونحن ضده. فنحن نتفق على أن السجود للصالحين أو للقبور ونتفق على أن الطواف على القبور هذا شيء محرّم؛ لكن بعد ذلك توصيفه هو الذي يحدد كيفية التعامل معه، نحن اليوم نعاني من صراعات، ما كنا بحاجة إليها في داخل البيت الإسلامي، ولا في الخطاب الإسلامي.

توصيف الشرك

■ **متى يرتكب المرء شركاً في تقديرك يا شيخ الحبيب؟**

- سيدي، الشرك وصف قلبي، قد يعبّر عنه بلفظ أو بفعل، وعند التعبير عنه بلفظ أو بفعل، إما أن يكون صريحاً كسبِّ الذات الإلهية؛ هذا كفر وردة والعياذ بالله؛ أو صريحاً بدعوى الألوهية للغير، دون أن يقصد حكاية شيء. أي واحد يقول: أنا ربكم الأعلى. ما أستطيع أن أقول عنه إنه كافر، لأنه كان ربما يتلو جزءاً من القرآن، كلام فرعون؛ إذاً فلا بد أن أتأكد ما المقصود من هذا الكلام! وكذلك السلوك.

■ **أي لا بد أن تقام عليه الحجة برأيك؟**

- لا بد أن يُسأل: ماذا تقصد من قولك هذا؟ فالمشكلة أننا نحكم على ألفاظ وعلى تصرفات قبل معرفة مقاصد الذين يفعلونها؛ قد تكون خاطئة أو قد تكون صائبة، وفي حال كونها خاطئة، فعلى أي مستوى هي من الخطأ؟

التكفير ظاهرة؟

■ **برأيك لماذا انتشرت ظاهرة التكفير بين المسلمين في الآونة الأخيرة بشكل واضح؟**

- هي نتاج لعدة تراكمات؛ أحد هذه التراكمات انتشار فكر ومدرسة كان أحد إشكالاتها هذا الذي نتكلم فيه، الاضطراب في توصيف الاختلاف، جعل المسائل الفروعية بمرتبة المسائل فوق الأصولية. هناك أمر آخر وهو عدم الاستعداد لتقبّل تنوع الرأي الذي أسسه لنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - :«لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»، بعضهم ترك الصلاة وواصل، وبعضهم صلى وواصل، وللاثنين دليل وصلة بالدليل.

■ **وأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

- وأقرهم رسول الله على ذلك. هذا أخذ ظاهر النص، ما صلى إلا لما وصل بني قريظة، الثاني قال أراد رسول الله الإسراع فأسرع. فأقر رسول الله الأمرين. هناك مدارس أنشئت أو مدرسة أنشئت في القرنين المتأخرين، حملت على عاتقها القول الواحد، وأعطت فهم النص عِصمة النص؛ النص معصوم، لكن فهمي وفهمك للنص غير معصوم، فعندما أُنزل فهمي للنص منزلة النص هنا تأتي المشكلة.

أضف إلى ذلك أن الاستثمار السياسي في العالم الإسلامي لمثل هذا الأمر. لمدة معينة، من عدة دول في العالم الإسلامي. كان له أيضاً الأثر السيئ لانتشار التكفير. أيضاً سطحية التعامل مع الخطاب الإسلامي من قبل الأنظمة في العالم الإسلامي، أي التعامل مع الخطاب الإسلامي، على أنه، إما كمالة عدد، كما يقولون، أو على أنه، شيء مزعج يجب أن يُستأصل قبل أن يستفحل... أو أنه شيء يمكن أن يُستثمر.

■ (مقاطعًا): أو يساهم في تحجيب الفنانات.

- يضحك الشيخ الجفري ثم يجيب: أو أن يُستثمر، فيكون وسيلة للوصول إلى قصد سياسي، وهذه كلمة أوجهها للمسؤولين في العالم الإسلامي بمحبة؛ أخاطبهم بمحبة: الإسلام دين الله. مهما حاولنا أن نستثمر الإسلام لتوازنات سياسية معينة، لا لخدمة دين الله، فالنتيجة على المدى البعيد، لابد أن تكون سيئة.

شيخ النخبة!

■ **أنت قبل قليل وجهت رسالة للسياسيين المسؤولين في العالم العربي والإسلامي، اخترت النخبة لتوجّه لهم رسالة؛ هناك وصف دائماً يُطلق عليك وهو أنك شيخ للنخبة، شيخ لرجال الأعمال، شيخ لوجوه المجتمع، للفنانين، لأكثر من جهة، هل يزعجك هذا الوصف؟**

- تزعجني الأسس التي اتُّخذ عليها القرار بأن يصدر هذا الوصف، بمعنى نحن الآن كنا نتكلم عن قضية، أو جزئية في قضية، الزمام فيها إلى ولاة الأمر فلا يتأتى أن نوجّهها للجمهور.

■ **أنا أردت مناسبة لأسأل، هل هذا مثار في لقاءاتك؟**

- نعم هذه الدعابة منك، لكن أيضاً أريد أن أوضح أنه من الإشكالات التي نعانيها، أننا أحياناً عند الخطاب الإسلامي نوجّه الخطاب إلى غير أهله، عندما يصعد خطيب على المنبر، ويشتم ويكيل الشتائم للحاكم، ويوجّه الخطاب لأناس لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، وبالتالي لن يستطيعوا أن يبنوا شيئاً، هو يصيب الخطاب الإسلامي بخلل في تصرفه. لكن الأمر الذي تذكره أنت،

مسألة النخبة، هذا غير صحيح؛ يمكن لأن في مصر الكاميرات أو آلات التصوير لا تتبع إلا الفنانين أو رجال الإعلام أو السياسيين، فإذا دخلت إلى هذه المنطقة التي تكون الأضواء مسلّطة عليها برزت، وعندما أذهب إلى الناس الذين لا يُلتفت إليهم لا يبرز هذا، فصار البعض يردد هذا التصنيف.

■ أنت تذهب للكل!

- (مقاطعًا): الحمد لله، في مصر كنا نجلس مع من ذكرتهم، في بيوت من ذكرتهم من الفنانين، من رجال الأعمال، من المسؤولين؛ أيضاً كنا نجلس في بيوت الفقراء، كنا نذهب إلى الصعيد، كنا نذهب إلى الفلاحين، كنا نجلس على الحصير ونأكل العيش والدقة، وفيها لذة لا توجد في الأماكن الأخرى.

أزمة الفتاوى

■ تحدثت في لقاء سابق عما اصطلحت على تسميته بأزمة الفتوى، قلت إن هناك أزمة في العالم الإسلامي فيما يتعلق بالفتوى. تحدثت عن إشكالية في تغيير الفتاوى من فترة إلى فترة في نظرك ما سبب هذه الأزمة في العالم الإسلامي؟

- ثلاثة أسباب. الأول: أن قرار أهل العلم لم يعد بأيديهم...

■ هل أصبح بأيدي الساسة؟

- جزء كبير منه...

■ أو الجمهور؟!

- أو الجمهور، الله يفتح عليك. السبب الثاني. أن هناك خللاً نوعيًا في صفوف المتلقي للعلم، فقبل حوالي 50 سنة إلى 100 سنة وقبل ذلك كان طلب العلم الشرعي هو منية الصفوة، الأذكى من الأبناء يوجّه إلى العلم الشرعي، الآن يعني الفاشل من الأبناء يقول: «لا حصّل طب ولا هندسة ولا... طيب يلاّ ودّوه شريعة!»

■ حتى في الماضي الذي لا يستطيع أن يفلح ويعاني من أزمة صحية فهو الذي يتوجّه للعلم، طلباً للبركة...

- مثلاً... فهذا إشكال، لكن في فترة واسعة من الفترات عندنا عندما كان علم الشريعة...

■ (مقاطعًا): لكن هذه إشكالية تفرضها الحاجة يا شيخ، فالشخص العليل في جسمه لا يستطيع أن يخدم في الأشياء الأخرى.

- (مقاطعًا): هذا يُرحب به، لكن لا يكون وحده هو الذي يتولى، بمعنى أن تكون النظرة إلى من يتوجّه إلى سلك طلب العلم نظرة إلى أنه سيتخاطب مع الناس بعد ذلك، أنت ماذا تنتظر من العالم بعد هذا؟ أن يبلّغك أنت أيها الإعلامي، ويبلّغك أنت أيها السياسي صاحب القرار، ويبلّغك أنت يا صاحب المال، ويبلّغك أنت أيها الفلاح، ويبلّغك أنت أيها العامي؛ يبلّغك أمر الله، فهو الذي يوصل إليك حكم الله في الوجود، فكيف لا تنتقي الصفوة لتكون هي التي تتولى مثل هذا الأمر! السبب الثالث: في الاختلال الموجود اليوم في الفتوى هو محاولة استغلال الظرف السيئ الذي تمر به صفوف طلبة العلم اليوم، والعلماء اليوم

لست مفتياً

■ تقصد الإسلاميين!

- الإسلاميين، عموماً، وأتكلم عن طلبة العلم، هناك تكلمت عن الفتوى، الفتوى ليست مهمة كل الإسلاميين، هي مهمة الفقهاء، فأنا لست بمفتٍ.

■ أنت قلت أيضاً في إحدى المرات بأن الداعية أيضاً ليس مفتياً.

- ليس كل داعية بمفتٍ، لكن من الممكن أن يكون داعية ومفتيًا.

■ هل تصنف نفسك شيخ الحبيب الجفري على أنك داعية أم على أنك مفتٍ؟

- خادمٌ للدعوة وطالب للعلم، لكن لا أرى أني مفتٍ.

■ متى يمكن أن تكون مفتياً؟

- عندما يشهد لي مشايخي بأن تحصيلي للفقه يخوّلني للفتوى، أما الآن فأنا طالب للعلم.

من يختار المفتي؟!

■ أي عندما تمر بمراحل تحصيلية علمية، من خلالها تستطيع أن تُمسك بأدوات الفتوى؟

- هذا جزء من الأزمة. من الذي كان ينتقي المفتي على مدى التاريخ؟ العلماء هم من يرشحون أو يعتبرون فلاناً أهلاً للفتوى، وخمسة أو ستة أو

سبعة من حواليه أهلاً للفتوى، فيأتي الحاكم ليختار أحد الذين قيل إنه أهل للفتوى.

■ والآن من الذي ينتقي؟

- الآن السياسي هو الذي ينتقي، صاحب القرار هو الذي ينتقي والمقومات للانتقاء...

■ لكنه يستشير عادة أهل العلم.

- المسألة نسبية... الذي أريد أن أقوله هنا: إن الكلمة اليوم في بيت الفتوى ليست عند أهل العلم.

■ عند أهل السياسة!

- نعم عند أهل السياسة.

■ أو الجمهور!

- بيت الفتوى الرسمي عند أهل السياسة، وبيت الفتوى الفعلي.

■ (مقاطعًا): الشعبي عند الجمهور.

- الشعبي في الفضائيات عند الجمهور، وإذا استمر على هذا الحال فإن التناقضات ستستمر في الأمة.

■ ألا تعتقد أن هذه التعددية التي تظهر من خلال الفتوى عبر هذا الكم الهائل من القنوات الفضائية يمكن أن تقدم إسلاماً تعددياً يكون مناسباً للمرحلة؟

- لا أظن.

■ إذًا ترى أطّر الناس على فتوى واحدة في تقديرك؟

- قطعاً لا.

■ إذًا؟

- إذًا. نقول ما هي مقومات الفتوى؟ عند اكتمال مقوّمات الفتوى عند زيد أو عمرو من الناس هو الذي يصلح للفتوى، النتيجة لفتواه بعد ذلك هي التي ستثمر التنوّع، لأنها قامت على أسس منهجية؛ فلست مع توحيد الفتوى، ولا مع شعبية الفتوى.

تقاطع الإعلام مع الخطاب الإسلامي

■ سُئلتَ مرة عن الدعاة الجدد، أو من يمكن أن يُطلق عليهم المشايخ الجدد، وقلت: «هناك مشكلة أخرى كبيرة وصميمية وهي فهمنا لعمل الإعلام، فليست وظيفته تلميع النجوم في أي مجال من المجالات، وكون الإعلام جعل هذا وهذه وظيفته فهو فاشل، وإن أبرز نجاحاً في بعض مراحله». أنت تتحدث عن الإعلام الآن بتخصص، مع أنك لا تحب أن تتحدث إلا في تخصصك!

- أتحدث سيدي عن تقاطع الإعلام مع الخطاب الإسلامي وهذا تخصصي، ولكن واجبه تشكيل وبناء النفس الإنسانية، فإذا ولي الإعلام من يراعي حق الأمانة، كان سبباً في اهتداء أمه، وإذا ولي الإعلام من لا يراعي حق الأمانة فهنا تأتي الكارثة في الأمة.

■ **من يحدد حق الأمانة أيضاً؟ هل هو التيار الإسلامي فقط؟**

- لا... وهذه من المشاكل؛ إن الإعلاميين مثلاً يريدون أن يكون الحق لهم، وإن بعض الإعلاميين وبعض أصحاب التيار الإسلامي يريدون أن يكون القرار لهم، في قضية مثل هذه تتطرق إلى تخصصين؛ تخصص إسلامي وتخصص إعلامي ينبغي أن يكون للاثنين القرار، لكن وفق معايير متفق عليها وهي...

■ (مقاطعًا): **الآن فقط الإسلاميون بينهم لم يتفقوا على معاييرهم، يتفق الإعلاميون والإسلاميون على معايير؟**

- يا سيدي المساحة اليوم للاتفاق كبيرة في حال وجود شيء واحد.

■ **النية؟**

- النية الصادقة والإنصاف أثناء العمل من النفس، يعني أن نترك قضية تحويل الوسائل إلى غايات، الإعلام وسيلة. هو وعاء لنقل شيء.

■ **والفكر هو الغاية!**

- والفكر هو الغاية، الفكر ليس علي الجفري ولا تركي الدخيل، الفكر أسمى من ذلك، علي الجفري، تركي الدخيل، زيد وعمرو من الناس محاولات لإثراء الفكر، محاولات للارتقاء بالفكر، محاولات لإيصال الفكر إلى الآخرين، هذا أمر ينبغي أن ننبه عليه؛ الخلط بين الوسائل وبين الغايات.

الصوفية والاستعمار

■ **الشيخ علي، عودةً إلى الحديث عن الصوفية من جديد؛ الصوفية متهمة بأن الاستعمار يعزّز وجودها في العالم العربي والإسلامي، لأنها لا تقوم بأدوار مناوئة له، كما يجب.**

- هذه حيثيّات تشبه حيثيات اتهام الإسلام بالإرهاب، لأنها لم تقم على أسس صحيحة. المشكلة أننا قليلو القراءة، أي أن الأمة اليوم ما عادت تقرأ كثيراً، أيضاً لا تملك آلة اختيار القراءة، أي ماذا تقرأ، أصبح يُقدم لها ما تقرأ، ما يُعبَّر عنه اليوم بالفطائر والساندويتشات المكتوبة؛ فأين الذي يقرأ أمهات كتب التاريخ مثل: البداية والنهاية، أو شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مثل عدد من كتب التاريخ المعتمدة عندنا كأمة، كمسلمين.

■ **تعني كتب السّير والتاريخ؟**

- التاريخ والطبقات، الذي يقرأ كتب التاريخ، ما قبل عهد الاستعمار مباشرة، ثم في عهد الاستعمار يجد أن حُمّال رايات المواجهة الصحيحة المتزنة والذين أيضاً دفعوا ثمنها هم الصوفية، يعني شيخنا الحبيب عمر بن حفيظ أحد مشايخي في اليمن والده قُتل لا نعرف إلى الآن كيف قُتل، ولا أين قُتل، ولا أين دُفن، فقط لأنه رفض الرضوخ أمام الشيوعية، وفي نفس الوقت نجد اليوم من يتّهم، فهي مفارقة غاية في الغرابة، وربما لعبة الإعلام ولعبة التعليم اليوم لها الأثر في ذلك.

مناوشات داخل الصوفية

■ قبل قليل تحدثت عن تياراتٍ متناحرةٍ في الخطاب الإسلامي، إن صحَّت العبارة، لكن هناك من يقول: إنّ داخلَ التيار الصوفي أيضاً مناوشاتٍ كثيرة، بعض مجالس العلم التي عقدتموها بالحجاز حظيت ببعض ردودِ الأفعال المناوئة، يمكن، إن صحّ التعبير، تسميتكم ضمن المدرسة التنويرية داخل المدرسة الصوفية، فكيف ترون هذه الانتقادات التي وُجّهت لكم؟

- لعلّكم في أثناء الحديث تأتون لي بتراكمات مع بعضها البعض، وخوفكم من انتهاء الوقت قبل أن تُفرغ ما في جعبتك من الأسئلة، المسائل لا تكون هكذا إن أذنت لي!

■ (مقاطعاً): نريد أن نكسب منك معلومات أكثر في الوقت المتاح يا شيخ... هل هناك فعلاً نزاعات في التيار الصوفي تمثّلت في الاعتراض على بعض مجالس العلم التي عُقدت في الحجاز؟

- الاختلافات موجودة في كل مكان، لكن لا يمكن أن يكون الذي سألتَ عنه يصل إلى حدّ النزاع، الاختلاف كان في أمورٍ جزئية، هذا الاختلاف سرعان ما تلاشى واختفى عندما ظهرت النتيجة، أو ظهر المقصود.

■ ما هو محور الخلاف؟

- كان الاختلاف حول هل من المناسب أن نعقد مجالس للذكر ومجالس للتعليم على المذهب الشافعي السني في داخل المملكة العربية السعودية، في وقت تمنع المؤسسة الدينية في السعودية مثل ذلك، ولا ترضى إلا أن يكون على منهجها؟، هذا أحد الاختلافات، هل هذا مناسب؟ أم أنه سيسبب لنا مشاكل؟ هذا أحد ملامح الاختلافات التي كانت موجودة.

■ **أي، هناك تيار يرى أنه لا يجب أن تُعقد مثل هذه المجالس، وتيار..**

- (مقاطعًا): كان هناك تيار يرى أن هذا قد يُسبب مشاكل للناس الموجودين، قد يُسبب مشاكل للمقيمين غير السعوديين...

وقف حلقات المذاهب الأربعة

■ **(مقاطعاً): هل عقدها؟ أم عقدها في العلن وبشكل واضح؟**

- مجرد عقدها، لأنه للأسف كثير من أفراد المؤسسة الرسمية في المملكة لا يتقبّلون وجودا لأي أحد، بل قد يحاسبون الإنسان على ما يخطر في باله، فمثلا أن أقف أمام الشباك الشريف، أمام ضريح النبي - صلى الله عليه وسلم - أُسلِّم، حتى يدي لا أرفعها (يضحك) فيأتي شخص ويقف بجانبي ويقول: ماذا تقول؟ انتبه لا تستغث، هنا تُشرك. فهناك شيءٌ من التدخل في جزئيات الجزئيات لخصوصيات الإنسان، هذا أورث عند الموجودين ردة فعل، ردة الفعل هذه جعلت كثيراً من الشافعية، من المالكية، من الأحناف يتخوّفون، خصوصاً بعد إيقاف حلقات العلم في الحرمين والتي كانت تُدرِّس المذاهب الأربعة؛ فالملك عبد العزيز - رحمة الله تعالى عليه - أبقى حلقات التعليم على المذاهب الأربعة، كذلك الملك فيصل، وجزء من عصر الملك خالد، ثم فجأة فوجئنا بالمؤسسة الرسمية تُوقف الحلقات التي تُعلِّم المذاهب الأربعة، هذا هو القتل للتنوّع...

■ **ألا ترى أنه صدر من هذه الحلقات ما يخالف المنهج الصحيح برأي المؤسسة الرسمية؟!**

- لو ناقشت لتقبّلنا؛ لو اتّخذت طريقة: تعالوا ماذا كنتم تدرّسون؟ لنا وجهة نظر

فيما تطرحونه، نسمع وجهة نظركم، خذوا وجهة نظرنا، سيصل الناس إلى شيء.

■ لكن في الفترات التي تحدثّت عنها، كان بعض علماء الصوفية أيضاً، ينخرطون في جزء من المؤسسة الرسمية ويُشاركون، لأنهم ربما لم يُظهروا توجهًا مخالفاً وهذا أحد عوامل الخلاف.

- وهذا سلبي أم إيجابي؟ أنهم ما استطاعوا أن يُظهروا الشيء الذي لا يتناسب مع السائد...

■ أنا أسألك هل هو سلبي أو إيجابي؟

- سبقتك في السؤال. عندما يكون طلبة علم عندهم توجّه مبني على أسس، متلقّى بسند متّصل، ومدارس معترف بها في العالم الإسلامي ككل، ثم يصل بهم الأمر إلى الحد أن يضطرّوا إلى إخفاء انتمائهم لمذهب من المذاهب الأربعة المجمع عليها، والمتلقاة بالقبول في الأمة، خوفاً من أن يُتّخذ ضدهم موقف، أعتقد أن هذه حالةٌ مأساوية.

■ هل حسمت مسألة الخلاف في داخل المدرسة الصوفية إن صحّ التعبير؟

- في الجزئية التي سألت عنها نعم، ولكن يبقى في كل مدرسة...

شرائط الفضائح

■ الخلاف موجود، لأن هذه أثارت ردود فعل وأشرطة توزّع، و«سيديات» توزّع وردود يعني...

- من داخل المدرسة، لا... لا.

■ **أنا أمامي شريط، «سي دي» قرص مدمّج وُزّع، كان ردّاً على فضيلتكم، كان فيه... وإذا سمحت لي أعرضه، اسمه: التوضيح الجلي في فضائح الجفري.**

- هذا لم يكن من داخل المدرسة الصوفية.

■ **من خارج المدرسة؟**

- هذا كان من المؤسسة... من أبناء المؤسسة الدينية الرسمية في المملكة.

■ **لكن داخل المؤسسة...**

- أبداً... أبداً.

■ **تقصد أنه كان خلافاً عائلياً؟**

- نعم، كان خلافاً على الكيفيّات، في التبيان الجلي، وفي موقع على الإنترنت، أو خمسة أو ستة مواقع، وهناك مواقع أقامها شباب للرد عليهم، وإيضاح الأخطاء، الشيء الذي يُؤسفني في هذه الجزئية فقط: ليس أن تختلف معي، ولكن أن تخالف قواعد الذوق والتوثيق في الاختلاف، أن تقصّ جزءاً من كلامي على قاعدة: «ولا تقربوا الصلاة» وتعرضه على الناس لتدينني، أن تُمنتج مجلساً كنتُ أجلس فيه مع مجلسٍ آخر أنا لا أقرّ الذي يحصل فيه من طعن أو ضرب شيش أو غيره، ليشعر المشاهد للشريط أو للموقع في الإنترنت أني كنت جالساً مع هؤلاء.

■ **هل يؤذيك هذا الابتسار أحياناً شيخ الحبيب؟**

- الاختلاف أو هذا الأسلوب؟

الخلاف لا يفسد للود قضية

■ **الابتسار، أي هذه الهجمة التي أحياناً تُثار في بعض مواقع الإنترنت عليك؟**

- المضادة لا تؤذيني، لكن الذي يؤذيني مخالفة القواعد المتفق عليها إنسانياً، فضلاً عن أن يُتفق عليها إسلامياً، وهي الإنصاف، عندما تختلف معي اعرض رأيي وانقده بما تراه الحق.

■ **ليست عندك مشكلة بالنقد؟**

- أبداً بالعكس، النقد وسيلةٌ لارتقائي، إذا أنصتُّ إلى النقد، ونظرت إلى مواطن الخطأ التي عندي وتداركتُها فهذا أسدى إليّ معروفاً، لكن هناك أمرين أزعجاني، الأمر الأول: الافتراء، أي أن يُكذب عليك، أن يُقصقص كلامك، أو أن يُضاف إلى كلامك شيئاً لم يكن موجوداً، الجزئية الأخرى: تحجيم قضايا صغيرة، وتحويلها إلى قضية الأمة.

■ **تحجيمها أو تكبيرها؟**

- أقصد إعطاءها حجماً كبيراً، تضخيم نعم، أن نعطيها تضخيماً ونجعلها قضية الأمة ونحن نُضرب في ظاهرنا، ونُضرب في فكرنا، ونُضرب في أرضنا، ونُضرب في نسائنا، وفي رجالنا.

■ **من تقصد بـ «نحن» ؟**

- المسلمون... ما أظن أنك تخالفني أنه لا يكاد يمرّ يوم، إلا وهناك غصصٌ تتجرّعها الأمة في فكرها وفي علمها وفي تراثها وفي أرضها، وفي دمائها.

الحوار مع السلفيين

■ كنت تتحدث عن ضرورة لم شمل التيارات الإسلامية، ماذا بذلتم أنتم مثلاً للالتقاء مع مناهج أخرى مثل منهج السلفية، الذي بينكم وبينه الكثير من الخلاف والعداء إن صح التعبير؟

- الفقير إلى الله طرق أبواب عددٍ من المشايخ.

■ من زرت بالتحديد؟

- زُرت الرجل الفاضل الشيخ صالح بن حميد، رئيس مجلس الشورى في المملكة، ووجدت منه من الأخلاق العالية وحسن الترحاب، وجميل اللقاء ما يدل على أن الرجل قائمٌ على علم، ولم أستغرب ذلك لأنه فقيه، لم يأخذ المسألة هكذا، وأبوه كان فقيهاً، وفي مصر التقيت برئيس أنصار السُّنة الآن، كان نائباً له جمال المراكبي، وكان معه الشيخ محمد حسين يعقوب، واختلفنا كثيراً على الأسلوب وعلى المنهج.

■ في التفاصيل!

- في التفاصيل، ووجدت الشيخ جمال أقرب إلى القدرة على أن يناقش وعلى أن يحاور مِن غيره ممن كان معه... وطُلب أن أجتمع بعدد من الرموز الموجودة وفيهم من اعتذر، وفيهم من سبّ وفيهم من شتم.

■ طُلب، ماذا تعني بـ «طُلب» ؟

- كان هناك شباب، كانوا بالمدرسة التي تُسمى الآن بالمدرسة السلفية.

■ **أين التقيتم؟**

- التقينا في الحرم، نحن وهؤلاء الشباب.

■ **من طلب منكم؟ أنت تقول: طُلب. هل كان هناك تنسيق من...**

- لا... لا، الشباب هؤلاء التقيت بهم في الحرم؛ على سبيل المثال شاب في مصر درس سبعة عشر عاماً في الرياض، وهُيِّئ ليكون صوتاً من أصوات ما يُسمى بالمدرسة السلفية هناك في مصر.

■ **لماذا تقول «ما يسمى...»؟ هل تعترض على...**

- لأني أعترض على التسمية نعم، السلفية كلنا نقول إننا سلفية، إذا أخذنا مفهوم السلفية.

■ **مشاحّة في الاصطلاح؟**

- فلهذا قلت ما تُسمى بالسلفية.

مقاومة الحوار

■ **هل قابلت هذا الشاب؟**

- هذا الشاب قدراً قابلني في الحرم، قال: أنت فلان؟ قلت: نعم، قال: أنت شيعي ولاّ سني؟ قلت له: لا، إن شاء الله سني، قال لي: سني! بتسمح لي أسألك سؤالاً؟ قلت له: تفضل، قال: أنت صوفي؟ قلت له: الحكم عن الشيء فرعٌ عن تصوّره، إن كنت تقصد بالصوفي الطواف بالقبور، لا، وإن كنت تقصد بالصوفي ما ذكره الحفاظ والمحدّثون والفقهاء من العلم الذي يُعنى بصلاح

القلوب فأسأل الله أن أكون، فقال: هذه تحتاج إلى جلسة. جلسنا ثلاث ساعات، سمع مني أدلة وعزوًا إلى كُتب وكتبها، وأتاني في اليوم الثاني وهو متأثّر، وقال لي: «أنا صدمت الذي عزوت إليه كله صحيح، سألت شيخي الذي يدرّسني، قال: خلّك من هالكلام، وابعد عنه... لا تتكلّم مع هؤلاء ولا تناقشهم، وأنا الآن في إشكال»، الرجل بعد ستة أشهر استقر الوضع عنده على فهم معين، طلبَ أن أُقابل عدداً من مشايخ إخواننا من السلفية، لما جلست... قلتُ له: أنا مستعد أذهب إلى أبوابهم لأن أمامنا قضية: أكبر من قضية أنا وأنت، وهي قضية أمة.

■ **أين اجتمعتم؟ في الحرم المكي؟**

- هناك من يسّر الله تعالى الاجتماع به كالشيخ صالح، وهناك من رفض، ولا أذكر اسمه، وهناك من رفض بشدّة، وهناك من قال للأخ هذا: «أنت قليل أدب كيف تطلب منا أن نجلس مع هؤلاء؟»، فهذه كانت نماذج.

■ **ولم يتيسّر اللقاء في النهاية؟**

- بعضهم تيسّر اللقاء، وبعضهم رفض.

■ **في أي عام كان هذا؟**

- في العام 2002.

■ **ماذا أثمر اللقاء مع من التقيت بهم؟**

- كثيراً. أول ثمرة، اللقاء بنيّة صالحة، وباحترام وبموضوعية يُوجد نوعٌ من التقدير لكل طرف، نوعٌ من مساحة تقبّل. أن أفترض أن كلامه يحتمل الحُسن أكثر من افتراض السوء، يوجد مساحة للنقاش.

■ **ترى أن رأيك صوابٌ يحتمل الخطأ؟**

- ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، وهذا أنا وجدته موجوداً عند مثل الشيخ صالح بن حميد، لكن أتمنى أن يتحوّل هذا إلى أصل في المدرسة، نعم.

المدارس الفقهية والحوار

■ **فيما يتعلق بهذا النزاع داخل المؤسسة، هل أنت الوحيد من مدرستكم - إن صحّ التعبير ـ الذي سعى للقاء؟ هل هو توجّه ذاتي لديكم أم أنه توجّه عام؟**

- لا، هذا أصل المدرسة، مدرستنا قائمة على هذا الأساس، أي أن أهل المذاهب الأربعة، أهل هذا التوجّه، قاموا على الحوار، قاموا على التقارب، قاموا على التقرّب، على الالتقاء، حسبُك أن رجال المدارس، مدرسة المذاهب الأربعة كانوا تلاميذ بعضهم البعض: أحمد تلميذ الشافعي، والشافعي تلميذ مالك، وهكذا، فالصلة كانت قائمة، الإشكال هو الذي طرأ جديدًا وهو ما نرفض، على سبيل المثال شيخنا الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي - حفظه الله تعالى - طلب من سورية، ومن كبار علماء الأمة اليوم، طلب قبل أكثر من 15 عاماً أن يكون هناك لقاء بين الكبار، يُحسم به السفه الذي يحصل بين الصغار في المساجد، والصراع والطعان والسباب والشتم وإهدار الطاقات.

■ **نعم...**

- (متابعاً): والتقى بالشيخ الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، وطلب منه في أحد المؤتمرات أن يكون هناك لقاء، فوعده أنه إذا رجع إلى المملكة

أن يرتّب لذلك، ويقول الشيخ البوطي: إلى الآن لم يتم، وهذا ذكره الشيخ البوطي في بعض كتبه.

■ **ربما إلى الآن يرتبون للقاء؟**

- نعم لخمس عشرة سنة! إن شاء الله يأتي.

إغلاق واستثناء

■ **بعد 11 سبتمبر (أيلول)، قامت السلطات اليمنية بإغلاق 300 معهد ديني ومدرسة تابعة للشيخ الزنداني، و للشيخ مقبل الوادعي، الذي يمثل المدرسة السلفية تقريباً، لكنها أبقت على دار المصطفى في تريم، وهي مدرسة دينية صوفية، هل كان هناك في تقديرك اعتبارات سياسية جنّبت هذه الدار تلك الموجة من الإغلاقات؟**

- لا، ولكن الاعتبارات السياسية هي التي أورثت الإغلاقات، وليس التي جنّبت. نحن خارج المعادلة.

■ **هم يحتاجون إلى الإغلاق، وأنتم لا تحتاجون؟**

- ليس الأمر كذلك، هم لمّا فُتحت مدارسهم فُتحت على أساس اعتبارات سياسية معينة لدى الدولة، إبان الصراع الذي كان بين الشمال والجنوب، بين الحزب الاشتراكي والمؤتمر الشعبي، هذا الصراع اقتضى أن تكون هناك...

■ **(مقاطعاً): أيد تُستخدم؟**

- أن يكون هناك فكر أو عقيدة تواجه الشيوعية، فكان...

■ **هذا يعني أن المدرسة الصوفية لم تكن تستطيع أن تواجه الشيوعية؟**

- هذا غير صحيح، هي كانت ضحية الشيوعية، أول ما بدأت الشيوعية بدأت بهم: قتلت، ذبحت، سحلت، والدول المجاورة لم تفتح فمها... لم تنطق بكلمة، نحن علماؤنا ذُبحوا، سُحلوا قُتِلوا، ولم يتكلّم أحد.

■ **في النهاية من يموّل مشروعكم الدعوي؟**

- لأن المشروع الذي أكرمنا الله تعالى بالخدمة فيه لم يقم على أساس انتماء لنظام ولا لتنظيم، وإنما لخدمة الأمة ككل، فنحن نعاني أثناء سير هذا المشروع معاناة كبيرة في التمويل، إلا أن التمويل القوي الذي لا ينفد، هو ثقتنا بالله عز وجل، إنه هو الرزاق وإنه هو الذي ينصر دينه.

■ **لا شك، ولكن من باب الأخذ بالأسباب، من أين تأتيكم الموارد المادية؟**

- الأسباب التي تتكلم عنها، معونة هذا، زيد أو عمرو من الناس، معونة الأفراد الموجودة وعدد من شبابنا يعمل -الحمد لله-، ويشتغل، ونحن بصدد، أو بدأنا في داخل اليمن بمشروعات هي ما تزال في البداية.

■ **مشرعات تجارية؟**

- تجارية نعم، بعض الشباب بدأوها لكنها ما تزال في بدايتها.

الإيمان يمان

الحارس

«أسامة بن لادن أحب إليَّ من والدي»

ناصر البحري

أبو جندل ناصر أحمد البحري

الحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن

2007.4.27

كنا قد خططنا لتسجيل حلقة واحدة مع ناصر أحمد البحري (أبو جندل)، الحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن خلال رحلتنا إلى صنعاء. ولكن الأحداث التي استفاض في سردها كانت مغرية لإجراء حلقة ثانية، إذ أن التفاصيل الدقيقة في مثل حالة أبي جندل تصبح مهمة بعد أن يبتعد عنها الرجل، ويبدأ في تقييمها ووزنها بمنظار غير المنغمس في الأحداث، أو المتأثر بها مباشرة.

وأبو جندل، الحارس الشخصي لأسامة بن لادن، عُرف عنه أنه كان عدائياً بشكل صريح لدى استجوابه من قبل المحققين اليمنيين في سجن يمني بعد أحداث 11 سبتمبر، ثم زعم أحد المحققين أنه «لان» بعد أن قدم أحدهم له بسكويتاً غير محلى، وفي آخر المطاف قدم الرجل –المصاب بالسكري- خزيناً من المعلومات حول التنظيم وزعيمه. وفي لقائنا معه نزعم أنه قدّم كمًا هائلاً من المعلومات، ولكن من دون بسكويت غير محلى!

أما لماذا تحدث معنا وعلى مدار حلقتين، فلأننا كنا أول قناة عربية تجري معه لقاءاً، إذ كثيرًا ما قابل أبو جندل الصحافة الأجنبية، وكذلك لأنه ما يزال فخورًا بما فعله، راضياً بما آل إليه، بعد أن عاد إلى الوطن، يعمل سائق سيارة أجرة، على الرغم من اتهامات رفاق سابقين له بأنه عقد صفقة مع الحكومة اليمنية، أهم بنودها: «لا تتآمر ضد اليمن، ولا تحاول مغادرة البلاد، وسنتركك وشأنك».

يقدم أبو جندل في هذا الحديث (27-4-2007) صورة عن كيفية الانضمام

إلى القاعدة، فإلى جانب «التجنيد» المنظّم الذي يقوم به أعضاء مكلفون بهذه المهمة، فإن عدداً لا بأس به –وأبو جندل- من بينهم، هم متطوعون، أي أنهم هم الذين يسعون إلى الالتحاق بالتنظيم، وأسباب ذلك يسردها الرجل بالتفصيل، وفي سعيه للوصول إلى الهدف –القاعدة في أفغانستان- مر بمحطات «جهادية» عدة، كالبوسنة، والصومال، وكيف أنه تلقى التدريبات الأساسية في الأولى، وشارك في عمليات «إسناد» حربية، وكيف اختلف مع رفاق الجهاد من الصوماليين في الثانية، لكن حلمه في المحطتين كان الالتحاق بالقاعدة «الأم» في أفغانستان، وزعيمها أسامة بن لادن.

ثم كان أن تحقق حلم أبي جندل، وبدأ الرحلة الحقيقية إلى الجهاد في أفغانستان، وكان مقررًا أن ينتقل منها إلى أرض «جهادية أخرى»، طاجكستان، لكنه لم يدخل تلك الأرض، بل بلغ حدودها فقط، وهذه قصة مثيرة أيضًا. وفي طريق عودته إلى أفغانستان يروي أبو جندل كيف تغيّر وجه أفغانستان، بعد أن سيطرت طالبان على مناطق كانت سابقًا تحت سيطرة تحالف الشمال والدولة برئاسة برهان الدين رباني.

عندما اقترب الرجل من أسامة بن لادن، لم تكن لديه قناعة بالانضمام إلى تنظيم صارم، بل كانت قناعته أنه «مجاهد حر»، أينما فُتحت جبهة قتال، فهو جندي بها. وحكى ملابسات اللقاء الأول، حيث ألغى سفراً كان مقرراً إلى اليمن لإتمام زواجه بسبب ذلك اللقاء المثير. ثم كانت مرحلة تدريبية ثانية اعتبرها مختلفة عن تلك التي أمضاها في البوسنة، وكانت تلك المرحلة التدريبية حاسمة في مسيرة الرجل، لأنه اقترب أكثر من بن لادن، حتى بايعه، بل أصبح حارسًا شخصيًا له.

يسلط الحوار مع ضيفنا الضوء على تفاصيل يومية في حياة أسامة بن لادن،

وآليات حراسته، كما يرويها حارسه الشخصي ناصر أحمد البحري الملقب بأبي جندل.

ويروي أبو جندل كيف بايع «أبو عبد الله»، أسامة بن لادن، وقد سألناه عما إذا كانت مبايعة الرجل لا تزال دينًا في عنقه، فلم يستطع أن يحدد موقعه من تلك البيعة، تمامًا كما أنه لا يزال يشعر بالحيرة والتساؤل عن «تخليه» عن زعيم القاعدة، وهو الأمر الذي ترتّب عليه تكفيره من لدن بعض المنتمين للجهاد.

كيف كانت ترتيبات حراسة بن لادن، عدد الحراس، المناوبات، المهمات المنوطة بالحارس، والتصرف في الحالات الطارئة، عادات بن لادن في النوم والاستيقاظ، خروجه ودخوله واجتماعاته، والمقربون منه، ووصية زعيم القاعدة بقتله إذا ما أحدق به الخطر وأوشك على الاعتقال... كانت كلها محاور هامة في هذا الجزء، وقد فصلها أبو جندل بكل دقائقها.

ثم يحدثنا عن جانب هام من مسيرته، ذلك المتعلق بالتحقيقات في السجون اليمنية، والفارق بين وسائل التحقيق اليمنية (المحلية)، وتلك الأميركية (الخارجية)، لكنه لم يأت على ذكر مسألة البسكويت غير المحلى، كما ذكر ذلك الضابط الأميركي!

لم نُجَنّد في القاعدة بل تطوعنا

تركي الدخيل: الحارس الشخصي لأسامة بن لادن منذ 1996 وحتى عام 2000، حياك الله أخ ناصر. أول سؤال قد يتبادر إلى الذهن هو كيف تمّ تجنيدك بتنظيم القاعدة؟

أبو جندل: بسم الله الرحمن الرحيم، مسألة التجنيد هي مسألة صعبة، لأن لها معانٍ كثيرة، ولكن المسألة هي كيف تطوعنا نحن أنفسنا للالتحاق بتنظيم القاعدة .

■ **أي أنك أنت بادرت بشكل شخصي، ولم يدعك أحد؟**

- لم يدعني أحد إليه نعم، المسألة تفاعلت معنا منذ أحداث البوسنة والهرسك، وزادت بالصومال وأحداث طاجكستان وهكذا، فوصلنا إلى قناعات بأنه لابد من عمل منظم تحت قيادة ذات أهداف وذات استراتيجيات، ذات دراسات وبرامج.

■ **أنت تقول وصلنا، من تقصد بوصلنا؟ أنت شخصياً أم مجموعة كانت معك؟**

- نحنا كنا مجموعة، لكن أنا أحد عناصر المجموعة، حتى كان لنا مسمى، يسموننا مجموعة الشمال، أي العائدين من شمال أفغانستان على الحدود الطاجيكية، فكان لنا مسمى بين الشباب إلى حد قريب، كان مسمانا مجموعة الشمال .

■ **قبل أن تذهب إلى أفغانستان، كيف بدأت الفكرة عندك؟**

- الفكرة بدأت من داخل المملكة العربية السعودية .

■ أنت من مواليد السعودية؟

- أنا من مواليد السعودية، مدينة جدة في سنة 1972.

■ جنسيتك يمنية؟

- جنسيتي يمنية نعم؛ الفكرة بدأت من داخل السعودية، وكان سببها الرئيسي هو التقاءنا بكثير من الشباب العائدين من أفغانستان، والشباب الذين عادوا من الجهاد وذلك في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات.

■ كم كان عمرك في نهاية الثمانينات تقريباً؟

- كنت بحدود 17 أو 18 سنة، فكنا نجلس مع بعض الشباب.

■ هل كانت هذه بداية فترة تديّنك؟

- في الفترة نفسها كان الجهاد الأفغاني مشتعلاً، فكان كثير من الشباب عائدين من أفغانستان، وكان منظر الشاب عندما يدخل علينا، أو يتمشى في شوارع جدة، كشباب عرب يرتدون الزي الأفغاني والباكو الأفغاني، فكان شيئاً ملفتاً للانتباه، وكنا طبعاً بحكم صغر السن ننظر إليهم كأنه شيء من أيام الصحابة عاد إلينا، وننظر لعزة الأمة، وخصوصاً بعد ما تشاهد في التلفزيون مجازر في فلسطين ومذابح في أفغانستان، والأمة مضطهدة في كل مكان، فتجد أن هناك أبطالاً عائدين، رجالاً خاضوا معارك وكسروا شوكة العدو في أرض معينة، فأصبحوا قدوة لنا، ومثالاً جيداً نحتذي به.

■ فبدأت تشتعل فكرة الجهاد في داخلك.

- نعم.

■ **أول دولة كنت تريد أن تقصدها، أو أول مكان كنت تريد أن تقصده ما هو هذا المكان؟ لأني أنا أعرف أنك ذهبت إلى الصومال، وأفغانستان، وآسيا الوسطى، والبوسنة، فما هو أول مكان توجهت إليه؟**

- كنت أحلم في بداية الأمر أن أتجه إلى أفغانستان أيام الجهاد ضد السوفيات، ولكن كانت هناك مسألة، ألا وهي الاستئذان من الوالدين، فكان الوالد رافضاً الفكرة، والوالدة كانت مرحبة، هذا في بداية الأمر، لكن الوالد كان رافضاً الفكرة تماماً.

■ **والوالدة كانت متأثرة بالجو العام طبعاً!**

- لا، طبعاً الوالدة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ولكن عملية تفاهمي مع الوالدة أسهل من التفاهم مع الوالد، فكنت أستطيع إقناعها والتحاور معها، وكانت الوالدة بطبيعتها صدرها فسيح معي، تتقبل مني، كنت أجلس معها بالليالي ندردش حول مواضيع الالتزام والدين ومسألة الجهاد، فتقبلت الفكرة، لكن الوالد بحكم الشدة والصلابة لم يتقبلها بسهولة، فأنا التزمت برأي والدي، إلى أن اشتعلت أحداث البوسنة والهرسك وبدأنا نتابع المجازر التي تحدث في البوسنة، وكنا نتابع الصحف والإعلام والمجلات فأثرت فينا.

■ **هذا في بداية التسعينات، هل كانت البوسنة أول محطة لك؟**

- نعم.

■ **هل استأذنت من والديك؟**

- لا، لم أستأذن في هذه المرة.

الخروج فراراً

■ ذهبت فراراً؟

- ذهبت مباشرة، استفتيت فقيل لي بأن الجهاد فرض عين، فاكتفيت بالفتوى التي معي وتحركت على ضوئها.

■ من أفتى لك؟

- أخذنا فتاوى الشيخ عبد الله عزام، وأخذنا بعض فتاوى المشايخ في المملكة العربية السعودية، مثل عبد العزيز باحاذق، واستفتينا بعض طلبة العلم من الإخوة المعروفين مثل الشيخ خالد الحربي، فأفتونا بأنه فرض عين.

■ وبالتالي إذا كان فرض عين فلا تحتاج إلى استئذان!

- لا تستأذن المرأة من زوجها ولا الولد من أبيه ولا العبد من سيده، تتحرك مباشرة.

■ وكيف كسرت هذا الحاجز مع نفسك، أنك تخرج بدون رضا والديك، رغم أنه لم يكن لديك مشاكل داخل أسرتك؟

- لا، لم تكن هناك أي مشاكل أسرية.

■ كانت علاقتك ـ مثلما تفضلت ـ جيدة مع الوالدة.

- جيدة مع الوالدة ومع الوالد أيضاً جيدة، لكن الوالد بحكم أن حبه لابنه الكبير طبعاً، وأنا كنت الأول في الإخوة، فتعلق بي كثيراً جداً.

■ قررت أن تذهب إلى البوسنة في أي عام؟

- في عام 1994.

الطريق إلى البوسنة

■ وكيف سافرت؟

- خرجتُ من المملكة، بأن استخرجت ورقة مرور، استخرجتها من السفارة اليمنية بموجب شهادة الميلاد، وبموجب وثيقة الهوية للوالد لأني مضاف فيها، فصرفوا لي ورقة المرور، واتجهت مباشرة إلى صنعاء.

■ كان هذا أول خروج لك؟

- أول خروج لي من المملكة العربية السعودية بالكامل، لم أكن خرجت من قبل.

■ لم يكن عندك جواز سفر حينها؟

- استخرجته من صنعاء.

■ وسافرت على اعتبار أنك ذاهب إلى أين بالنسبة لأهلك؟

- لا، هم لا يدرون، فرار، حتى لم يعرفوا في أي اتجاه سافرت، لم أكلمهم إلا بعد سنة من خروجي من البيت.

■ وتركتهم سنة كاملة وهم لا يدرون!

- لا يدرون، ولكن كان عندهم إحساس أن ابنهم ناصر في البوسنة، لأنها كانت هي القضية الظاهرة في الإعلام.

■ جميل، وصلت إلى صنعاء واستخرجت جواز سفر ثم ذهبت إلى أين؟ وهل كانت أوراقك كلها رسمية وصحيحة؟

- أوراقي رسمية وبالاسم الصحيح، إلى أن تمّ اعتقالي وأنا أسير بأوراق رسمية تماماً.

■ أين اعتقلت؟

- في صنعاء، بعد عودتي بعد أحداث سبتمبر، كنت أريد أن أغادر فاعتقلوني.

■ كيف توجهت إلى البوسنة، عبر أي طريق؟

- اتجهت إلى البوسنة عن طريق تركيا.

■ وكان ذلك بتنسيق مع القاعدة؟

- لا، لم تكن هناك أي علاقة بتنظيم القاعدة إلى عام 1996.

■ هل ذهبت بشكل فردي؟

- بشكل فردي تماماً، مجموعة من الشباب التقينا على هدف وعلى فكرة وانطلقنا.

مجاهد أم «قطة مغمضة»؟!

■ هل كنتم تعرفون إلى أين أنتم ذاهبون ومع من ستقاتلون؟

- كنا ننسق مع إخوة سبقونا على الطريق، كانت مسألة التحرك والوصول إلى أراضي الجهاد عبارة عن مغامرة في تلك الأيام، وخصوصاً للذين ليس

لهم علاقة بتنظيمات، إذ أنك تمشي في أرض لا تدري إن كنت ستصل أم لا، بعض الشباب وجهونا، قالوا اتجهوا إلى تركيا، إلى مدينة اسطنبول، هناك أشخاص سيساعدونكم، وبعد وصولنا وجدنا هؤلاء الأشخاص، ولم نكن نعرف كيف يجهزون الأوراق والتأشيرات وما إلى ذلك.

■ **ألم تكن تتصور أن هؤلاء تابعون للتنظيم؟**

- بالعكس، لم يكونوا تابعين للتنظيم.

■ **مجرد مبادرات فردية من كل واحد!**

- مبادرات فردية من كل واحد.

■ **وصلتم إلى البوسنة في 1994، هل كان لديكم بشكل شخصي أي نوع من أنواع التدريب؟**

- لا، وصلت كما يقولون باللهجة المصرية «قطة مغمضة» لا أعرف أي شيء.

■ **كان عمرك 21 سنة!**

- عمري 21 سنة تقريباً.

■ **ولا تعرف أي فنون قتالية، لكنك مستعد أن تضحي بنفسك من أجل الفكرة!**

- لست مستعداً أن أضحي بنفسي، بل مستعد أن أؤهل نفسي، هناك أنواع من الشباب المجاهدين، بعضهم مستعد أن يضحي بنفسه من أول ساعة، لكن هناك آخرين يرون أن يثخنوا، يعيش في الدنيا قدر ما يستطيع، بمعنى «يا أنا يا هم».

الانقطاع عن الأهل

■ قلت إنك لم تتصل بأسرتك إلا بعد مرور سنة كاملة.

- نعم.

■ اتصلت بهم من البوسنة؟

- من البوسنة وأنا خارج، بعد اتفاقية دايتون.

■ ألم تكن تحدثك نفسك خلال هذه السنة أن تتصل، كي تطمئن والدتك ووالدك؟

- كانت نفسي تحدثني، ولكن الواقع أننا كنا في نشاط وعمل متواصل من الصباح وحتى المساء، فكنت أشغل نفسي بهذه الأمور.

■ هل كنت تخشى إذا تكلمت أن يثنوك فيعيدوك؟

- في الحقيقة أنا ضعيف أمام والدتي، فمجرد دمعتين منها قد تجعلني أتراجع حتى لو كنت في الصين.

■ هل كنتم مثلاً -مجموعتك من الشباب ـ تتواصون بأنه يجب ألا نتصل حتى لا يثنونا عن الجهاد؟

- لا، بالعكس كان بعض الشباب ممكن أن يعطيك مالاً إذا ما عندك مال، يعطيك من جيبه -اتصل-، كنا نتواصى بصلة الرحم، ونتواصى بالأهل، لكن أنا كنت أردع نفسي بنفسي، أحاول أن أمنعها حتى لا أضعف.

■ ثم اتصلت بعد عام من ذهابك.

- بعد اتفاقية دايتون مباشرة يعني.

■ لماذا هذا التوقيت، هل لاعتقادك أن اتفاقية دايتون سوف توقف العمل مثلاً؟

- لا، بل أصبح عندي وقت فراغ أستطيع أن أتصل، لكن في البداية لم يكن عندي وقت تماماً من الصباح إلى المساء، إما في التدريب وإما في عمل وإما في حراسات وإما في قتال، فوقتي مشغول تماماً.

تقنيات التدريب

■ أنت وصلت ولا تعرف شيئاً عن الفنون القتالية، كيف كانت بداية التدريب؟

- طبعاً البوسنة كانت بعد أفغانستان، فعندما وصلنا إلى مبنى كتيبة المجاهدين، كان هناك إخوة يستقبلوننا، فكان هناك أخ مسؤول علاقات الشباب اسمه عيسى مصري، -لمعلوماتك- هو الذي كناني بـ (أبو جندل)، وإلا كانت الكنية عندي (أبو حمزة)، فكان يقول لي: (أبو حمزة) كثير، قلت له (أبو مصعب)، فقال: كثير، حتى (أبو حارث)، فكان الشيء نفسه، وفي النهاية قلت له: كنني؟ فقال: (أبو جندل)، ومنها ثبتت الكنية هذه.

■ الذي استقبلكم كان مصرياً؟

- نعم، أخ مصري من الجماعة الإسلامية، لأن كتيبة المجاهدين كان عليها سيطرة من قبل الإخوة في الجماعة الإسلامية المصرية.

■ **كان هناك مجموعات من تنظيم الجماعة الإسلامية المصرية تقريباً؟**

- في داخل البوسنة، لكن أثناء الطريق لم نقابل أحداً، التقيناهم في الداخل.

■ **انضممتم في البداية في البوسنة إلى الجماعة الإسلامية تقريباً!**

- ليس للجماعة الإسلامية إلا كتيبة المجاهدين.

■ **التي تُدار من قبل الجماعة الإسلامية!؟**

- نعم، ولكن هناك فرق بين ذلك وبين أن تكون تابعاً للجماعة الإسلامية كتنظيم، ولكن معركة القتال داخل البوسنة معركة كبيرة جداً، لا تستطيع أن تقول لي إني عضو في التنظيم، لأن الجماعة الإسلامية لها أهدافها ولها برامجها داخل مصر، أما نحن فلا، نحن خارجون من أجل البوسنة، وكانوا هم مستوعبين هذه المسؤولية، ويعلمون أنهم إذا دعونا من أجل القتال في مصر فلن نستجيب.

■ **هل كنتم تأتمرون بأمر أمير في البوسنة؟**

- نعم الأمير، ليس من أجل تنظيمات معينة، لم نكن نتبع أي تنظيم، كان عملاً تطوعيًا فرديًا باتجاه قضية البوسنة، لذلك لما انتهت قضية البوسنة، وقعنا -أي معظم شباب الجزيرة العربية- في حيرة.

■ **لنعد إلى مسألة التدريب، كيف كانت بداية تدريبك؟**

- يقوم الأخ المصري -عيسى المصري- بسؤال الأخ الجديد، يسمع لكل واحد منفرداً، فإذا كان الأخ له سابقة جهاد في أفغانستان، تتم عملية مراجعة فقط في المعسكر التدريبي لمدة أسبوع أو أسبوعين على أكثر تقدير، مراجعة للسلاح وتدريبه وكيفية التعامل مع السلاح، لكن إذا كان الأخوة جدداً لابد

أن يقضوا 45 يوماً كاملة داخل المعسكر التأسيسي.

■ **ما هي نوعية التدريب، وكم ساعة يوميًا تقضونها في التدريب؟**

- من الصباح إلى صلاة المغرب.

■ **تمضون نهاراً كاملاً تقريبًا!**

- نهاراً كاملاً، لكن على أجزاء.

■ **لنقل إن التدريب الصافي يستغرق 12 ساعة تقريباً يعني؟**

- لا أخفيك، التدريب كان يستغرق 24 ساعة بالكامل، لأنه من الممكن في أية لحظة أن يستدعونا لتدريب في الليل، أو استنفار ليلي، حتى أننا في بعض الأحيان لم نكن لننام أكثر من ساعتين أو ثلاثة، وهذا نوع من التمارين العسكرية.

■ **أنتم تذهبون ولديكم أهداف، ومن أجل هذه الأهداف أنتم مستعدون للتضحية والفداء، ولكن ألم يدفع هذا النوع من التدريب القاسي البعض إلى الضعف والتراجع؟**

- نعم يضعف.

لا مجال للتراجع

■ **هل تراجع بعض الناس؟**

- لا، مسألة التراجع كانت صعبة، فبعد خروج الشاب من داخل بلده، وقطع هذه المسافات كلها ووصوله لهذه الأرض، تصبح عملية تراجعه على نفسه صعبة، لذلك عندما كان يذهب بعض الإخوة لمن يثقون فيهم ويتحدثون إليهم أنهم تعبوا ويودون الرجوع، فيبدأ دوري في المكان هذا، فأنا وهو مثلاً لو قلنا له: نعم ارجع، إذن فسوف ألحق به غداً، ولكن لا، نحاول إقناعه، ونثبته ونعينه على الثبات والأجر، ونشرح له أهدافنا المستقبلية، وما هي طموحاتنا برضى الله عز وجل، وما ينتظرنا من نعمة الله ورضاه عنا، فكلنا نحفّز بعضنا البعض على هذه الأمور. وكان معظم الشباب يثبتون، ونادراً ما كنا نسمع أن أحد الإخوة رجع من التدريب أو من داخل جبهات القتال.

■ **إذاً كنتم تبدأون بمعسكر مكثف لمدة 45 يومًا تقريبًا؟**

- نعم 45 يوماً تسمى دورة تأسيسية مقسمة إلى أجزاء، شيء ما يسمى بالأسلحة الخفيفة، مثلاً الرشاشات الكلاشينكوف، البيكا، الأسلحة الخفيفة، ثم ندخل في مجال المساحة، أي استعمال الخرائط واستعمال التحرك بالنجوم، ثم ننتقل إلى جزئية المتفجرات، وهذه مقسمة ما بين المتفجرات العادية، والألغام، كيف تزرع الألغام، وكيف تنزعها ، كيف تعمل خريطة الألغام، وبالنسبة للمتفجرات الأخرى مثلاً كيف تميز بين «السي فور» وما بين «التي إن تي» و«السي تري»، وهكذا.

■ **هذا بالإضافة إلى التدريبات البدنية.**

- طبعاً، التدريب متواصل، بالنسبة للتمرينات الجسدية هذه كانت يومياً.

■ وكان القادة كلهم تقريباً في البوسنة من الجماعة الإسلامية؟

- لا ليس كلهم، كان هناك إخوة مصريون وأردنيون وليبيون، وأمير الكتيبة كان أخاً جزائريًا.

■ كم استمر بك المقام في البوسنة؟

- فترة بقائنا بالبوسنة كانت فترة بسيطة كان ذلك في صيف 1995، هذا الصيف هو الذي اشتعلت فيه الأمور، وكانت فيه المعارك.

■ هل دخلت في معارك، شاركت في الجبهة؟

- بعد معركة بدر البوسنة، شاركنا في عملية، وكنا في الخطوط الخلفية، كسند للمهاجمين.

■ تقصد إسناد...

- نعم، إسنادات، فلذلك لم نخض معارك مواجهة، لم نكن نحن -كما يقولون- أصحاب الصدمة الأولى.

■ هل كنتم جاهزين؟

- نعم جاهزين، لكن التقسيم في المعركة أن يكون هناك خط أول، وخط ثان، ودفاع، وتمشيط، ومجموعة إسعاف، ومجموعة نقل، ومجموعة إمداد، هناك أيضًا مجموعات مدفعية، ومجموعات للمطابخ لتجهيز الطعام للمقاتلين، وهذه كلها تقسيمات، فكل واحد منا حيثما كان؛ المؤمن كالغيث حيثما وقع نفع، في المقدمة في المقدمة، في المؤخرة في المؤخرة.

■ أنت أين كنت بالضبط؟

- أنا كنت في المجموعة الثالثة، مجموعة التمشيط أو الإسناد.

■ أي التي تسند وتحاول تنظيف المنطقة؟

- نعم تنظف المنطقة، مثلاً إذا كنا في خنادق ثابتة، أو في موضع ألغام، أو كان هناك جرحى، فنحن نحاول أن ننقلهم للخطوط الخلفية، بحيث تستلمهم مجموعة الإسعاف، هذا كان عملنا.

تدريب غير كاف لحراسة الزعيم

■ أنت بدأت حارساً شخصياً لأسامة بن لادن من 1996 إلى 2000 أنت قلت لي قبل قليل إنك بدأت الجهاد أول ذهابك للجهاد كان في 1994، هل تعتقد أن عامين فقط في التدريبات كانت كافية لأن تصبح حارساً شخصياً لزعيم تنظيم القاعدة؟

- أنا من وجهة نظري لا، لا تكفي.

■ إذًا كيف أصبحت حارساً شخصياً لشخصية بهذا الحجم، ومطلوبة من أجهزة أمنية في العالم كله، بعد سنتين فقط من التدريب؟

- يمتاز شباب الحراسة –خصوصاً الذين هم حول الشيخ أسامة بن لادن– يمتازون بشيء واحد، يختلف عن عناصر الحراسات في جميع أنحاء العالم، عن أي شخصية في العالم، إن هؤلاء الشباب مستعدون للموت، هذه صفة لا يمتلكها أي حارس شخصي على مستوى الكرة الأرضية؛ إلا أن هؤلاء الشباب أصلاً، في الأساس، ليسوا حراساً شخصيين، هم في الأساس

مقاتلون، الموت عندهم ليس بمشكلة؛ كما أن معظم هؤلاء الشباب احتسبوا المسألة احتساب من يأخذ عليها أجراً من الله.

■ **نعم، ولكني أتكلم عن التأهيل الذي لم يستغرق بالنسبة لك أكثر من سنتين.**

- أما عن مسألة التأهيل؛ فبمجرد التحاقنا بالشيخ أسامة، كانت هناك مشكلة، ففي بداية أيام الشيخ أسامة في 1996، لما أعلن الجهاد ضد الولايات المتحدة الأميركية، كانت معظم مجموعات الحراسة التي حوله من الإخوة المتزوجين، فكان حملهم ثقيلاً، وفي تلك الفترة كنت أنا عازبًا، وكنا مجموعة من العزّاب، حتى عندما تمّ استدعاؤنا كنا داخل المعسكرات، لم نكن حتى في الجبهة، كنا نتدرب في دورات، فتم استدعاؤنا، فلما وصلنا تمت عملية تأهلينا ونحن إلى جانب الشيخ.

■ **لم توكل إليكم كامل المسؤولية إذًا، هل كانت مسؤولية جزئية أثناء التأهيل؟**

- وكان تأهيلنا بالكامل قد اكتمل سنة 1998، وكان ذلك قبل ضربة نيروبي بفترة بسيطة، فكانت عملية التأهيل، وتولينا مسؤولية الحراسة بالكامل للشيخ أسامة بن لادن، وكانت تحت إشرافنا نحن بالكامل.

معارك البوسنة

■ **أعود بك إلى موضوعنا، حيث كنا نتحدث عن البوسنة؛ أنت وصلت في 1994 وتقول إنه في صيف 1995 كان اشتداد المعارك، بعد ذلك ماذا حدث، هل عدت من البوسنة؟**

- احتدمت المعارك حتى اعترف بها البوسنيون أنفسهم، واعترف علي عزت بيغوفيتش -عليه رحمة الله- بأن المجاهدين الأجانب، أو المجاهدين العرب الذين جاؤوا في تلك الفترة، استطاعوا قلب موازين المعركة داخل أوروبا، الأوربيون من سنة 1993 كانوا مثل المتفرج على ما يحصل داخل البوسنة من مذابح ومجازر، ولمعلوماتك كانت هي بموجب اتفاقية ما بين زعيم صرب البوسنة في تلك الفترة رادوفان كارادزيتش، وبين البابا، تعهد فيها بالقضاء على ستة ملايين مسلم، كان متعهداً أن يقضي على المسلمين داخل البوسنة، رغم أنه في حقيقة الأمر، لو تنظر في تلك الفترة، لم يبق في البوسنة من الإسلام إلا اسمه، مراد أو أحمد أو عثمان، فلما يأتي هذا البوسنوي ويجد الصربي يقتله، لماذا يقتله؟ يرد عليه بقوله: أنت اليوم عثمان، وغداً حمزة.

■ **قضية البوسنة واضحة وقديمة.**

- لا لا (معلش)، أنا الآن أوضح لك كيف تفاعلت المسألة معنا، نحن اليوم لا ننظر للبوسنة كجزء، نحن في نظرنا أن البوسنة جزء من أمة، وليست جزءاً مستقلاً له قضية محايدة، لا، نحن جزء من أمة كاملة ومتكاملة، فحيثما ما اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، هذه عقيدة عندنا تربينا عليها من نعومة أظفارنا في السعودية، تربينا على هذا الشيء.

■ **لكنك رجعت من البوسنة، لم تبق هناك!**

- أنا لم أبق في البوسنة لأن الموضوع انتهى.

■ **متى رجعت من هناك؟**

- في 1995 في صيف 1995 نفسه.

■ **تقول بأنه مع عودتكم، لم تحسوا بأنكم – مثلاً ـ غُدرتم، أو تمت التضحية بكم، وبدأتم بالتفكير في أي أرض تحتويكم، ما هي الجبهة بعد ذلك، كان هناك خيارات طاجكستان والشيشان والفلبين والصومال، ولم تكن في ذلك الوقت أفغانستان مطروحة، لماذا؟**

- الجميع في تلك الفترة كان يتابع الأحداث في أفغانستان، وكانت تلك الفترة فترة فتنة ما بين الأحزاب الأفغانية، وتحول الموضوع من قتال لعدو واضح قبل ظهور طالبان، طالبان تقريباً ظهرت بعدها، في سنة 1996 تقريبًا.

■ **هي بدأت انتشارها الحقيقي في 1995.**

- لا، هي بدأت في 1992 كحركة، ولكن انتشارها بدأ في 1996 و 1997.

الطريق إلى الصومال

■ **طيب إلى أين اختار أبو جندل أن يذهب؟**

- إلى الصومال.

■ **كم كان عدد المقاتلين في البوسنة تقريباً؟**

- الإخوة الذين هم في كتيبة المجاهدين في حدود 400-450 شخصاً.

■ **كلكم عرب!**

- مختلطين: عرب، ومن أميركا اللاتينية، ومن أفريقيا، من آسيا، من الصين، من كندا، من جميع جنسيات العالم.

■ **وهذا النقاش الذي تحدثت عنه قبل قليل كان موجوداً لدى الـ450 تقريباً؟**

- نعم.

■ **كم عدد الذين قرروا معك الذهاب إلى الصومال؟**

- لا أخفيك أن الأغلبية رجعت باتجاه بلادها، لكن كان الشباب في المملكة العربية السعودية وفي الخليج يقولون يا أهل اليمن أنتم أقرب إلى الصومال منا، فنحن مستعدون، نحن طبعاً -مثلما قلت لك- المسألة كلها فردية، عملية تنسيق فردي، ليس هناك أي شيء منظم، فمثلاً يتصل بعض الشباب: نحن سنذهب إلى الصومال ادعمونا بالأموال، فكانوا يحولون لنا مبالغ، ونحن نأخذها ونتجه للصومال، نستكشف الوضع ونعود، ونرسل لهم تقارير، وعلى ضوئها تبدأ عملية التحريض الدعوي فيما بيننا، أي أن الشباب يتنافرون ويتحركون.

■ **في إحدى المقابلات التي أُجريت معك، سئلت: هل كنتم مستوعبين للسياسة العالمية، تستوعبون مثلاً التوازنات الإقليمية، قلت: «إننا في ذلك الوقت لم نكن مدركين لذلك»، هل تعتقد الآن أنكم كنتم تتحركون باجتهادات غير خاضعة لدراسات مثلاً أو لترتيب؟ لو استقبلت من أمرك ما استدبرت، هل ممكن أن تغيّر وجهتك مثلاً؟**

- أكيد.

تمنيت الانتساب للقاعدة من البداية

■ **إلى أين؟**

- لو أستطيع الرجوع للخلف، ممكن أبدأ من أول أيامي مع تنظيم القاعدة مباشرة.

■ **تبدأ مباشرة.**

- مباشرة.

■ **متى التحقت بتنظيم القاعدة؟**

- أواخر 1997 وأوائل 1998، قبل بداية أحداث نيروبي.

■ **مع أنك قلت إنك عينت من 1996 حارسًا لابن لادن.**

- أنا كنت موجوداً هناك، كنت حارساً، لكني لم أكن منضمًا للتنظيم، المسألة كانت تطوعية، حتى في تلك الفترة لم يكن معظم شباب الجزيرة العربية أعضاء في تنظيم القاعدة، كان معظم التنظيم من الإخوة من شمال أفريقيا، التوانسة والجزائريين، من الإخوة المصريين، وكان شباب الجزيرة قليلين في تلك الفترة.

■ **وماذا تحتاج لتكون عضواً في التنظيم، هل توقع أوراقاً مثلاً؟**

- لا أوراق ولا شيء.

■ **طيب كيف أصبحت في التنظيم، على الرغم من أنك كنت حارسًا لـ بن لادن؟**

- لو أنني لست عضواً في التنظيم، وركبت رأسي –مثلاً– وقررت الذهاب إلى الشيشان، هل أذهب للشيخ أسامة وأقول له: عفواً يا أبا عبد الله إنني مسافر، لا، لأنه لا أمر له علي، لا لأنني لست عضواً، لكن ما دمت عضواً في التنظيم، فلا أستطيع أن أتقدّم شبراً أو أتأخر إلا باستئذان، لأني ملتزم بتنظيم.

■ **تعني البيعة؟**

- نعم هناك بيعة.

■ **ألم تكن مبايعاً في السابق؟**

- لم أكن قد بايعت في تلك الفترة، بايعت في نهاية 1997.

■ **ماذا كانت صيغة البيعة؟**

كلنا قذائف

■ **ماذا كانت صيغة البيعة؟**

- «نعاهد الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر وعلى أثرة من أنفسنا»، لكن المسألة الأخيرة هذه «أثرة من أنفسنا» كانت تشكّل لنا قلقًا مع الشيخ أسامة.

■ لماذا؟

- لأن «أثرة من أنفسنا» تعني- مثلاً- أنه لو جاء واحد من الشباب وقدم لعملية استشهادية وأنا واقف في المكان هذا فلن أقبل، لكن أثرة من أنفسنا تعني أن (خلاص) تسلم أمرك، فكيف هذا الشاب تقدم عليّ؟ أنا السباق للعملية الاستشهادية قبل هذا الرجل، كيف يسبقني؟ لأن بعض الشباب قد يأتي بعدك بسنة أو سنتين، ويتقدم عليك في عملية استشهادية، فنحن لم تكن المسألة واصلة معنا لهذه المرحلة. الشيخ أسامة يقول: «يا عيالي مش كلنا قذيفة، نبغى المدفع، وندفع الزناد، ونبغى القاعدة، ونبغى الدربية، ونبغى الراصد»، لكننا نحن «راكبين راسنا»، كلنا يريد أن يكون قذيفة، فهذه الأثرة من أنفسنا كان الكثير منا يتخذها ويعطي البيعة فيها على مضض من نفسه، لذلك لما يقتل أحد الإخوة في عملية استشهادية -لا أخفيك- تسمع مناحة داخل المضافات.

■ إلى أين توجهت بعد البوسنة؟

- إلى اليمن، ومن اليمن إلى الصومال.

■ كم بقيت في اليمن؟

- ستة أشهر.

■ كانت مجرد محطة لترتب أمورك ثم تنتقل؟

- نعم.

■ كيف ذهبت إلى الصومال؟

- سافرت بشكل عادي، كان هناك بعض الإخوة الصوماليين الموجودين في اليمن كطلبة في الجامعات، فالتقينا ببعضهم، وقال إنه ممكن أن يسهل عملية

السفر إلى هناك ونلتقي بالإخوة في الاتحاد الإسلامي في كينيا، فمباشرة وكان موضوع التأشيرة يتم من مطار نيروبي، فلا يحتاج الأمر أن تأخذ تأشيرة من صنعاء.

■ **في أي عام كان ذلك؟**

- عام 1996، اتجهنا إلى كينيا، ومن هناك وبالتنسيق مع الإخوة من الاتحاد الإسلامي، اتجهت أنا والأخ عبد العزيز المقرن -عليه رحمة الله- وأحد الإخوة اليمنيين من منطقة البيضة.

■ **تقصد عبد العزيز المقرن الذي قتل في مواجهات الرياض؟**

- نعم، الذي قتل في مواجهات الرياض -عليه رحمة الله- فاتجهنا إلى كينيا ومن كينيا التقينا بالإخوة في الاتحاد الإسلامي وهم الذين نسقوا لنا، فبالنسبة إلي أدخلوني بطائرة، والإخوة دخلوا بعدي، وهذا من باب الإجراءات الأمنية، حتى لا نذهب كلنا دفعة واحدة، فإذا حدثت مشكلة لا يضيع الكل، فتقدمت، ومن بعدي تقريباً بعشرين يوم لحقني عبد العزيز والأخ اليمني.

الخلاف مع الإخوة الصوماليين

■ **كم بقيت في الصومال؟**

- ما يقارب ستين أو خمسة وستين يوماً.

■ **فقط؟**

- نعم.

■ ثم خرجت من الصومال على خلاف مع الاتحاد؟

- ليس مع الاتحاد نفسه، بل مع أشخاص في الاتحاد، لأنه في تلك الفترة، لما استقبلني الصوماليون في مدينة لوك الصومالية، جرى حوار ساخن من أول يوم بيني وبينهم، فكأن بعضهم لم يحسن العبارات، كان يقول: «أنتم قاتلتم في أفغانستان فماذا استفدتم؟ قاتلتم في البوسنة فماذا قدمتم؟ نحن بحاجة لكم»؛ فأعطاني الله الإجابة عليه، قلت له: «مسألة أننا قاتلنا في البوسنة أو في أفغانستان وأن دماءنا ذهبت هدراً، هذا كلام غير صحيح، ثم إن الصومال ما سمعنا بها إلا قريباً، هؤلاء الناس ذهبوا إلى الله عز وجل»، فمن المواجهة الأولى أصبح هناك نوع من الحساسية.

■ تقصد الحساسية النفسية؟

- حساسية نفسية بيني وبين الإخوة، لأنه أيضاً هم في تلك الفترة كانوا صغاراً في السن، كانوا شباباً، لكن الآن قد يكونوا نضجوا واستوعبوا الأمور...

■ بعد ذلك خرجت على خلاف ـ وفقاً لمذكراتك التي نُشر بعضها ـ مع أعضاء في الاتحاد الإسلامي، لأنك تعتقد أنهم كانوا يزورون في نتائج المعارك التي تقع، ويصدرون بيانات خلافاً لما هو واقع.

- طبعاً هذه سببها مهم جداً، إذ بعدما دخلنا للصومال ذهبنا لمعسكراتهم، فجلست أنا ما يقارب الثلاثين يومًا، لم يكن لدى الجماعة إلا تمرين التايكواندو، التايكواندو من الصباح إلى منتصف الليل؛ فماذا يعني هذا التايكواندو؟ في حين أنك تريد أن تعد الناس.

■ وأنت كنت متعجلاً، تريد معركة!

- لا، لست أريد معركة، أنت تريد أن تؤهل ناساً، نحن وصلنا إلى هناك نريد أن

نساعدهم، نساعدهم في التدريب، بالأموال، في القتال، في التخطيط، في كل شيء، نساعد الإخوة، فلما وصلنا فوجئنا بشغلة التدريب، فشعرنا كأن المسألة غير طبيعية، كيف تنتقدني قبل يومين وتقول لي دماؤكم ذهبت هدراً، ولما آتي إليك، لا أجد حتى حسن الإعداد، وأنك لا تعرف كيف تعد العناصر التي معك.

■ قد يكون هذا حرصًا على دمائكم التي لا يريد لها أن تذهب هدرا!

- أنا لا أريد أن يعدني أنا، أنا أريد أن يعد عناصره هو، أفراده، هو يقول إن لديه قضية وإنه يحارب داخل بلده، إذًا عليه أن يهيىء رجاله كما ينبغي.

■ ولكنك – وفقاً لمذكراتك ـ تقول إنك اختلفت معهم لأنهم كانوا يزورون في النتائج حتى يحصلوا على أموال!

- من الأشياء التي صارت بيني وبينهم، أنهم أتوني بنشرات كان اسمها «نشرة الفجر»، ولما تقرأ النشرة تجد بيانًا يقول إنهم دخلوا في معركة وغنموا 1500 قذيفة (آر بي جي)، في حين أن ست قذائف (آر بي جي) تقلب موازين المعركة كلها، فما بالك بألف وخمسمائة قذيفة معك!

■ وهذا كذب وغير صحيح؟

- لما دخلنا لم نجد شيئاً في مخازنهم. وبعد رجوعي إلى اليمن، الأخ عبد العزيز المقرن والأخ اليمني قررا أن يكملا المشوار. فتخيل أن معك مائة عنصر، المسلحون منهم أربعون فقط، والستون الباقون من دون سلاح، فبأي شيء سيقاتلون، بالعصي والحجارة!

■ **لماذا كانوا يكذبون في رأيك؟**

- ليست مسألة كذب...

■ **إذا كان قول 1500 آر بي جي، وهذا غير صحيح، يكون الأمر كذباً، أليس كذلك؟**

- أنا متفهم كلامك، كلامك صحيح، لكنها كلمة قاسية على الإخوة مهما كان.

■ **مخالفة الحقيقة تعد كذباً...**

- خير إن شاء الله؛ ما في مشكلة.

■ **صحيح أم لا؟**

- الكلام صحيح، لكن مهما يكن الأمر...

■ **أنت في مذكراتك نفسها قلت أيضاً «إن خلافي معهم أنه كان هناك كذب».**

- صحيح، الأوضاع تتغير، ووجهات النظر تتغير بعد فترات معينة، فأنا لا أقصد من الكلام أن أبرر كلامي، هو فعلاً كذب، لا أستطيع أن أنكر هذا الشيء، لكن لهم ظروفهم، لعل المسألة كانت عدم الثقة، لأن أول سؤال سألوني إياه كان عن ماهية علاقتي بتنظيم القاعدة، فقلت لهم نحن لسنا بتنظيم القاعدة.

الخلاف بين الصوماليين والقاعدة

■ **هل كان عندهم مشكلة مع تنظيم القاعدة؟**

- نعم، منذ أحداث 1993 مع الأميركان، هذه العناصر التي جلسنا معها اتهموا التنظيم بأنه فرّ أثناء المعركة.

■ **في مواجهة الأميركان في الصومال.**

- مع الأميركان في الصومال، فأنا لا أعرف تنظيم القاعدة، ولكن حسن ظني بالإخوان المجاهدين أنهم لا يفرون من المعارك، لأن مسألة الفرار عندنا في مقاييس أن الله لا ينظر إلى أربعة ولا يزكيهم، منهم من يتولى يوم الزحف، فهل أنا أفر أمام أميركا! من أميركا هذه ! اعرف أن هذا الأميركي جبان، يخاف من الصاروخ، إذا لم تكن فوقه هيلكوبتر وتحته هيلكوبتر لا يستطيع أن يقاتل، لكن أنا سوف أخرج له بعصا، وأعلم من سينتصر في المعركة، فالحقيقة أنا استغربت من كلامهم، كانوا يقولون إن تنظيم القاعدة فرّ من المعركة وخذلنا، فلم أتقبل هذا.

■ **وهذا أيد طبعاً وقفة النفس التي بينكم وبينهم من البداية.**

- هذا الادعاء دعم أكثر وأكثر، حتى صار بعدها لقاء بعدما وصل الأخ عبد العزيز المقرن والأخ اليمني، اجتمع حولنا واحد وعشرون وزيراً! وقال الوزير، قال الوزير! فقلت لهم: ذكرتموني بأسماء وجدت في غير موطنها، كالقط يحكي انتفاخًا صورة الأسد، ماذا يعني وزير وأنت إنسان عضو في تنظيم، هذه كلمة كبيرة، ثم تكتشف أن الأمر كله يتلخص في أنهم يريدون الدعم المالي، طبعاً في تلك الفترة كنت أفهم اللغة الصومالية وما زلت، أنا من الناس بحكم أن والدي له أصول صومالية والوالدة لها أصول صومالية بحكم

هجرة اليمنيين قديماً، فكنت أفهم اللغة الصومالية لكن لا أستطيع الرد.

■ **تفهمها ولا تتحدثها؟**

- لكن أفهمها جيداً، أستطيع حتى أن أترجمها ترجمة كاملة، فكانوا يتكلمون ببعض العبارات التي كنت أحس فيها نوعاً من عدم الثقة، كانوا يشكون في أننا قد أتينا بشيء معين، وكانت طبعاً فترة بداية نضج، الناس صغار في السن، فعدم الثقة موجود.

■ **تعتقد أنهم لم ينضجوا بعد وأنكم كنتم ناضجين.**

- لسنا ناضجين، كلنا ما زلنا أصحاب تجربة بسيطة، نحن كنا نتحرك بحسن نية، ولكن فوجئنا بعدم الثقة، ليس هناك ثقة كاملة حتى أطرح لك ما عندي وتطرح لي ما عندك.

■ **أيضاً في المذكرات التي نُشرت لك، كنت تقول: «إن هدف من يدعي الكذب تغيير المعلومات، أو ادعاء معلومات غير صحيحة عن معارك وانتصارات، كان هو الحصول على أموال من قبل المتفاعلين مع الأعمال التي كانوا يقومون بها».**

- وهذا ما صرّحوا به هم، قالوا: «نحن لسنا بحاجة إلى رجال نحن بحاجة إلى أموال»، فكان ردي عليهم أنا وعبد العزيز والأخ اليمني بأن الأموال تأتي بها الدماء، نحن رجال، إذا قتل واحد أو اثنان أو ثلاثة من الشباب، وحولناها من قضية إقليمية محصورة في الصومال إلى قضية دولية، وصار فيها معارك ودخل فيها عدو أجنبي، ولكن يعملون بحرب الوكالة، لكن لو خضنا المعركة وفعلنا هذه القضية، فستلتفت إليك الأنظار، ويتوجه إليك الإعلام، وتكبر المسألة.

خطوبة لم تكتمل

■ أنت خرجت من الصومال بعد أكثر من شهرين تقريباً، أو شهرين، إلى أين اتجهت؟

- إلى اليمن ومنها إلى أفغانستان.

■ كم بقيت في اليمن؟

- فترة العودة كانت ما يقارب بحدود شهرين لثلاثة أشهر، بعدها اتجهت إلى أفغانستان.

■ كنت ترتب لتذهب إلى أفغانستان؟

- لا، كنت هذه المرة أفكر بالزواج، أن أتزوج وأستقر.

■ ولماذا لم تنفذ الفكرة؟

- قبل ذهابي للصومال كانت الفكرة دارت في رأسي، تقريباً أنا خطبت من عائلة من أقربائي، فخطبت من مدينة عدن، ثم اتصلت بعبد العزيز المقرن - عليه رحمة الله - وبعض الإخوة، فقلت لهم أنا خطبت، فصاح في التليفون: «يا مجنون ارجع تعال صنعاء نتفاهم نحن وياك».

■ هل كانوا لا يريدون ذلك، لأنك إذا خطبت ستستقر؟

- ليست مسألة استقرار، ولكن سأترك القضية التي بذلت نفسي من أجلها، وخرجت وتركت أمي وأبي، فإذا تزوجت، فلتذهب إلى أمك أفضل لك.

■ **وعدت من عدن إلى صنعاء؟**

- ورجعت وجلسنا، واستمر النقاش ثلاثة أيام.

■ **كنت أنت تقول لهم أنا أريد أن أتزوج وهم يقولون المفروض ألا تتزوج؟**

- طبعاً عبد العزيز كان يتكلم في ضوء تجربته السابقة لأنه كان قد طلق زوجته في تلك الفترة، وكان معه طفلة، فكان يقول: «يا شباب الزواج عبء والتزامات قوية جداً، سيشغلكم عن قضية مثل قضية الجهاد، وقضية الجهاد بحاجة إلى تفرغ، فكان كلامه واضحًا، ما زال الحنين في القلب يقوي مسألة الجهاد، فقلت يدي على يدك، قال: الصومال. قلنا: الصومال الصومال. تحركنا مباشرة للصومال.

الطريق إلى أفغانستان

■ **ذهبت من الصومال إلى أفغانستان عبر اليمن مرة أخرى!**

- نعم.

■ **وحدك أم كنت مع مجموعة؟**

- لا، كان ذلك بتنسيق، لكن سافرت وحدي، طبعاً -لمعلوماتك- سفري كان دائماً وحدي، باستثناء رحلة الصومال كانت مع عبد العزيز والشباب، لكن دائماً ما أسافر وحدي.

■ **كيف كان طريق الرحلة؟**

- أخذت تأشيرة طبيعية من السفارة الباكستانية في صنعاء، وخرجت على

ضوئها بالطائرة إلى باكستان، وثم من باكستان إلى بيشاور، ومن بيشاور إلى جلال أباد.

■ **وإلى أين ذهبت بعد جلال أباد؟**

- في جلال أباد تجمعنا مجموعة الشباب، كنا نلبي النداء، هناك واحد ينادي: ياشباب قضية أفغانستان وقضية طاجكستان، فبدأنا، الذين يريدون الذهاب إلى أفغانستان تجمعوا في مدينة جلال أباد، فاتجهت مجموعة سبقت إلى كابول، في كابول كنا في مضيفة للملا تاج محمد، وهو أحد قيادات عبد رب الرسول السياف، فكان لديه مضيفة، وكان يحب العرب ويحميهم، وكذا الأمر طبعاً في فترة سفرنا.

■ **بعد أن انضم عبد رب الرسول سياف إلى طالبان؟**

- عبد رب الرسول سياف لم ينضم إلى طالبان.

■ **بل انضم.**

- لم ينضم، حكمتيار هو الذي انضم إلى طالبان.

■ **أؤكد لك أن عبد رب الرسول سياف انضم إلى طالبان.**

- هذا ممكن في هذه الأيام، هذه الأيام الأخيرة، لكن من قبل لم ينضم عبد رب الرسول سياف.

■ **إذًا أنتم لم تكونوا تابعين لطالبان، بل لسياف.**

- ولا لسياف، لم نكن تابعين لسياف بل تحت حماية قيادي من قيادات سياف.

■ **كم بقيتم؟**

- ما يقارب 35 أو 45 يوماً.

■ **كانت خطتكم التوجه إلى أين؟**

- إلى طاجكستان.

■ **كانت عندك فكرة أن تلتحق بـ بن لادن؟**

- ما زالت الفكرة بعيدة، رغم أن بن لادن في تلك الفترة كان في أفغانستان، والتقى به الأخ حمزة الغامدي في منطقة تورا بورا أو على الأرجح بمنطقة جاجي، ثم التقينا جميعاً في كابول فدار الحديث هناك.

■ **الآن أصبحت الفكرة أن تتوجه إلى طاجكستان، وأيضاً فكرة فردية ضمن الإخوان الذين كانوا معك تحت مضافة تاج محمد.**

- نعم.

«أبو شنطة» والطريق إلى طاجكستان

■ **ومن الذي حدد لكم طاجكستان؟**

- نحن حددناها منذ البداية، من صنعاء، جلسنا مع بعض الشباب، وفتحوا قضية طاجكستان، وكان بعض الإخوة منهم الأخ علي -عليه رحمة الله- وحسام محمد صالح بن عتش (مهند)، هو أيضاً مثلي من أسرة يمنية، ومغترب في مدينة جدة التي ولد بها، لكن له سابقة قبلنا، حيث التحق وهو صغير في السن، في حدود 15 أو 16 سنة التحق بالجهاد، فيعرف خطّاب ويعرف

القضية الطاجيكية وقضية أفغانستان، فالتقينا في صنعاء، وطرح علينا المسألة هذه، فقلنا: بسم الله، وحسب قول بعض الإخوة المصريين يسمونه «جماعة أبو شنطة»، شنطة على كتفك كيفما ولع الجهاد لبيت، فقال: طاجكستان؛ قلنا: طاجكستان، بسم الله، حيثما كان نداء وكان استضعاف للمسلمين.

■ **كيف توجهتم لطاجكستان وما هو الطريق الذي سلكتموه؟**

- طريق عادي، من أفغانستان منطقة حدودية مع طاجكستان، فاتجهنا إلى مناطق تحت سيطرة سياف، ثم خرجنا من مناطق تحت سيطرة سياف إلى مناطق تحت سيطرة حكمتيار، كان هناك تنسيق وعلاقات من قبل الإخوة الموجودين في أفغانستان، ونسقوا مع الجماعات الأخرى، فكنا نتحرك على ضوء هذا التنسيق، حتى وصلنا الحدود الطاجيكية، وفي هذه المنطقة تمّ توقيع السلام ما بين حزب النهضة الإسلامي الطاجيكي والحكومة الروسية وحكومة رحمنوف، فكانت المسألة مسألة سلام، في هذه الفترة نفسها كان الروس قد وصلهم خبر أن حوالي 36 عربياً سيدخلون إلى طاجكستان.

■ **تعني مجموعتكم!**

- نعم، فاستنفر الروس قواتهم على الحدود الطاجيكية الأفغانية بالكامل، حتى كان يقال بأنهم دعموها بأكثر من 35 ألف جندي.

■ **35 ألف جندي من أجل 35 شخصاً!**

- لأنهم هم يعرفون أن هذا العربي لما يدخل المعركة فسيكون وضعه مختلفاً، وأن هذا العربي ليس وراءه حسابات كثيرة.

لم ندخل طاجكستان

■ **كم مكثتم في طاجكستان؟**

- لم ندخل طاجكستان، وصلنا إلى الحدود، لأن الحدود أغلقت بالكامل فما استطعنا الدخول، واضطررنا للعودة لعدة أسباب، منها تشديد الحراسات على الحدود، ومنها دخول موسم الشتاء، وفي مناطق شمال أفغانستان كان الثلج يستمر بحدود خمسة أشهر متواصلة فلا نستطيع التحرك، فإذا نزل علينا الثلج ونحن في هذه المناطق تصبح العودة صعبة علينا، أضف إلى ذلك أنه كان هناك خيانة من الداخل، فأحد عناصر الطاجيك الذين معنا تواصل مع بعض الأفغان، وأبلغ الروس بأنه سيسحب العرب هؤلاء إلى منطقة كمين.

■ **حتى يضربوهم.**

- لا بل ليعتقلونا، وكانوا يعرضون على كل رأس منا 100 ألف دولار.

■ **كيف اكتشفتم أمر الخيانة؟**

- اكتشفناها عن طريق طاجيكي صغير في السن أيضاً، كان معنا مجموعة طاجيك، نحن كنا مجموعة من العرب والأفغان والطاجيك، فكان أحد مسؤولي المجموعة الطاجيكية بعدما تمّ موضوع اتفاقية السلام في موسكو وتوقيعها من قبل حزب النهضة الإسلامي، فكأن الأخ هذا دخل فيه شيء من الدنيا، وتواصل مع المخابرات الروسية، وأعلن لهم أننا موجودون، وأنه سيجرنا إلى منطقة كي نقع في كمين، فكان بينهم شاب طاجيكي أثناء وجودنا في كابول تعرض لحادث، وقمنا بعلاجه ومتابعته، ودفعنا له أمر العلاج، فأخذها كنوع من الجميل، ومن باب الوفاء أن يرد جميلاً بجميل، فحذرنا وقال إن فلانًا الفلاني سيفعل كذا وكذا وكذا، فكان أبو جندل من ضمن لجنة الشورى.

■ الذي هو أنت؟

- نعم، كنت أنا من ضمن لجنة الشورى المكونة من ستة أشخاص، وكان أميرنا الأخ حمزة الغامدي، كان طبعاً معنا من ضمن المجموعة الأخ عبد الرحيم الناشري، والأخ عمر الفاروق الكويتي.

■ عبد الرحيم الناشري كان أمير البحار؟

- نعم أمير البحار، الأخ عمر الفاروق الذي هرب من سجن باغرام، فكانت مجموعة لا بأس بها من الشباب، طبعاً في تلك الفترة أيضاً كنا ما زلنا حديثي عهد بالتجربة، فدار الحوار بيننا، قال الشباب: ما رأيكم؟ فقلنا لنرجع، إذ ليس لدينا إمكانية لمواجهة 35 ألف جندي، ولا نحن مستعدون للتقدم إلى مكان نعرف أننا سنؤكل فيه، والموضوع انتهى، فلنتراجع للخلف.

■ تراجعتم إلى أين!

- تراجعنا إلى مدينة طالقان في ولاية مدغشقر في أفغانستان، ومنها تراجعنا إلى مدينة قندوز، وبقينا في منطقة قندوز ما يقارب ثلاثة أشهر، حتى استطعنا أن ننسق طريق العودة، لأنه كان في تلك الأيام كانت المعارك قد احتدمت ما بين طالبان وقوات تحالف الشمال والأحزاب الأخرى، فكان الطريق شبه مقطوع، حتى حانت الفرصة فاضطررنا للرجوع.

طالبان غيّرت وجه أفغانستان

■ أين كان موقفكم من الخلاف الذي كان بين طالبان وتحالف الشمال؟ هل اتخذتم موقفاً في ذلك الوقت؟

- كنا ضد مسألة فتنة القتال أساساً قبل ظهور طالبان، طالبان لما ظهروا كنا في تلك الأيام على المنطقة الحدودية، فكنا مستغربين عملية انهيار المناطق هذه وسقوطها المتوالي السريع بيد طالبان، ومن هي هذه القوة فكنا نتساءل، لم نكن نعرف طالبان، وليس لنا بهم أي علاقة، فكنا نسأل بعض القادة مثل الملا تاج والمسؤولين، وكان هناك طبعاً في تلك الأيام بعض العرب الذين كانوا يقاتلوا مع الحزب الإسلامي، أي حزب حكمتيار، فكان الكل لديه فكرة مسبقة أن هؤلاء عبارة عن بقايا الشيوعيين الذين أطلقوا لحاهم وأخذوا دعم أميركا عن طريق باكستان، وأتوا للاستيلاء على البلاد، وكانت هذه هي الفكرة الأولى.

■ **ومتى غيرتم فكرتكم؟ هل بعد أن تعرفتم عن قرب على طالبان؟**

- نعم، لأنه لما عدنا، وبحكم احتكاكنا بالأحزاب الجهادية السابقة مثل الحزب الإسلامي، وحزب الشمال، فكنا أيضاً نلاحظ عندهم أخطاء، مثل مسألة المخدرات التي كانت متوفرة بينهم، والجرائم والعصابات والمجرمين القتلة المختلطين بهؤلاء المجاهدين، فكنا نستغرب لماذا لا يقومون بعملية تصفية الصفوف، طبعاً نحن تربينا على أنه لا بد أن يكون الصف إسلامياً بحتاً، أما أن يكون خليطاً من مجرمين وتجّار المخدرات، فلم نكن نؤمن بذلك. وبعد أن وصلنا إلى المنطقة الحدودية الفاصلة، كان هذا أول احتكاك لنا بطالبان، فبمجرد ما خرجنا من خط تحالف الدولة برئاسة برهان الدين رباني، وصلنا إلى منطقة طالبان، وفوجئنا أولا بأشكال الناس، هناك تشاهد وجوهاً سوداء مظلمة، عليها غضب من الله عز وجل، هنا ترى وجوهاً منورة، شباب على الإسلام؛ ثم إننا حتى تفاجأنا عند تقدمنا بأن خلف المدرعات أناس في حلقات قرآن، ويقرأون القرآن.

■ **السابقون لم يكونوا هكذا؟**

- بالعكس تماماً، مجرمون، تشاهد الشخص منهم يقف معك وفي يده الرشاش ولكنه في حالة ذهول بسبب الحشيش والمخدرات التي يتناولها، أما الآخر حتى لما جلس معنا قال من أنت؟ قلت له أنا عربي، فلما عرف أني عربي أحسن ضيافتي وقربني.

■ **الطالباني؟**

- الطالباني نعم.

■ **هل انضممتم إلى طالبان بعد عودتكم من طاجكستان مباشرة؟**

- لا لا، لم ننضم إلى طالبان.

■ **أين ذهبتم؟**

- اتجهت إلى مدينة جلال أباد، وهنا لا بد من أن أذكر الفرق لما ذهبت إلى الشمال ولما رجعت من الشمال. لما ذهبنا إلى الشمال قررت أن أخفي وجهي، وألبس نوعاً من الشال الكشميري الأفغاني، وألبس طاقية معينة بشكل معين، حتى لا يتم اعتقالي من قبل زعماء العصابات وقطاع الطرق في الطريق...

■ **لماذا يعتقلونك؟**

- من الممكن أن يساوموا على فدية، لأنهم عصابات في النهاية، يريدون أن ينهبوا، لكن بمجرد أن تجاوزنا حدود طالبان، والمسافة تقارب أكثر من 13 ساعة تقريباً، لم نجد أية نقطة تفتيش، ولا قطّاع طرق، ولا أي شيء، الأرض نظيفة، وكلما تمشي تجد الناس آمنة، فاستغربنا، أثناء ذهابي كان منظر ووضع البيئة

كأنك في مجتمع آخر، وفي العودة كان وضع البيئة شيئًا آخر، فهذه الأشياء لفتت انتباهي؛ وصلنا مدينة جلال أباد، وأنا أعرف جلال أباد لأني انطلقت منها قبل ستة أشهر، فلما رجعت رأيت مدينة أخرى، الشوارع نظيفة، الناس آمنون، لكن قبل ستة أشهر، وبعد صلاة العصر، لم يكن أحد يستطيع الخروج.

■ هذا التغير ألا ترى أنه طبيعي، لأنه كان هناك اختلاف في المفاهيم بينهم وبين أمراء الجهاد السابقين؟

- ليست مسألة اختلاف فقط، حتى في تنفيذ القرارات، تنفيذ الأمور كلها، السابقون كانوا عصابات، كل منهم يسير برأسه وحسب هواه.

■ ومع ذلك كنتم تجاهدون معهم، أليس كذلك؟

- لم نكن نجاهد معهم بعد خروج الاتحاد السوفياتي، وأنا لم أشارك معهم، أنا لم أقاتل في أفغانستان إلا مع طالبان.

■ لم تقاتل أيام الاتحاد السوفياتي؟

- لم أقاتل أيام الاتحاد السوفياتي، ولا حتى أيام الأحزاب أثناء الفتنة، لم أشارك.

■ وماذا بعد ذلك؟

- بمجرد وصولنا إلى مدينة جلال أباد اجتمعت مع بعض الإخوة، كانوا يعملون في هيئات إغاثية، فوضعوني في بيت، وقالوا لنتواصل مع الإخوة، فاتصلوا بهم عن طريق جهاز اللاسلكي، فكان الأخ مهند الجداوي الذي هو حسام بن عتش موجوداً، وعرف أنني موجود، وطبعاً كانت مجموعة الشمال قد سبقوني، فأنا وصلت بعدهم بثلاثة أيام، وسألني عن برنامجي، فقلت له إنني سأعود لأكمل الزواج.

■ **كانت فكرة الزواج لا تزال تراودك؟**

- كشيء بديل، إذا ما عندي قدرة أذهب إلى الجبهة، أو إذا ما عندي أي قرار أن أذهب إلى أي جبهة، فقال لي: إن الشيخ أسامة موجود هنا، فقلت له وما شأني أنا بـ بن لادن، إن برنامجه مختلف عني، وأنا لا علاقة لي بالموضوع.

■ **كنت تعتقد أن جلدته مختلفة عن جلدتك؟**

- لم نكن نفهم ماذا يريد... نحن قرأنا أن بن لادن أعلن الجهاد ضد أميركا، وقرأنا البيان الأول له، لكن لا زال الموضوع في رؤوسنا موضوع جهاد وجبهات مفتوحة وهكذا، وأنا كنت مع ذاتي في صراع بين أن نكون أحراراً نتحرك بحريتنا إلى أي جبهة نريدها، وبين أن تكون مقيداً في تنظيم وفي عمل معين، فالتنظيم تقييد لتحركاتنا.

■ **تعني تنظيم القاعدة؟**

- أي تنظيم، جماعة، أو إمارة، في هذا النوع أنت مطالب أن تسمع وتطيع وتتحرك على ضوء البرنامج وليس على هواك أنت، نحن لم نكن شبابا في رحلة.

اللقاء الأول مع بن لادن

■ **كيف اقتنعت؟**

- وصلني اثنان من الإخوة، أرسلهم الشيخ أسامة، هم إخوة مصريون، فكان منهم أخ طالب علم، وهو أخ حبيب إلى قلبنا، وهو الأخ أبو محمد المصري، فطبعاً الشباب وصلوا قبلي بثلاثة أيام، ولما وصلت أنا كنت قد قررت أن أتحرك في صباح اليوم التالي؛ فجاءني الأخ في الليل وقال: «يا أخي الشيخ أسامة

يدعوك تحضر». قلت له يا أخي «أنا على سفر»، أي اعتذار بأدب، فقال لي: «ما رأيك؟ قال وإذا دعاك فأجبه». فأنا خرجت من عبارته وقلت له: «أنت مطاع وما في خراج منكم» بالضحك وبالدعابة، ولبيت دعوة الشيخ أسامة، فكان أول يوم ذهبنا إليه عند الصباح الساعة التاسعة، وبمجرد ما وصلنا بدأ يتكلم الشيخ أسامة، يحدث الحديث هكذا، وكان يتكلم ويوجه لي الكلام، ويقول لي: «فطنت يا أبا جندل؟ فهمت يا أبا جندل؟» وأنا مستوعب للمسألة تماماً.

■ **هل كانت محاولة لثنيك عن قرار العودة؟**

- لأن الشيخ أسامة فعلاً منذ أعلن الجهاد -وهذه حقيقة- كان بحاجة لأبناء الأرض، وليس معقولاً أن تذهب للقتال في أميركا وأنت بدون أبناء الأرض، هل ستأتي بأجانب يقاتلون؟

■ **أبناء الأرض في أفغانستان، أي أبناء عرب؟**

- نعم، أبناء عرب يقاتلون معه ويدخلون في التنظيم، من أبناء الجزيرة العربية، من أجل أن تحيا المسألة من جديد.

■ **هل انضممت على الفور للتنظيم؟**

- لا، لم أنضم، فقط بقيت عندهم، قررت أن أبقى.

■ **هل وقع توجيه الحديث لك باسمك في نفسك؟**

- ليس الموضوع أنه دعاني باسمي فقط...

■ **كان يتحدث ويقول رأيت يا أبا جندل، فهمت يا أبا جندل، فطنت يا أبا جندل، شفت يا أبا جندل، وقع شيء في نفسك فبقيت، أليس كذلك؟**

- بقينا نعم.

التدريب في معسكرات القاعدة

■ **ماذا حدث بعد ذلك؟**

- بدأت أتوجه إلى معسكرات التدريب، لأن المعروف أن تنظيم القاعدة يعتبر من أفضل التنظيمات الجهادية في مسألة التدريب، في عناصره وإمكانياته والمعسكرات؛ فاتجهنا للمعسكرات وبدأت عملية تدريبات مكثفة، وأخذنا دورات لم نكن نعرفها، كنا نسمع عنها، في يوم من الأيام أيضاً حصلنا عليها، فكانت عملية تأهيل، وأثناء فترة تدريبنا دارت أحداث قربت أبو جندل وشباب مجموعة الشمال من الشيخ أسامة أكثر.

■ **بدأت تقترب من شخصيته حتى أصبحت حارساً شخصياً له؟**

- نعم.

■ **في أحد تصريحاتك قلت بأن بن لادن أعطى تعليمات مشدّدة للحراسات المحيطة به في حال محاصرته، أنه يفضل أن يقتل إذا كان على وشك أن يعتقل.**

- هذا صحيح.

اقتلوني قبل أن يعتقلني الأميركان

■ **هذا المشهد مشهد مختلف عن المشهد الذي حدث لاعتقال الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، هل تعتقد أن هذا يؤكد فرق الشخصيتين كما أشرت في إحدى المقابلات؟**

- نعم.

■ **بأي شكل؟**

- صدام حسين كان غير مستعد للموت في بداية أيامه، قبل أن يعتقل، لكن أسامة بن لادن أصلاً لا يفكر في الاعتقال، مسألة الاعتقال هذه مسألة ملغاة تماماً.

■ **ولا يصنف هذا أنه انتحار!**

- ولا يصنف أنه انتحر.

■ **كيف كنتم تصنفونه شرعاً؟**

- استشهاد.

■ **استشهاد حتى لو يقتلكم أحد من حراسكم؟**

- لأني أعرف حجمه، مثلاً لو يعتقلوني أنا ناصر البحري (أبو جندل)، أنا عندي مسألة بسيطة، أو يعتقلوا فلاناً أو علاناً من الشباب مسألة بسيطة جداً، لكن يعتقل أسامة بن لادن أو أيمن الظواهري أو الشيخ أبو حفص - عليه رحمة الله -، فهذه مسألة أخرى، لأن المسألة هنا أن أسامة بن لادن عبارة عن رمز الآن في وجه أميركا، وعبارة عن شوكة في خاصرة أميركا، فـ بن لادن

عندما يعتقل تكون فيها هزيمة نفسية لأبناء الجهاد والجماعات الجهادية في كل مكان.

■ **هل المشكلة في الهزيمة النفسية وليست في الاعتقال؟**

- وأيضاً حجم المعلومات، حجم المعلومات له دوره.

■ **هل من الممكن أن يستخرجوا معلومات من بن لادن لو اعتقلوه.**

- أكيد؛ أنا أعطيك معلومة، في بعض العمليات التي تنفذ لا يعرفها أحد سوى المنفذ والشيخ أسامة.

■ **وبالتالي كانت تعليمات مشددة في هذا الاتجاه!**

- هو يفضل هذا الشيء، حتى أذكر في إحدى المرات كان يتكلم معي ويقول ذلك، فقلت له: «الله لا يجعلني أنفذ هذا الشيء»، والحمد لله.

■ **كان يقول ماذا؟**

- إذا حوصرنا وكذا فكان يقول لي: نفذ.

■ **اقتلني ولا أن أعتقل.**

- كان حتى باللفظ ذكرها، قال أن أُضرب على ظهري من ضمن الحراسة ولا يعتقلني الأميركان حيًا.

■ **نعود إلى مسألة علاقتك به، الآن نشأت علاقتك بـ بن لادن، كم سنة بقيت معه؟**

- من 1996 حتى 2000.

■ لماذا عدت عام 2000؟

- أحداث يطول شرحها، لأني بعدها تزوجت، وصارت حالات مرضية.

■ تزوجت أثناء وجودك مع أسامة!

- نعم، بل حتى الشيخ أسامة هو الذي تكفل بمسألة زواجي والمهر والتكاليف.

■ هل تزوجت هناك؟

- لا، عدت إلى اليمن، هو تكفل بمسائل سفري والمهر والزواج والحفل هنا، والعودة بأهلي (زوجتي) تكفل بها كاملة الشيخ أسامة.

■ ورجعت أنت وأهلك!

- رجعت أنا وأهلي.

■ كم بقيت بعد الزواج؟

- تقريباً سنة وثلاثة أشهر.

العودة الأخيرة

■ ثم استأذنت أيضاً وعدت.

- نعم؛ استأذنت وعدت، وكانت هي العودة الأخيرة.

■ **ثم تم اعتقالك بعد أن عدت حتى إلى اليمن بستة أشهر، كم بقيت معتقلاً؟**
- سنة وعشرة أشهر.

■ **طيب هل حقق الأميركان معك أيضاً؟**
- نعم حققوا معي الأميركان.

■ **لمدة كم؟**
- لمدة ما بين 18 يوم إلى 22 يوماً.

■ **كنت أيضاً أنت من ضمن الناس الذين أجرى معهم القاضي حمود الهتار حواراً داخل السجن، كيف كان هذا الحوار؟**
- حقيقة القاضي حمود تصدر لمسألة كانت مهمة جداً، وهي مسألة فعلاً خففت شيئًا من الاحتقان الذي كان في عقلية كثير من الشباب ضد الحكومة اليمنية، وضد الحكومات العربية بشكل عام، نحن في فترة بقائنا في أفغانستان، واحتكاكنا بالبوسنة والصومال وطاجكستان، ولد لدينا نوع من الأفكار بأن هذه الحكومات مرتدة، ولا يمكن التعامل معها إلا بلغة البندقية، وأنه ليس هناك مجال لأي نقاط التقاء بيننا وبينهم، وأن هذا مستحيل.

مسألة تكفير الحكومات

■ **الآن ما وجهة نظرك تجاه الحكومات العربية؟**
- والله تختلف من حكومة لحكومة، ومن وضع لوضع، مثلاً أتكلم عن وضعي في اليمن، المفروض أننا نلتزم بما تعهدنا به للحكومة اليمنية، بتأمين البلد،

وعدم استهداف الأجانب، وعدم الانتماء لأي تنظيم مسلح...

■ هل تعتقد أن هناك حكومات عربية كافرة؟

- ليست كافرة بمعنى أنها... ولكن (زي ما تقول) اتخذت قرارات ونفذت أشياء أدّت بها بالنهاية أن تدخل في سلك الكفار.

■ أي أنها كافرة، أليس كذلك؟

- كافرة.

■ إذاً أنت تكفر بعض الحكومات؟

- أكفر بعض الحكومات.

■ ومازلت تكفرها؟

- ما زلت أكفرها.

■ وكنت تكفر الحكومة اليمنية في السابق قبل حوار السجن!

- لا بالعكس، يمكن كان عندنا أكثر حكومتين لم أكن أفكر أني أخرج ضدهما: حكومة السعودية واليمن، ليس لوضع أو ظرف، ولكن وضع العلماء كان في تلك الفترة، استجابة لكلام العلماء...

■ كيف تأثرت من حوار القاضي حمود الهتار؟ أو ماذا تغيّر عند أبي جندل قبل الحوار وبعد الحوار؟

- كان هناك تخوف من الحكومات، وأنه لم يعد هناك مجال للتفاهم معها إلا بلغة البندقية وعمليات الجهاد، ولكن لما جلسنا مع القاضي حمود الهتار،

ورأينا تعامل الحكومة اليمنية معنا أثناء السجن، زال شيء كثير من الصور التي في رؤوسنا؛ نحن كنا مثلاً نجلس في مضافات الشباب، ونتحدث عن التعذيب في السجون المصرية، أو فيلم، لا ترى إلا الجلد الدماء والتعذيب وقلع أظافر، فولد لدينا أن هؤلاء الناس لا يمكن التفاهم معهم إلا بهذه الحالة، لكن لما رأينا معاملة في السجون اليمنية، ومن ضمنهم الضباط في الاستخبارات اليمنية، وأيضاً تعاونهم معنا، وأيضا استلطافهم، فغيّر شيئاً من الأفكار التي في رؤوسنا عنهم.

■ **بأي اتجاه، وما الذي تغيّر؟**

- باتجاه إيجابي، بالتعاون معهم.

المبايعة

■ **كنا نتحدث ـ أخ ناصر ـ عن علاقتك بالجهاد، كيف انتقلت من البوسنة إلى الصومال ثم إلى طاجكستان وأفغانستان. نود أن نواصل حديثنا عن أفغانستان حيث وصلت في 1996، أصبحت الآن قريباً من أسامة بن لادن، كيف انضممت إلى التنظيم؟ خصوصاً وأنك في الحلقة الأولى كنت تتحدث أنه كان لديك تحفظ، لا تريد أن تنضم إلى تنظيم حتى لا تلزم نفسك بما يلزمه التنظيم لأفراده؟**

- مسألة الانضمام إلى تنظيم القاعدة، ومبايعة الشيخ أسامة، هي مسألة دارت بيني وبين الشباب، كان بمجرد أن حملنا بنادق، والتففنا حول الشيخ أسامة، فكان وضعنا أننا كنا نشعر بأن المسألة ناقصة، نحن متطوعون الآن لكن عندما نصبح أبناء تنظيم، وأبناء أسامة بن لادن بالأصح، فالوضع سيكون مختلفاً،

فكانت كنوع من أننا نسمو بأنفسنا من متطوعين عاديين جداً قد نذهب إلى أي مكان، إلى أناس نلزم أنفسنا بعهد وبيعة وميثاق، ولا بد أن نوفي بهذا الشيء.

■ **هل تم تسليحكم قبل الانضمام إلى تنظيم؟**

- نعم قبل أن ننضم إلى التنظيم.

■ **بعد التسليح كم مضى من الوقت حتى انضممتم إلى التنظيم؟**

- ما يقارب من سنة إلى عشرة أشهر تقريبا.

■ **ألم يدعك أحد إلى هذا الانضمام؟**

- أبداً ما دعاني أحد.

طقوس البيعة

■ **أنت الذي ذهبت وقلت له أريد أن أبايع؟**

- أنا جلست مع الشيخ أسامة وسألته بالحرف الواحد، قلت له: «يا أبا عبد الله»، قال: «نعم»، قلت له: «كيف نبايعك؟»، فضحك الشيخ أسامة وقال: «نجلس ونقول هكذا وننفض ونضع يدنا بيد بعض»، فمباشرة مددت يدي، فضحك الشيخ أسامة ومدّ يده، فتلفظت بالبيعة، ومن يومها انضممت إلى التنظيم.

■ **هذا تقريباً في أي وقت؟**

- قد لا أذكر الحادثة بالتمام، ولكن تقريباً قبل أحداث نيروبي ودار السلام

بعام كامل، أي أواخر 1996 أو أوائل 1997.

■ **هل تعتقد أن بيعة أسامة بن لادن ما زالت في عنقك؟**

- أحتاج إلى التفكير كثيراً، لا أستطيع الإجابة بسرعة هكذا.

■ **لأن المعروف من النصوص الشرعية أن التخلي عن البيعة له عواقب، فهل تمّ الاتفاق بينك وبين أسامة بن لادن على أن تتخلى عن البيعة، أم ما زالت البيعة في عنقك؟**

- ما زالت المسألة تحتاج إلى استفتاء، ونسمع من المشايخ بعد أن نسألهم في هذا الموضوع، بالرغم من أنها تدور في نفسي كثيراً، أي أنني أسأل نفسي: هل أنا مذنب؟ هل أنا مخطئ، هل أنا آثم في هذه المسألة، فالمسألة تحتاج إلى تفكير.

■ **لأنك مثلاً تخليت إلى حدٍ ما!**

- تخليت، الناس كانوا في حاجة ماسة إليَّ، والشيخ أسامة كان في حاجة ماسة، لأن –حقيقةً- المعركة بحاجة إلى كل مسلم، فما بالك إذا كنت واحداً من المقربين للشيخ أسامة، وفي يوم تذهب من عنده، فهذه بدأت تثير في نفسي الكثير من التساؤلات.

تكفير أبي جندل

■ **بعض المنتمين للجهاد صرحوا بأن أبا جندل خان الجهاد، أو أنه تخلى عن الجهاد، أنت سمعت بهذا بطبيعة الحال، أليس كذلك؟**

- سمعت وقرأت حتى في الإنترنت، وقرأت ذلك في بعض الصحف، وصل الأمر إلى حد تكفيري، وصل الأمر أن دخلت مجموعة من أجل تصفية أبي جندل تصفية جسدية.

■ **وكيف تعاطيت معها؟**

- بكل أريحية، لأنه مهما كان، فهؤلاء الأشخاص الذين تعاملوا معي لا ينتمون إلى تنظيم القاعدة، ولا ينتمون إلى تفكير أسامة بن لادن، وأنا إنسان مؤمن بالقضاء والقدر، إذا قتلت على أيدي هؤلاء، ممكن أن اعتبر أنها خطأ.

■ **كيف تعرف أنت أنهم لا ينتمون إلى القاعدة؟**

- لأني أعرف عقلية الشيخ أسامة، وأعرف عقلية عناصر القاعدة، وكيف يفكرون. ليس من المعقول أن يضعوا رأسهم برأس أبي جندل، أو يلغوا توجه تنظيم كامل من أجل أن يصفوا أبا جندل لأنه ترك الجهاد، لأن هناك عشرة غير أبي جندل تركوا الجهاد، لم تقف المسألة على أبي جندل... ثم إنني بعد ذلك اكتشفت أن المجموعة التي أتت هم من الشباب الصغار الذين ليس لهم أي تجربة، وكان الموضوع يُثار فيما بينهم: لا بد هذا العميل وهذا العدو... وانتهت المسألة بهدوء الزوبعة.

■ **والآن ماذا جرى على هذه المجموعة؟**

- آخر الأخبار أنهم معتقلون وحكموا في المحاكم اليمنية.

■ وخرج بعضهم؟

- بعضهم خرج نعم.

■ هل تعرف إذا ما كانوا تخلوا عن الفكرة أم لا؟

- أنا التقيت بهم وعزمتهم في بيتي، حتى كانوا يقولون -في تلك الفترة- إنها كانت فكرة طائشة، وكان عندنا تصور خطأ عن أبي جندل وهكذا.

■ لنعد إلى قصة وجودك في أفغانستان، عندما بايعت أسامة بن لادن، ماذا حدث بعد ذلك؟

- بعدما بايعت الشيخ أسامة، بدأت عملية تكليفي ببعض المهام، مثل مسؤول في النظافة مثلاً، حراسة الشيخ أسامة، وعندما تحصل مشاكل في قطاعات معينة، كنا نذهب بحكم قربنا من الشباب، نحاول أن نمتص أمور غضب الشباب، والفتن هذه التي تثار بينهم.

فريق حراسة بن لادن

■ كم عدد الحراس الموجودون عند الشيخ أسامة بن لادن؟

- الحراس الثابتون عند الشيخ أسامة 15 شخصاً.

■ يتناوبون على الحراسة؟

- نعم 15 متواصلون معه، كوكبة، حيثما راح فهم معه، لا يتركونه حتى باب البيت.

■ **في كل لحظة موجودون، هم الـ 15 أنفسهم؟**

- هم 15 لا يتغيرون.

■ **ولكن متى ينامون؟**

- هم يتناوبون.

■ **أقصد في اللحظة نفسها، كم يكون موجوداً من الحراس، كيف يكون مجموعهم 15 ويتناوبون؟**

- هم 15 من حوله، فمثلاً إذا كان الشيخ موجوداً في مقرّ إدارته للتنظيم، يكون الـ 15 متوزعين حول المنطقة هذه، اثنان إلى جواره، وثلاثة خارج البوابة، وهكذا، موزعون، وحيثما تحرك يكون هؤلاء الـ 15 حوله كظله.

■ **ولكن عندما ينام يظل هؤلاء في حراسته؟**

- إذا دخل الشيخ أسامة مثلاً بعد صلاة العشاء إلى بيته حتى صلاة الفجر، يتناوبون على حراسة الشيخ على البوابة متوزعين حول بيته ، وقد يحدث أن يقوم حارس واحد بحراسته مرتين في اليوم.

■ **حتى أثناء نومه؟**

- حتى أثناء النوم، قد تأتي وردية فينادونك (اصحى يا فلان يلا حراستك)، يبدلون بعضهم البعض، لكن في حالة أن الشيخ مستيقظ فالكل مستيقظ.

■ **كم كان معدل ساعات نومكم في ذلك الوقت؟**

- قد لا تتجاوز الأربع إلى الخمس ساعات في اليوم.

■ **كل يوم على مدار الأسبوع؟**

- كل يوم، حتى أن النوم لا يكون إلا -مثلاً- إذا أخذ الشيخ أسامة قيلولة في الظهر، فهذه تعتبر فترة راحة بالنسبة للحراسة، أو إذا -مثلاً- دخل بعد العشاء إلى بيته لينام.

■ **كم ساعة كان ينام أسامة بن لادن؟**

- هذه هي المشكلة، في بعض الحالات كان يخرج في منتصف الليل، أحياناً يحدث تصرف معين فيطلبونه، أو يأتي ضيوف في وقت معين، أو يكون عنده أمر معين، وفي بعض الأحيان كان يسهر حتى منتصف الليل، إذاً لا نوم في هذه الحالة.

■ **كم كان معدل ساعات نومه يومياً؟**

- ما استطعت أن أحددها لأن وقته كله متقطع.

بن لادن أما زال حياً؟!

■ **هل تعتقد أن أسامةا بن لادن ما زال حياً؟**

- بإذن الله عز وجل حي، وأعتقد أنه حي.

■ **رغم أن أخباراً نشرت عن وفاته؟**

- كلها أكذوبات، هناك صحيفة فرنسية قالت إنه توفي، ثم قالوا: إن عنده الكلى، وأناس قالوا -لا أدري- إن عنده القلب، وتصنيفات أخرى من هذا النوع.

■ **ولكنك تعتقد أن كل هذا غير صحيح؟**

- كله كذب في كذب، لأن صحته أحسن من عشرة شباب.

■ **هل ما زالت تصلك أخبار عن طريقه عن التنظيم؟**

- منذ أن خرجت من السجن إلى الآن، ما يقارب ست سنوات لا يوجد أي اتصال مع الإخوة في التنظيم.

■ **ألا تتعاطى الأخبار مع الناس؟**

- مع الأحداث، لكن لا شيء آخر.

■ **وما الذي يجعلك تجزم بأنه حي؟**

- أجزم بذلك من عدة نواح.

■ **هل هو تحليل مثلاً؟**

- لا، ليست مسألة تحليل، بل مسألة معرفتي بالناس، ومعرفتي بعقلية وتفكير الشيخ أسامة وهؤلاء الشباب.

■ **لكن الموت ليس له علاقة بالعقلية، أليس كذلك؟**

- أي نعم، ولكن أيضاً عملية إخفائه ليست صحيحة، أن تخفي عن الناس وفاة الشيخ أسامة، ليس معقولاً؛ ودعني أقول لك شيئاً، لأنه في الأول والأخير ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ -محمد- أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾، (آل عمران: 144)

أسامة بن لادن رمز بالنسبة لنا، نعم سنحزن في حالة وفاته، لكن لن يقف أمام الطريق، لا بد من الجميع أن يواصل.

■ **تعتقد أنه لو مات سيعلن التنظيم وفاته.**

- أكيد.

■ **في اللحظة نفسها؟**

- ليس في اللحظة نفسها، قد يرتبون ترتيبات معينة، لأنه في التنظيم لا بد أن يخلف الشيخ أسامة، لا بد أن يوجد من يعيد ترتيب القيادات في الخارج، فالعمل مسألة ليست بسيطة.

■ **من تعتقد أنه يخلف أسامة بن لادن في التنظيم؟**

- والله الشيء المسلّم به من الجميع هو الدكتور أيمن الظواهري.

■ **وبعد الظواهري؟**

- الله أعلم.

■ **ألا توجد شخصية بارزة في تقديرك؟**

- معظم الإخوة في القيادات المتعارف عليها، معظمهم ما بين معتقل أو مطارد باستثناء الشيخ أسامة والدكتور أيمن، ما زالا موجودين، لكن البقية الباقية القادرين على أن يتولوا العمل، فهم بعيدون عن هؤلاء.

القاعدة وإيران

■ **هناك بعض الشخصيات الرئيسية في تنظيم القاعدة، ذكرت أنباء أنها موجودة في إيران، مثل أبو غيث وغيره، هل تعتقد أن هناك تنسيقاً مثلاً بين**

التنظيم وبين إيران؟

- يكون هناك تنسيق، لكن على ضوء مصالح متقاطعة.

■ **كيف؟**

- يمكن أن يكون مثلاً في اتقاء عدو مشترك، الذي هو الولايات المتحدة الأميركية، والإيرانيون –لمعلوماتك– يعلمون أن الضربة قادمة قادمة لا محالة باتجاههم، فلا بد من أن يستفيدوا من جميع العناصر المتاحة لهم في الساحة، بما فيها تنظيم القاعدة.

■ **بفهمك هل تعتقد أن تنظيم القاعدة يمكن أن يعمل مع الإيرانيين في مواجهة أميركا؟**

- بالتنسيق مع الإيرانيين، لكن لا أعمل تحت ظل الإيرانيين، أعمل معهم بالتنسيق، هذا ممكن، لا مشكلة.

■ **وما الفرق أن يكون العمل تحت ظل الإيرانيين أو بالتنسيق معهم؟**

- إن كان تحت ظل إيراني، فسوف يفرض عليّ أجندة خاصة بهم، لكن التنسيق: أنا أجِندة وأنت أجندة، نعرف نقاط التقاء نتعامل على ضوئها.

■ **والموجودون الآن داخل إيران، هل هم تحت أجندة التنظيم أم تحت أجندة الحكومة الإيرانية؟**

- هناك نقاط التقاء، أنا موجود في إيران بموجب اتفاقية، بموجب نقاط نلتقي عليها أنا وأنت، لكن هذا لا يشترط أن أعمل بأجندتك أنت، ممكن أنا وأنت خصمنا واحد، فأنا سأوجه ضربات له وأنت ستوجه ضربات، بالحقيقة أو بالأصح سنقاوم، إما أن كل واحد منا سيقاوم بأسلوبه، أو بالتنسيق مع الآخر.

■ أو سنعمل سوياً...

- هو تنسيق، نعمل سوياً لكن كل واحد فينا على ضوء ما نلتقي عليه، لأنها مسألة عقائدية موجودة، والاختلاف العقائدي موجود، وكل شيء قائم.

■ قبل قليل تتحدث عن تنسيق أو اتفاق بين الحكومة الإيرانية وبين التنظيم، هل تعرف ما هي عناصر هذا الاتفاق؟

- هذه الأمور لا أطلع عليها، لكن من الأشياء المسلّم بها، أنه كان هناك شخصان يهتمان بهذه المسألة، هما الأخ سيف العدل، والأخ أبو حفص الموريتاني، كانا يهتمان بهذا الموضوع؛ التنسيق والتواصل ونقاط الالتقاء بينهم، تعارفوا عليها، ولكن بحكم أننا نحن كنا بالحراسة، كنا نطبق قاعدة «لا أرى لا أسمع لا أتكلم» في أشياء كثيرة جداً، لا نستفسر عنها، حتى لا نحصل على معلومات على ضوئها قد تؤثر مستقبلاً على التنظيم.

من الشرنقة إلى الفراشة!

■ هل تخليت عن قاعدة «لا أرى لا أسمع لا أتكلم» بعد أن أصبح لك حديث في الإعلام؟

- كله حديث ذكريات، ليس هناك أي ضرر من الناحية التنظيمية، خصوصاً بعد أحداث أفغانستان وأحداث سبتمبر، التنظيم تحول من شرنقة إلى فراشة بكاملها، عملية تحول من هلال إلى بدر، فالوضع تغير بالكامل.

■ قلت إنه تم التحقيق معك من قبل، طبعاً سُجنت في اليمن ثم حقّقت معك ـ كما تقول ـ الجهات الأميركية (إف بي آي) كم كانت مدة التحقيق؟

- كانت تستغرق -بعض الأيام- من بعد صلاة المغرب إلى الساعة العاشرة أو الثانية عشرة ليلاً.

■ **في السجون اليمنية؟**

- في السجون اليمنية نعم.

■ **ماذا كانت عناصر التحقيق؟**

- كانت كلها تدور حول التنظيم، الخلايا النائمة، إمكانيات التنظيم، في مثل هذه الأشياء كانت تدور حولها.

■ **وكنت تدلي بكل ما تعرفه عن ذلك.**

- لأنني أنا أصلاً لا أعرف شيئاً.

■ **كيف لا تعرف شيئاً وقد مكثت معهم أربع سنوات؟**

- مثلاً موضوع الخلايا النائمة، كيف أعرف ما هي الخلايا النائمة، وموضوع إمكانات التنظيم، ما أدراني به؟ أنا أمامي شيء معين، عندي مهمة محددة، وهي حماية هذا الرجل، لا أتدخل في أي شيء آخر، اجتمع هو ومجلس الشورى في داخل الغرفة، فأنا جالس في الخارج، لا أسمع، وإن سمعت شيئاً فأمسحه فوراً من رأسي.

■ **إذًا كانت الاجتماعات تُعقد بشكل مغلق دون أن يكون لكم أي دور فيها؟**

- لا نتدخل أو نسمع بها، وحتى لو سمعنا، فقد عوّدنا أنفسنا و(برمجناها) على أن نمسح ما يدخل في رؤوسنا مباشرةً.

■ **ممن يتكون مجلس الشورى؟**

- كامل التنظيم، الشيخ أبو حفص المصري - الله يرحمه -، الشيخ سعيد المصري، الشيخ أبو حفص الموريتاني، الشيخ أبو الخير المصري، الأخ أبو محمد المصري، سيف العدل المصري.

■ **كل هؤلاء كانوا هم مجلس الشورى.**

- المقربون، هم أساس التنظيم، الناس القدماء، والناس الذين يركن لهم الشيخ أسامة كثيراً.

المصريون أقرب إلى أسامة

■ **الأسماء التي ذكرتها تقريباً فيها أكثر من 90% شخصيات مصرية. ظهرت بعض التحليلات التي تقول إن الشخصيات المصرية سيطرت على تنظيم القاعدة، واقتربت كثيراً من أسامة بن لادن، إلى أي حدّ تعتقد أن هذا الحديث أو هذا التحليل صحيح؟**

- هذا التحليل صحيح جداً، ولا غبار عليه، فعلاً كان أقرب الناس إلى الشيخ أسامة بن لادن في التنظيم هم الإخوة المصريين وهذا له أسباب.

■ **هل هذا في الآونة الأخيرة أم منذ البداية؟**

- من بداية الأمر إلى أحداث سبتمبر، كانوا مقربين.

■ **منذ نشوء تنظيم القاعدة؟**

- منذ نشوء التنظيم، لأن تنظيم القاعدة نشأ في أفغانستان، في فترة وجود الجماعات الإسلامية كلها بشكل عام، إن كانوا جزائريين أو مغاربة أو غيرهم،

فالتقى مثلاً الشيخ أبو حفص المصري والشيخ أبو عبيدة - عليه رحمة الله -، وبعض الإخوة، التقوا بالشيخ أسامة، فالرجل كان يمتلك في تلك الأيام -أيام شبابهم- كان يمتلك التمويل، والفكرة في رأسه، والجماعة عندهم الخطط بحكم التجارب في العمل المنظم، فالتقت الخبرة بالأموال، وتولد تنظيم القاعدة.

■ إذًا صحيح أن المصريين قريبون جداً في تقديرك، وهم الذين يشكّلون عصب التنظيم؟

- نعم.

■ مع أنك قلت لي في الجزء الأول إن أسامة بن لادن كان يريد أهل البلد، أهل الجزيرة العربية، مع أن المصريين لا ينتمون للجزيرة العربية؛ هل كان المصريون يخططون، وينفذ الأعضاء من أهل الجزيرة؟

- لا ليست هذه الجزئية، لأن الشيخ أسامة لما كان يبحث عن أبناء البلد -كما يقال- لا بد أنك تهيىء جيلاً بعد هذا الجيل، يكون جيلاً ثانياً وثالثاً حتى يمارس عمله ويستمر فيه، فبالنسبة للإخوة المصريين على مستوى العالم، وجهت لهم ضربات، إن كانوا الجماعة الإسلامية، جماعة الجهاد، وجهت لها ضربات، حتى تقلص عددهم في العالم كله، والعناصر الموجودة عندك هي موجودة داخل أفغانستان، إذًا لا بد من دماء جديدة، لا بد من قيادات جديدة، لا بد من خبرات جديدة تكتسب عملها من تجربة جديدة في الحياة، على ضوء تجارب الآخرين الأقدم منا، فكثير من الشباب الآن الذين يقودون العالم متأثرون بالإخوة المصريين.

■ تقصد الذين في الجزيرة؟

- في الجزيرة، وحتى خارج الجزيرة، حتى الذين في العراق، أو في أي مكان آخر، متأثرون بالأخوة المصريين، لأنه -حقيقةً- الأخ المصري بشكل عام، والمصريون بشكل عام، هذه شهادة للشعب المصري والمصريين، العنصر المصري قادر على توصيل المعلومة، وقادر على التضحية، وقادر على غرس مبادئ في نفوس الآخرين، بحكم تجربة مصر عبر التاريخ.

■ هل لديهم خبرة أكثر من بقية الجنسيات؟

- أكثر من بقية الجنسيات نعم، بحكم طول التجربة في مصر، ما يقارب مائة عام وهم في تجارب وجماعات وتنظيمات وكذا، وتولدت تنظيمات عن تنظيمات أخرى، فهذه كلها تعطيهم الأولوية والأحقية في أن يقودوا العمل.

التحقيقات بين اليمنيين والأميركان

■ سألتك عن أسئلة التحقيق التي وجهت لك من مكتب التحقيقات الأميركي «الأف بي آي»، أيضاً تقول إن السلطات اليمنية قامت بالتحقيق معك، إلى أي حد تعتقد أن هناك فارقاً في الأسئلة التي وجهت لك بين الأميركيين واليمنيين؟

- تقريباً ليس هناك ذاك الفارق، لكن اليمنيين كانوا يركزون المسألة الأولى على موضوع أمن البلد الداخلي، لأن هناك قناعة لدى الأجهزة اليمنية، ولدى الحكومة اليمنية، بأنها لا تستطيع حماية أميركا في الخارج، «خارجاً لا نستطيع أن نوفر لك الحماية يا أميركا»، وللولايات المتحدة الأميركية خصوصاً -على ضوء سياستها في المنطقة- فأنا مستحيل أن أؤمنك في أي

مكان آخر، ولكن في وضع البلد من الداخل، أنا سأؤمن بلدي من الداخل، أنا مطالب بهذا الشيء، فكان تركيز الأجهزة الأمنية اليمنية على الوضع في البلد، على عناصر التنظيم في البلد، وخططهم المستقبلية، الخلايا النائمة، عناصر، معرفتك بالأشخاص، وأنا بالنسبة لي أصلاً كان وضعي وعلاقتي بالشعب اليمني ضعيفة جداً، بسبب أن اليمن كانت بالنسبة لي محطة.

■ **لأنك ولدت وتربيت في السعودية!**

- فكان وضعي في اليمن ضعيفاً، وعلاقتي ضعيفة بالشباب اليمني، وما كان هناك أي فائدة من التحقيق معي في هذا المجال.

■ **لم يستفيدوا منك كثيراً؟**

- لم يستفيدوا مني.

■ **فقط الأميركان؟**

- الأميركان جاؤوا ومعهم موضوع ثان، الأميركان هم خصم في الأساس، فأتوا يريدون معلومات كاملة عن التنظيم، فكانوا يقولون «بحكم أنك أنت حارس مقرب، وأنت مصنف أنك من قيادات الجيل الثاني...»، أنت تعرف الأميركان وطريقة كلامهم.

■ **وأنت هل فعلاً كنت مصنفاً من قبلهم؟**

- هو تصنيف الأميركان، فدع الأميركي يصنف كما يشاء.

■ **أنا أسألك، هل تعتقد أنك أنت من قيادات الجيل الثاني؟**

- لا، أنا لا أصنف نفسي أني قيادي، ولكن أصنف نفسي بأني جندي، حيثما

وقعت نفعت، ضعني في المقدمة، ضعني في المطبخ، سأشتغل، ليس عندي أية إشكالية، لكن الأميركان يصنفون، فدعهم يصنفون كما يشاؤون، هم لديهم حساباتهم الشخصية.

■ **كانوا يسألونك في هذا الإطار؟**

- في هذا الإطار نعم، وأيضاً ما استفادوا شيئاً لأني لا أمتلك معلومات، وحتى لو أمتلك معلومات، فبالنسبة لي -كما قلت لك- مهمة واحدة عندي، هي أسامة بن لادن، أحافظ على هذا الرجل طالما أنا حي، إن قتلت فقد أعذرت أمام الله عز وجل.

الأميركان مستفزون في التحقيقات

■ **كم يومًا حقق معك الأميركان؟**

- قرابة الشهر، كانت تفصلنا أيام الجمع، في بعض الأيام مثلاً يتجرأ الأميركي، ويدير التحقيق بطرق استفزازية، فأنا أوقف التحقيق.

■ **كيف يستفزك؟**

- مثلاً يقول لك «أحنا نستطيع نفعل.. نحن كذا»، ويسيء في بعض الأحيان بكلمة معينة، أو يدخل في مسألة الدين، أنا وأنت لا بأس نكمل تحقيقنا في مسألة تنظيم القاعدة، أما الدين فسيكون هناك حوار ثان بطريقة أخرى.

■ **كنت تتوقف عن الإدلاء حينها؟**

- أتوقف عن الإدلاء، لا بل كنت ألغي التحقيق، أوقف التحقيق كاملاً حتى

يومين أو ثلاثة لا أتجاوب معهم، لا أقبل التحقيق أصلاً، فهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً.

■ كم كان عدد المحققين؟

- في بداية الأمر جاء اثنان، ثم صاروا ثلاثة.

■ كلهم رجال؟ ألم يكن بينهم نساء؟

- لا، لا لم يكن هناك نساء.

■ ويتحدثون اللغة العربية؟

- اثنان منهم عرب لبنانيون، وواحد أيرلندي، لكنه تعلم اللغة العربية في سوريا.

■ وكلهم عسكريون؟

- من الأف. بي. آي، ضباط تحقيق.

■ هل كنت تتوقع أن يكونوا أشرس في تحقيقاتهم؟

- بحكم المعلومات التي نمتلكها نحن عن الأف بي آي، وطريقة التعامل الأميركية، فهذا ممكن، ممكن أن يكونوا شرسين في التحقيق، ولكن حتى كانوا يأتون لي بورقة لأوقع فيها الحقوق، إعلان لحقوقي، فما كنت أرفض التحقيق، وكنت أثق في حكومة بلدي، وخصوصاً أن التحقيق في حضور ضباط من جهاز الأمن السياسي؛ أذكر -في إحدى المواقف- حدثت مشادة في الكلام بيني وبين ضباط الـ أف بي أي، فاليمن أوقف التحقيق تماماً، كانوا يقولون: «نحن بيننا وبينكم التزامات، بيننا وبينكم عهود، نحن وفرنا لكم هؤلاء الأشخاص، فلا تتجاوزوا الخطوط الحمراء».

■ **هل تعتقد أن اليمنيين كانوا يقفون في صفك أحياناً في التحقيقات؟**

- ليس في صفي، ولكن هم إلى جانب الحق، الأميركي يسأل وأنا أجيب، أيضاً من حقوقي في أميركا -وحتى في اليمن- إذا وجدت السؤال غير ذي قيمة، فلا أجيب، وليس هناك ما يمنعني عن هذا الشي، واليمنيون كانوا يحترمون هذا الشيء، وهذا من الأشياء التي ولدت عملية الاحترام المتبادل بيننا وبين الحكومة اليمنية.

■ **كيف عرض عليك اليمنيون فكرة أن الأميركان سيحققون معك؟**

- عرضت علي الفكرة بعد أحداث سبتمبر، طبعاً أنا اعتقلت بعد أحداث ضرب السفينة الأميركية «كول» بشهرين تقريباً.

الاعتقال في اليمن

■ **كيف اعتقلت؟**

- اعتقلت من مطار صنعاء، وأنا مسافر، كنت في طريقي للهرب.

■ **إلى أين؟**

- إلى سوريا، ومن سوريا إلى إيران، ومنها إلى أفغانستان، فتم اعتقالي.

■ **هذا في أي وقت تقريباً؟**

- في ذو الحجة بعد عملية «كول»، بعد عملية «كول» مباشرةً، إذا افترضنا أن عملية كول في شهر رجب، إلى شهر ذو الحجة، ستة أشهر.

■ **لماذا قررت الهرب، ماذا كنت تخشى؟**

- بدأ البحث عني، فصاروا يبحثون عن ناصر البحري، لكن اليمنيين -إلى أن تم اعتقالي- كانوا يشكون بأن هذا الرجل يمني، إنما كانوا يعتبرونني سعودي(سعودياً) يحمل الجنسية اليمنية مثل الآخرين، فلم تكن عندهم قناعة بأني يمني.

■ **وأنت خرجت من المطار بشكل طبيعي بالجواز نفسه؟**

- نعم وبالاسم نفسه، من دون تزوير ومن دون أي شيء.

■ **كيف تكون مطلوباً وتفكر بالخروج بهذه الطريقة؟**

- أصلاً أنا مطلوب منذ 1995 للأميركان بعد خروجي من البوسنة، ففوجئت في التحقيق أن الأميركان يقولون إنهم كانوا يبحثون عني منذ ذلك التاريخ بعد البوسنة، وبالفعل كانوا يبحثون عني، حتى أن بعض الشباب قالوا لي إنهم يبحثون عنا بمجرد خروجنا من البوسنة.

■ **كيف يمكن لرجل مطلوب بدرجة عالية، ومنذ 1995 وحتى 2000، ثم يخاطر بالخروج من المطار بكل هذه البساطة، وببياناته الصحيحة؟**

- هناك مثل جميل في اليمن يقول: اقترب من الخوف تأمن، فنحن نطبق هذه القاعدة؛ ففي بعض الأحيان عندما أتعامل معك ببساطة، وأنت يكون عندك حجم إجراءات ضخم جداً، فالإجراء البسيط معي يجعلني أمر من أصعب المناطق، فأنا مثلاً أمر في دبي، ودبي معروفة أنها مركز رئيسي للأف بي أي، وأمر بالأردن، والأردن معروف، أدخل وأخرج، حتى تفاجأ الأميركان، قلت لهم جوازي باسمي، قالوا ناصر؟ قلت لهم ناصر البحري فاقرب من الخوف تأمن.

■ وأُوقفت في المطار أثناء مرورك على الجوازات!

- لا بالعكس، حتى اليمنيين حقيقةً استدرجوني حتى سمحوا لي، ختموا لي الجواز، ووصلت إلى صالة الانتظار، ثم جاء واحد وقال: «اسمح لي جوازك» عرفت أن الموضوع انتهى، فكان معي بعض الوثائق وأشياء مزورة أخفيتها داخل المطار، أنهيتها مباشرةً، أنا عرفت أن الأمر انتهى.

■ جوازات مزورة!

- لا، كان معي بطاقات بأكثر من اسم، حتى فوجئت أن الشخص الذي كان المفروض أن يجهز لي أوراقي نسي البطاقة هذه داخل المحفظة، فقلت إنهم سيقبضون علي باسم ناصر وباسم فلان وباسم فلان، وهذه ورطة، فتخليت عن البطاقات الأخرى وبقيت باسم ناصر.

■ كيف تخليت عن هذه الوثائق؟

- هو أخذ الجواز، وقال لي انتظر مكانك، في هذه الأثناء أنا استغليت الموقف مباشرة، موضوع ثوانٍ، هي فرصة وحيدة إما تكسبها أو تضيع.

■ بعد ذلك توجهت مع السلطات اليمنية؟

- مباشرةً من دون أي مقاومة، جاء اثنان من ضباط الأمن السياسي: تفضل معانا، أخذت حقيبتي ومشيت معهم مباشرة إلى المعتقل بكل هدوء، لأننا لدينا توجيهات من الشيخ أسامة: «الحكومة اليمنية لا تقاوموا سلموا»، فنحن، كما يقولون في الحجاز: «سيدي وصاني وقال لي لا ترجع».

الدخول إلى المعتقل

■ **طيب دخلت إلى المعتقل وتم التحقيق معك، هل تعرضت... هل حوكمت بعد ذلك؟**

- لا لم أحاكم، لأنني أصلاً ليس علي أي شيء تجاه البلد، لم أقم بأي عمل ضد النظام أو ضد الحكومة اليمنية.

■ **هل قمت بأي عمليات، ضمن ارتباطك بتنظيم القاعدة، سواء داخل الدول العربية أو خارجها؟**

- لا أبداً، أنا جزئيتي حراسة فقط، لا أتدخل حتى في عملية تجنيد الآخرين، لا أتدخل في هذه الأمور كلها.

■ **بمناسبة الحديث عن التجنيد، ما هي الطريقة التي يتم بها تجنيد الشباب للتنظيم؟**

- هناك مسألة لابد أن نطرحها أولاً، وهي كلمة التجنيد نفسها.

■ **تحدثت سابقاً عن أنك ذهبت كمتطوع!**

- أنا أتكلم عني وعن الآخرين، مسألة التجنيد تعني أنني أجندك لغرض معين، حتى أقضي وطري أو غايتي منك، وبعد ذلك انتهى الموضوع.

■ **ليس بالضرورة، أحيانا أجندك وتظل معي حتى بعد انتهاء الغرض.**

- ليس شرطاً، لماذا كلمة التجنيد هذه متعارف عليها في الأجهزة الأمنية في العالم، لأنك أنت كشخص تكون هذه جزئيتك، لكن نحن في تنظيم القاعدة!

أحب بن لادن أكثر من والدي

■ **ما زلت تقول (نحن) في تنظيم القاعدة؟**

- الحب للحبيب الأول، فأنا حقيقةً أقولها وأرددها وعلى قناة العربية، بأن الشيخ أسامة أضعه في مقام الوالد، بل يمكن أن أحبه أكثر من أبي، هذه كلمة قلتها ولا أبالي، وأذكرها مرة أخرى، فعملية التحاق الشباب بتنظيم القاعدة، مسألة الدعوة، تخضع لمسألة التجنيد، هذه قاعدة عندنا، فأنا عندما أدعو الشاب، وعندما يستجيب هذا الشاب، أصبح جزءاً مني، وليس آلية أو جزءاً من شخص أستخدمه لفترة معينة.

■ **أنت استخدمت لفظ التجنيد، قلت: «حتى أنا لم أكن مكلفاً بالتجنيد»، ولا أنت تحفظت عليه، فما هي الآلية التي يتمّ بها التجنيد؟**

- دعوة الشباب، معظم شباب الجهاد عندما يأتي، يكون متحمساً، لكنه يريد مسألة الجهاد، أن يحمل السلاح، أن يقاتل في سبيل الله، لكن لما تبدأ تغرس في قلب هذا الرجل، وفي عقل هذا الشاب، قضية يقاتل من أجلها، قضية يحمل من أجلها همّ مسألة أمة، مسألة مقدسات، مسألة مقدرات، مسألة أجيال بكاملها قد تغرّب، فهذه الأشياء تعطي للشاب نوعًا آخر من المدارك، توسع مدارك الشاب، فتتحول المسألة عنده من مسألة مغامرة خرج إليها، إلى مسألة عقيدة يقاتل من أجلها، ينام ويصحو يفكر فيها، تصبح همًّا، وهنا تختلف المسألة.

العلماء مسؤولون عن الأخطاء

■ أنت قلت في إحدى الحوارات التي أجريت معك في المذكرات، بأنه «إذا كان الأشخاص الذين ساهموا في إصدار الفتاوى، أو تحريضنا على الجهاد تراجعوا، فما بالك بنا نحن الذين كنا أقل من العشرينات من العمر، في السابعة عشرة والثامنة عشرة»، ماذا كنت تقصد بهذه الفكرة؟

- لا بأس من أن أوضّح العبارة بصيغة أخرى: إن الكثير من الناس برّروا لبعض المشايخ الذين تراجعوا...

■ تراجعوا كيف؟

- مثلاً قال: نحن فُسر كلامنا خطأ، وكلامنا كان غير مقصود؛ مثل مشايخ كثيرين تراجعوا في هذا الموضوع، لأنه -حقيقةً- ما حصل في 11 سبتمبر، وما حصل في أفغانستان والبوسنة، هو تفاعلات لفتاوى العلماء وتحريضاتهم لنا، مثلاً أنا لما أسمع شريط صناعة الموت، لما تقول لي في شريط صناعة الموت أننا نحن الأسلحة النووية والبيولوجية، هذه في مقاساتنا وقياساتنا كمسلمين ملغاة، أنت تقول هذا الكلام، أنت قلت لي كلامًا، لكن أنا في ساحة المعركة طبقته. نحن أهل مبادئ. أنت قلت هذا الكلام سنة 1991 مثلا، وأنا طبقته في 2001، أي بعد عشر سنوات، فلماذا تتراجع عنه، أنت صاحب هذه الفكرة، أنت صاحب مبدأ، لكنني أنا لما خرجت، لم أخرج خبط عشواء، أو عن هوى؛ بل خرجت على ضوء فتوى، على ضوء تذكير. عندما يأتيني الشيخ ويقول في شريط صناعة الموت: «الشهيد يشفع في سبعين من أهله، ليس أهله...» باللفظ يقول «ليس أهله الذين ربوه، ولكن أهله الذين حفظوه آياتها وأناشيدها وكلماتها وأحاديثها»؛ إذًا من الذي حفّظني آياتها وأحاديثها؟أبي وأمي؟ إنه أنت يا شيخ، في يوم القيامة -بعدما أخرج

وأقاتل وأتمنى الشهادة وأستشهد- سأشفع لك أنت أول واحد، أنت الذي حرضتني ووصلتني إلى طريق الخير هذا، فهي قناعات بأنك أنت دفعتني باتجاه الخير، إذًا فلماذا -بعد سنوات- ولما احتدم الصراع وأصبح السوط على الجميع والبندقية وجهت للكل، تقول لي: فهمت كلامي خطأ، وأن هؤلاء الشباب مخطئون؟

■ **هذا الذي تقصده بالخذلان؟**

- لا، هذه مسألة وهذه مسألة، نحن لا نلوم المشايخ في تراجعهم، بالعكس نحن نحترمهم، مثلما قلت لك، ما زال الاحترام قائمًا بيننا وبين مشايخنا، نحترم الشيخ مهما يكن.

■ **مع أنه كانت الفتاوى تصدر أحياناً من أجواء قريبة من التنظيم، تكفّر بعض الذين تراجعوا، أليس كذلك؟**

- ما سمعت بهذا، وهذه المسألة ينبغي لي أن أتأكد منها أكثر، مسألة أنهم كفّروا مشايخ؛ إن كانت المسألة هكذا تصبح مسألة كبيرة، نحن لا نقبل؛ لكن مسألة العلماء والدعاة نحن نحترمهم ونلتمس لهم العذر، وفي تاريخنا موجود الكثير، فتنة خلق القرآن، لم يصمد إلا أحمد ابن حنبل، فهل يحيى بن معين، وابن واسع، وعلماء الأمة كلهم تخاذلوا وتراجعوا ونعتبرهم جبناء ومرتدين؟ لا؛ لكنهم ضعفوا. ابن مسعود يقول: «والله ما هي إلا سوط أو سوطان فأتراجع، أنا ضعيف»؛ وعمار بن ياسر لما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «يا عمار كيف تجد قلبك؟» قال: «عامر»، قال «فإن عادوا فعد»، فالمسألة فيها قياسات وحسابات كثيرة جداً؛ فنحن نلتمس لمشايخنا الأعذار، لكن لا تقفوا حائطاً بين الشباب هؤلاء، الذين لا يريدونه أن يواصل القتال يقولون له: «لا، أنت مخطئ»، فإذا

كنت أنا مخطئًا فبينوا لي أين خطئي، لا تقل لي أنت مخطئ وانتهى الموضوع، لابد أن تبين لي خطئي الذي وقعت فيه.

■ **هل تعتقد أنهم خطّأوهم دون أن يبيِّنوا الأسباب؟**

- هذه هي المسألة، هذه هي المشكلة.

■ **ألا تعتقد أنهم قاموا بواجب البيان كما يجب؟**

- المشكلة في ماذا؟ في أن مسألة التخطئة و(التغليط) داخلة في عبارات منمَّقة، يصعب على الشباب فهمها، في حين أنك لما حرّضتني، قمت بتحريضي بآيات وأحاديث بسيطة جداً، لكن الآن تدخلني في مسائل فلسفية، وفتاوى ومسائل فقهية واجتهادات، هذا لا يصح، أعدني للأساس الذي حرضتني عليه، وإلى المنطلقات التي تحركت عليها، أعدني إليها، وتحاور معي على أساسها، ولا تتحاور معي بالسوط والكرباج، أنا إنسان مضروب، هناك بعض الشباب عُذبوا، وبعضهم تعرض لضغوط، فتأتيني أنت بعد هذا العذاب والضغوط وتقول لي تراجع؟ هذا انتهى أوانه، المسألة تحولت إلى مسألة انتقام عند كثير من الشباب الذين تعرضوا لذلك.

■ **أليس من المفروض على هؤلاء العلماء أن يقنعوا الشباب؟ هل يتركونهم على ما هم عليه؟**

- لا، لا بالعكس، هؤلاء الشباب مهما كان موقفهم، أنا أحترم الدعاة والعلماء، وأيضاً الشباب يحترمون دعاتهم وعلماءهم، ليس فينا أحد -مثلاً- سيكفر سلمان العودة، أو يكفر سفر الحوالي، أو عائض القرني، نحن نحترمهم ولهم مكانة عندنا، حتى مشايخنا في اليمن، لكن لا بد من أن يضعوا برامج للجلوس مع هؤلاء الشباب، ولا بأس، فالاعتراف بالحق فضيلة، أو من قال إني مخطئ فلا

تقص عليه رقبة، فاعترف بخطئك في أنك في فترة من الفترات قلت يا شباب كذا وكذا، وتعالوا نرجع مرة أخرى ونعمل كذا وكذا، ليس فيها شيء، أنا مثلاً يأتيني بعض الشباب يسألني: تراجعت؟، أقول له: نعم تراجعت، لكن أنا عندي مسألة أكبر، أنا الآن أضع نفسي في ذاتي، لا بد أن أوسع الشارع العام، لا بد أن يكون عندي عملية توعية للمجتمع بالكامل، من نحن؟ لماذا حملنا السلاح في يوم من الأيام؟ لأن هناك كثيراً من الناس يقولون: «أنتم القاعدة نحن نحبكم، ولكن لما شاهدنا الأبراج والأبرياء والمدنيين...»!

وأنا أقول: في العراق هناك مدنيون، وفي فلسطين والشيشان، وغيرها... عندما يغتصبون البنات، مثل (صابرين الجنابي) التي اغتصبها مجموعة من الضباط، وهؤلاء الضباط يتم تكريمهم في النهاية[1]، أنا أتساءل: أين أنت أيها العالم؟ افتنا، حرك الشباب كما حركتهم في البداية، لماذا الآن تتراجعون في مثل هذه المواضيع، وتدخل فيها حسابات أخرى؟ في البداية كان الضرر يقع على الفلسطينيين، وكان رد الفعل فلسطيني، أما الآن فالضرر على الجميع، ورد الفعل أصبح على الجميع، البندقية تضرب الجميع، أميركا تضرب الجميع، فهذه الآن أصبح لها حسابات أخرى!

لماذا تراجعت؟

■ أنت تشير إلى أنك تراجعت، وأنك ليست عندك مشكلة في التراجع، وتتحدث عن تفاصيل تراجعك، لكنك تطالب المشايخ أيضاً بأن يتحدثوا عن تراجعهم، أليس كذلك؟

(1) فيما بعد تبين أن هذه المعلومة غير صحيحة.

- نعم، أن يوضحوا لماذا تراجعوا... أنا قلت إن العلماء تراجعوا، فلا بأس أنهم تراجعوا، وأنا تراجعت.

■ **أنت عن ماذا تراجعت؟**

- عن عملية فهمي للمسألة، قد أكون فهمت المسألة من جانب، وهذا الفهم خطأ.

■ **هذا يحتاج إلى توضيح!**

- كان عندنا -مثلاً- فهم أنه لا حل ولا لغة إلا لغة البندقية، لا نتفاهم إلا بالرشاش، بلغة المتفجرات؛ لكن الآن بعد تجربة السجن والحوار الذي دار مع الكثير من الشباب فيما بيننا، ووضعي الاجتماعي ووضعي الأسري الآن، يجعلني بدلاً من أن أحمل بندقية، يمكنني أن أحمل القلم، وبدلاً من أن أحمل القلم، يمكنني أن أتحدث مع الناس. أنا مثلاً الآن أتحدث من على منبر محترم، والناس كلها تتابع هذه القناة (العربية)فأستغل هذه الجزئية جداً، وأخبر الناس، وأفهم الناس من أنا، وأقوم بتوعية الشارع العام، لماذا لا يكون هذا دوري؟ لماذا لا أقف بجانب سلمان العودة والشيخ الزنداني والشيخ الريمي، لماذا لا نضع أيدينا في أيديهم، نحن أهل التجربة؟

■ **هل تعتقد أنك وصلت إلى مراحل هؤلاء الذين ذكرتهم؟**

- لا، ولكن أنا جندي -كما قلت-في كل مكان؛ لكنني عندما أقول إني مستعد أن أضع يدي بأيديهم فهذا ليس معناه أني بمكانتهم، هم لهم مكانتهم العليا، ونحن نحترمهم ونضعهم على رؤوسنا، لكن أيضاً يمكنني أن أقف معهم، قد يقول لي الشيخ عبد المجيد: تعال يا بني واشرح قضيتك لإخوانك، فأنا عندي قدرة أن أضع قضيتي بين أيديهم.

■ **ماذا فعلت على الأرض؟ مع مَن مِن العلماء تتواصل الآن؟**

- لم أتواصل إلى الآن.

■ **هل تعتبر نفسك مقصراً؟**

- جداً.

■ **لماذا؟ هل شغلتك الدنيا؟**

- الدنيا نعم شغلتني، مسألة الأسرة، والأطفال، وحالتي المادية، وهذه لها ظروفها، أنا إنسان أسعى، أعمل سائق سيارة أجرة (تاكسي)، ماذا تتوقع من سائق التاكسي؟ من الصباح إلى المساء أشقى حتى أجمع مصاريف الأولاد للمدرسة، أو لقمة العيش، أو إيجار البيت، فهذه ظروف حاصلة، لكن أمور الدعوة وتوجيه الناس، هذه تحتاج إلى تفرغ، لا يتفرغ لها ناصر البحري (أبو جندل) ولا أمثال ناصر البحري، هذه حقيقة أنا أسلم بها. لكن أقول لك نعم، ينبغي علي أنا وعلى كثير من الشباب أن نضع أيدينا بأيدي علمائنا الموجودين في الساحة، لأنهم أدرى بالوضع هنا، ونتواجه معهم، لكن أن تأتيني وتقول لي: أفعالك حاصل خطأ؟ سأرد عليك: كيف حاصل خطأ؟ هذا إنسان يهتك الأعراض، ويقتل ويدمر وينسف، أسقط نظاماً بكامله رغم خلافنا مع هذا النظام، ثم تقول لي خطأ؟ لا ليس خطأ، هناك حسابات أخرى، مثلاً أنا في بغداد سأتكلم بلغة، في بيت المقدس سأتكلم بلغة، في صنعاء بلغة، في الرياض بلغة، فلا تجبرني أنه لابد أن تكون لغة موحدة؛ لا هذا خطأ، أنزلوا الناس مقامهم، خاطبوا الناس على قدر عقولهم.

■ **من الذي يجبرك على أن تتحدث بلغة واحدة؟**

- ليس معنى ما أقوله أن هناك أحداً يجبرني.

■ **لكنك تطرح ذلك بحماس، فلا بد أن هناك من يفعل ذلك؟**
- هناك أناس الآن يخطِّئون الشباب، يقولون إن ما يحدث في العراق هو بسبب اندفاع الشباب وهذا خطأ، وأنا أقول وما الخطأ في ذلك؟ هل لأن هذا الشاب لما ذهب ليدافع عن بلد -مثلاً- أو لينصر إخوانه المسلمين في العراق، هل في هذا خطأ؟ أم أن المسألة هي في كيفية العمل بدون ترتيب خطأ، لا بد من توضيح صيغة الخطأ، أما أن تقول لي: خطأ وإن هؤلاء متهورون ومتعجلون؟ لابد أن توضح ما هو هذا الخطأ، وأن تبيّن لهذا الشاب، تأتي به وتتفاهم معه، لكن أن تأتي وتريد أن تنسف أساسات فكره، فهو لن يتقبل منك هذا.

■ **هل تعتقد أن الموجودين في الساحة لا يقومون بالدور كما يجب؟**
- لا يقومون بالدور كما يجب، بالعكس أنا أتوقع أن هذه العناصر لا أحد يهتم بها، والأضواء غير مسلطة عليها من قبل الدعاة والعلماء، العلماء يسيطرون على من حولهم، التابعين والمريدين لهم، لكن الآخر هذا مواطن يعتبرونه من عامة الشعب، ولكن هذا الشخص هو الذي سينفذ العملية، فيجب أن تتعامل معه بطريقة أخرى، بلغة أخرى، تتحاور معه، تفهمه.

■ **تقول هذه التفاصيل وأنك تعتقد أنك منشغل بأمور الدنيا عن متابعة التفاصيل، كيف تستطيع أن تعرِّف هذا؟**
- أؤكد لك أنني لو تفرغت، ستكون صيغة الكلام في المستقبل مختلفة، وطريقة التعامل أيضاً.

■ **ما هي الصيغة التي يمكن أن تتحدث بها؟**
- عندما تتحدث عن نظرية، أو عن مجتمع لا تعرفه، قد لا تكون هناك مشكلة، وقد تؤلف فيه كتابًا حتى؛ لكن عندما تتكلم من واقع تجربة، فهذا أمر مختلف؛

أنا واحد من الذين عايشوا ومارسوا هذه التجربة، فأشعر بباقي الإخوان، أشعر بظروفهم وبمآسيهم وآلامهم.

أين القاعدة الآن؟

■ **ألا تعتقد أن عقلية التنظيم تغيرت منذ تركك له في 2000 إلى الآن (2007)؟**

- لا بد أن كل واحد تتغير عقليته، شيء طبيعي جداً، لأن الأحداث تغير طبيعة أفكار الإنسان.

■ **هل تعتقد أن تنظيم القاعدة ما زال فاعلاً؟**

- في أفغانستان. ما أعرفه أنه في أفغانستان، أما ما يحدث في الخارج، في العراق أو الصومال أو المغرب العربي الآن، فهو أن الجماعات الإسلامية، وبالذات حملة السلاح فيهم -المجاهدين- بدأ عندهم مشروع توحيد الجهود، فالآن تسمع عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، فما هي قصة هذا التنظيم؟ هم جماعات قديمة، بل قد يكون بعضها أقدم من تنظيم القاعدة، وبعضها يخوض عملاً مسلحاً قبل أن يعلن عنه تنظيم القاعدة، لكن الآن هناك مسألة تدور في رؤوسهم، هي أنهم يريدون أن يوحدوا الجهود.

■ **بمعنى أن الفكر استمر، وليس بالضرورة بالتنظيم.**

- انتشروا، صارت هناك نقاط التقاء ما بين الجميع، أنا مثلاً في الجزائر، فبدلاً من أن يكون الموضوع الجزائر للجزائريين ومصر للمصريين، لا، فالمسألة أكبر، لأنه صار عندهم بُعد أوسع، ساحة المعركة على العدو.

■ **هل تعتقد أن التنظيم فاعل في العراق؟**

- نعم التنظيم فاعل في العراق. ليس غريباً أن أقول ذلك، لأنه قد تكون هناك عناصر موجودة في هذه المناطق، لكن تنظيم القاعدة أساسه موجود في أفغانستان، وكل ما حدث الآن أن الشيخ أسامة أعطى الناس الطريقة والأسلوب والآلية في التعامل...

■ **صار كل واحد يعمل مستقلاً بنفسه؟**

- أصبح هناك عمليًا قيادات ميدانية هي أدرى، كما يقال «مركزية في القرار لا مركزية في التنفيذ»، فكل واحد ينفذ على ضوء الأجندة التي عنده، والحاصلة في أرضه.

■ **هل تعتقد أن التنظيم ما زال فاعلاً؟**

- أكيد، لأن تنظيم القاعدة ليس تنظيماً مغلقاً على إقليم واحد، أو على أبناء بلد واحد...

القاعدة وطالبان

■ **فاعلية التنظيم في أفغانستان هل لها علاقة، أو مرتبطة بما تبقى من طالبان حتى الآن؟**

- ليس بما تبقى، بل بطالبان.

■ **لكن هناك أناس رحلوا من طالبان.**

- أنا أقول لك حتى الذين رحلوا، ميزة طالبان أنها كانت مجهزة لأربعة أو

خمسة بعدها، فالمعركة يخوضها الآن الجيل الثاني، الملا داد الله هو القائد العسكري الآن، كان (كومندان) عادي أيام كنا موجودين في أفغانستان، فكنا نذهب للسلام عليه.

■ ما هو الـ (كومندان)؟

- قيادي بسيط، الآن أصبح هو المسؤول عن العمليات العسكرية بالكامل داخل أفغانستان، فهناك قيادات مهيأة.

■ وما زالت طالبان تقاد من خلال الملا عمر؟

- أكيد هي تحت قيادة الملا عمر، بل أؤكد لك أن تنظيم القاعدة نفسه تحت قيادة طالبان، بموجب بيعة الشيخ أسامة للملا محمد عمر بالسمع والطاعة.

■ وهذه أيضاً ليست معلومات، بل تحليل كما تقول، أليس كذلك؟

- لا هذه حقيقة، لقد كنا في أفغانستان، ونحن عشناها، والشيخ أسامة بايع الملا عمر ونحن في أفغانستان.

■ أنت تقول إن الأمور تتغير، فمنذ عام 2000 إلى 2007 ألا تعتقد أن الأمور قد تكون تغيرت؟

- تعني أنهم انفصلوا وتركوا حركة طالبان؟ لا لا؛ بالعكس، عقلية الشيخ أسامة ومن حوله من الشباب ليست عقلية أناس تتضارب مصالحهم، لا، بل من الممكن أن يلغي الشيخ أسامة مصالح كثيرة من أجل المبادئ التي اتفق عليها، فهناك فرق بين إنسان يتعامل بمصالح، وإنسان يتعامل بمبادئ، وهذه تختلف من واحد إلى آخر.

■ **هل تعتقد أن التنظيمات التي تعمل، سواء في الصومال أم في المغرب أم في مناطق أخرى، هي ملتزمة بالأفكار ذاتها التي توجه إليها من قيادات القاعدة؟**

- ليس شرطاً، فالوضع في الصومال –مثلاً- ليس شرطاً أن يلتزم من هناك بأفكار القاعدة وتوجهات القاعدة، لأنهم لهم أجندتهم ولهم طرقهم ولهم وضعهم في الصومال، كل منطقة لها خصوصياتها، أنا مسلّم بهذا الأمر، لكن توجد مسائل بسيطة جداً؛ فأنا قد أعطيك الآلية وأنت لك حرية التعامل معها، تختارها بالطريقة التي تعجبك.

لم تهبط من السماء

■ **أنت تحدثت في الحلقة الأولى عن علاقتك بالتنظيم في الصومال، قلت إنه كان يعاني من مشاكل، الآن هناك أشبه ما يكون بإعادة التنظيم في الصومال، هل تعتقد أن المشكلات التي تحفظت عليها في التسعينات لا زالت موجودة؟**

- لا، قد تكون تغيرّت كثيراً جداً على الوضع الحاصل، أعتقد أنها تغيرت كثيرًا جداً.

■ **هل صارت أفضل؟**

- توجهت للأفضل.

■ **الآن؟**

- نعم. تغيّرت لأسباب كثيرة جداً، التقدم في السن، وطول الاحتكاك بالتجربة يغيّر في الإنسان الكثير من قناعاته، فالصوماليون خاضوا تجربة في

عام 1993 وفي 1996 مع الأثيوبيين لما غزوا الصومال وسيطروا على بعض الولايات، الحركة الإسلامية حالياً أو ما يسمى الآن بكتائب التوحيد والجهاد في القرن الإفريقي، هي امتداد لهم وعمق، هم حركة إسلامية من الستينات والسبعينات في الصومال، والحقيقة في كثير من قنواتكم ومراكز الإعلام، الوسائل الإعلامية، تختزل مسألة المحاكم الإسلامية وكأنها ظاهرة أتت من السماء، لا؛ هم امتداد للاتحاد الإسلامي لحركة الإخوان المسلمين، الذين كانوا في الصومال، وتربوا على يد المصريين والإخوان؛ فالمسألة لها عمق تاريخي، لها تسلسل، لكن الناس الآن أصبحت تحصر المسألة في تنظيم القاعدة، تنظيم القاعدة لم ينزل من السماء، تنظيم القاعدة هو امتداد، الشيخ أسامة تربى على يد الإخوان المسلمين السعوديين والسوريين وغيرهم، واحتك بالمجاهدين والجماعات الجهادية والجماعات الإسلامية؛ وكان أيمن الظواهري جزءاً -في يوم من الأيام- من جماعات معينة فتأثر بأفكارها؛ فالمسألة لا بد أن نقرأها ببعدها التاريخي.

■ **تعني أنها ليست مجرد ظاهرة تظهر فجأة!**

- عندما تقول (ظاهرة) فكأنها سحابة صيف وتمر، لكن عندما ترصد الأحداث تجدها تتوالى، والموضوع يتسع، ابن لادن بعد ضربة سبتمبر، ضرب إسبانيا، وضرب بريطانيا وأعاد الكرّة داخل أندونيسيا، وأعادها داخل باكستان، وفي أفغانستان، وفي العراق ما يزالون يقاتلون، وأعاد الكرّة في كينيا، فالمعركة توسعت.

■ **وما حدث في السعودية، ألا تعتقد أنه امتداد لما حدث في اليمن؟**

- كله امتداد، وتبعاته وإفرازاته كلها تفاعلات لأحداث معينة، هناك ردود فعل معينة في المسألة.

■ **هل تعتقد أنها كلها بتوجيهات من أسامة بن لادن؟**
- لا ليس شرطاً أن تكون بتوجيهات أسامة بن لادن، هو يعطيك القرار العام، أن تقودوا المعركة، فأنت على ضوء تفاعلك كقيادة ميدانية تتفاعل مع الأحداث الحاصلة حولك، وتتخذ قراراتها الجزئية.

هل الحوار ينهي العنف؟

■ **أشرت ـ أثناء حواري معك ـ إلى أهمية الحوار الذي جرى في السجون اليمنية من قبل القاضي حمود الهتار، هناك من يرفض الحوار مع من رفع السلاح، ويستشهد بأن بعض من قام بعمليات مسلحة سواء في المغرب أو غيرها كانوا من الذين تأثروا بالحوار، ما تعليق أبو جندل على ذلك؟**
- لست على اطلاع بمسألة الذين نفذوا عمليات في المغرب ودول المغرب العربي أنهم عناصر يمنية، أو هم تأثروا بالحوار.

■ **أنا أتكلم عن الحوارات إجمالاً، ليس بالضرورة الحوار في اليمن.**
- مسألة الحوار تختلف، أنت لما تتحاور معي أنا مثلاً في اليمن، مسألة الحوار ليست أن آتي بمسّاحة وأمحو الذي في رأسي من أفكار، لا، هذا كلام غير صحيح، لأنه لا القاضي حمود الهتار، ولا حتى الرئيس علي عبد الله صالح يفهمان بأن مسألة الجهاد جزء من الدين، ولكن أنا والآخرين نعتقد بأن الجهاد مثله مثل الصلاة، له أركانه وواجباته ومكانه وزمانه، ليس مسألة اعتباطية، ليس لأنك أغضبتني فأحمل البندقية وأقول: الجهاد، وأطلق عليك الرصاص، المسألة ليست اعتباطية.

■ طبعاً هذا ما تعتقده أنت، ولكن عند الآخرين قد تحدث هكذا كما شرحت أنت.

- أنا أتكلم عن الأغلبية؛ لكن هناك أشخاص ينظرون إلى هذه الأمور نظرة أخرى، فمسألة الحوار ليست لمجرد الحوار، بل يجب أن يكون مقتنعاً.

■ من الممكن أن يقول إنه مقتنع وهو غير ذلك.

- من الممكن أن يتخذها عذراً حتى يخرج وهذه حدثت، وتحدث كثيراً، ونحن مثلاً هل أزلنا فكرة الجهاد من رؤوسنا؟ لا، لكن هناك مسائل تفتحت تجاهها مداركنا أكثر؛ القاضي حمود لما تكلم معنا كان كلامه واسعًا وكبيرًا.

■ وما هي الأشياء التي فتحت مداركم لها؟

- مسألة أنه -يا شباب- المسألة ليست مسألة مصالح مرسلة، الآن مثلاً غضبت أو قررت شيئًا فنضرب السفارة الأميركية في صنعاء مثلاً، أو نفجر مبنى السفارة بالكامل، فتبعاتها على المجتمع والبيئة كبيرة، هذه وجهة نظر؛ وهناك شيء آخر، هو أن الشيخ أسامة نفسه كان دائماً يقول: «نحن نريد أن نسحب العدو إلى ساحة قتال»، الشيخ أسامة ليس عاجزاً أن يفجر الوضع في العالم العربي بالكامل، لأن له علاقة بجميع التنظيمات، من موريتانيا إلى أندونيسيا، يستطيعون كلهم أن يعملوا، وكلهم متشوقون أن يعملوا داخل بلادهم.

■ ألا تعتقد أن التنظيم ضعف ووجهت له الضربات؟

- أنا في ساحة المعركة، أنا في قتال، توجه لي ضربات، أضعف أحياناً وأتقوى أحياناً، ولكن في بعض الأحيان أنطلق.

جرّ العدو إلى ساحات القتال

■ **ولكن هل يستطيع أن يفتح جبهات جديدة؟**

- يفتح جبهات في كل مكان، لكن الشيخ أسامة كان يقول «يا عيالي، ما نستطيع أن نواصل عمليات نوعية مكلفة بهذه الطريقة، لأنه كلما ضربنا هدفًا مكشوفًا سيغلق الآخر، لكن لا بد أن نوجّه لهم الضربات حتى نسحبهم إلى ساحة قتال». ونجح فيها، والآن الثور يصرخ داخل أفغانستان.

■ **لكن ألا تعتقد أنه فُتحت ساحات كثيرة داخل العالم العربي؟**

- هذا من غباء الثور نفسه، الثور لما وضع الرأس داخل أفغانستان.

■ **من هو الثور؟**

- الثور الأميركي، الكاوبوي الأميركي الغبي، هذا أصبح يرفس في كل مكان، الآن ضرب في بغداد وضرب في الصومال وسيضرب في كل مكان، ليس عنده حساب...

■ **الأعمال التي نفذت سواء في السعودية، أو في اليمن، أو في قطر، أصبح هناك أكثر من عمل، ومحاولات لأعمال في مناطق ثانية كالكويت مثلاً؛ أليست هذه أيضاً فتحاً لجبهات داخل العالم العربي؟**

- الآن بعد ضربة سبتمبر وسقوط حكومة طالبان، أصبح هناك نوع من العزل ما بين تنظيم القاعدة وبين الخارج، أنا أذكر في أكثر مرة كان بعض الشباب يأتون للشيخ أسامة يريدون أن ينفذوا عمليات استشهادية داخل السعودية، كان الشيخ أسامة يقول لهم: «لا، خطأ، ليس وقته»، فكان دائماً يردد عليهم هذه العبارات،

فتجد بعض الشباب مثلاً متحمسًا لفكرة معينة، فلا أتخذ أنا -كناصر البحري- تصرف الأخ مثلاً الذي ذهب يفجر نفسه في قطر في دار سينما، هذا نوع من «الهبل»، ما دخل دار السينما، في حين أن لديك قاعدة بكاملها (طول وعرض) داخل قطر، أو أن تذهب مثلاً تقتل فردين من الأمن داخل السعودية، وهناك قوات (طول وعرض)، ففي هذا نوع من الخروج عن استراتيجية التنظيم وعن توجه الشيخ أسامة، ولكن، من وجهة نظري، فإن بن لادن نجح، وما أراده وصل إليه، فقد ثبت الأميركان داخل أفغانستان، وكان يقول بلفظة واحدة «نحن نسعى إلى أرض تتحمل معركة»، لا يقول أرضًا تتحمل معركة مع الأميركان، فأفضل أرض كانت أفغانستان، الشعب مهيأ، والبيئة مهيأة، وطالبان أنفسهم كانوا يعلمون أنهم إذا لم يضربوا فسوف يُضربون، أميركا لن تتركهم في حالهم.

■ **باختصار ماذا تغير في أبي جندل بين عام 2000 عندما ترك بن لادن، أو 96، والآن في 2007؟**

- تغير الكثير، تغيرت نظرة ناصر البحري لنفسه، ونظرة ناصر للآخرين، مثلاً ناصر البحري فاته ما فاته، كان يرفض الحوار مع أي طرف آخر، أي أنا وأنا فقط، كانت عنده لغة الأنا، ولكن الآن يمكن أن أجلس مع أي طرف آخر نتكلم، نوضح قضيتنا، أصبح المجال أوسع بحكم التقدم في السن؛ كنت في العشرينات في تلك الأيام، الآن دخلت في الثلاثينات، فالآن طريقة حواري سوف تتغير كثيراً جداً.

■ **هل علينا أن ننتظر كل واحد حتى يصل إلى الثلاثينات ليتغير؟**

- ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ (النمل: 19)، قالها موسى بعدما جاوز الأربعين سنة، فمعروف أن الإنسان إذا وصل سن الأربعين، يكون أنضج من ابن العشرين وابن الـ 15.

جدل المرأة

«حان الوقت لتغيير الدستور اليمني الذكوري»

أمل الباشا

أمل الباشا

ناشطة حقوقية يمنية

رئيسة منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان

الجمعة 20-4-2007

يثير الحديث مع أمل الباشا عادة كثيراً من القضايا الخلافية، ويخلف بعده ردود فعل تظل تلقي بظلالها على الساحة السياسية والصحافية لفترة غير قصيرة، وهذا ما حدث بعد لقائنا معها في إضاءات، إذ لم ينقض يومان على إجراء اللقاء، حتى خرجت كتابات صحافية يمنية للتعليق، بل الاتهام للباشا بأنها «مستغربة»، «تستقي ثقافتها وأخلاقها من الغرب، وتحاول فرض رؤيتها التغريبية تلك على البلاد الإسلامية التي تعيش فيها» على حد قول الصحافي محمد طاهر أنعم، في صحيفة أخبار اليوم بتاريخ 2007/4/22.

وأمل الباشا ناشطة في مجال حقوق الإنسان، ومنسقة المحكمة الجنائية الدولية بالشرق الأوسط، وبسبب من هذه الأنشطة، فإنها –كما تقول- عرضة للاستهداف من بعض وسائل الإعلام في بلادها. فهي متهمة بتصريحات خارجة عن السياق الثقافي والاجتماعي والموروث من العادات، في مواقفها من لباس المرأة العربية، ومن وضعية تلك المرأة بشكل عام في التوظيف والتعليم والتمثيل السياسي.

ترأس أمل الباشا منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان باليمن، هي من مواليد 1962، وحاصلة على درجة الماجستير في تنمية التنوع الاجتماعي من جامعة سوسيكس بانجلترا، وتشغل أيضاً عدداً من المواقع منها: المنسقة الوطنية للبرنامج الاقليمي للإصلاح الديموقراطي: الراصد النسوي الديموقراطي، ومستشارة

إقليمية للتحالف الدولي للمحكمة الجنائية الدولية في الشرق الأوسط، فضلاً عن إعدادها عدداً من التقارير حول حقوق النساء في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

حول كل هذه المجالات كان حوارنا مع أمل الباشا، والتي دافعت بشدة عن ضرورة توقيع بلادها على اتفاقية المحكمة الجنائية الدولية، وحكت قصة إقرار البرلمان أولاً لهذه الاتفاقية في قراءة أولى، ثم رفضها بعد أسبوعين من الموافقة، فما أسباب الرفض، ومن هي القوى التي حشدت البرلمان ليرفض توقيع اليمن على هذه الاتفاقية الهامة من وجهة نظر الباشا؟

أما قضايا المرأة، فحازت نصيبًا مهمًا من هذا اللقاء، وبدأنا بالحجاب، الذي أثارت تصريحات لها حوله عاصفة من الردود الحادة من بعض الصحف اليمنية، وكادت إحدى هذه الردود أن تصل إلى المحاكم، لولا أنه تمّ تسويتها في إطار «حرية التعبير»، و«الاعتذار» عن التجاوزات. وترى الباشا أن المرأة في بلادها عرضة للعنف اليومي، حتى اللواتي يرتدين الحجاب ويكشفن عن وجوههن يتعرضن للعنف في الشارع لمجرد الكشف عن الوجه.

ليس هذا فحسب، بل إن أمل الباشا ترى أن الوقت قد حان لتغيير الدستور اليمني «الذكوري»، ليضمن للمرأة حقوقها على كافة الأصعدة، وتؤكد أن المرأة يجب أن تنتزع حقوقها عن طريق تخصيص مقاعد لها في البرلمان، و«حجز» مواقع لها في الوزارات، ولما سألناها: لماذا لا يُترك ذلك للمجتمع ليختار مرشحه، وللمرأة الكفؤة كي تتبوأ منصبها، وهذا ديدن الديموقراطية؟ كان لضيفتنا أمل الباشا ردّ، بل ورأي في الديموقراطية الغربية، خصوصاً إذا أردنا أن نطبقها في مجتمعاتنا.

لا شك أن الحوار التالي يسهم في تفصيل رسم المشهد اليمني، فهذه امرأة تقاتل من أجل حقوق بني جنسها، وتقاتل من أجل توقيع بلادها على اتفاقية المحكمة الجنائية الدولية، والتي لم يوقع عليها بلد عربي واحد، وأخيرا تقاتل من أجل الدفاع عن مواقفها.

محكمة العدل بين الرفض والقبول

تركي الدخيل: قبل فترة خضتِ أشبه ما يكون بمعركة، لجهة إقرار البرلمان اليمني في شهر مارس/آذار من العام 2007 للاتفاقية الجنائية الدولية ومحكمة العدل الدولية، كنتِ فرحة مسرورة عندما أقرَّ البرلمان الاتفاقية، ثم نقدتِ الاتفاقية في بدايات شهر أبريل/ نيسان، كيف حدث ذلك، وأنت متابعة لهذا الشأن، والمنسقة لمحكمة الجنايات الدولية؟

أمل الباشا: في الحقيقة موضوع المحكمة بدأنا بالعمل عليه منذ أكثر من ثلاث سنوات، ليس فقط على مستوى اليمن وإنما على مستوى المنطقة العربية.

■ من أنتم؟

- نحن في منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان، وأنا بصفتي المنسقة للتحالف الدولي للمحكمة الجنائية الدولية، نقوم بدور توعوي ضاغط تشجيعي للدول من أجل الدخول في المصادقة على المحكمة الجنائية الدولية، وقمنا بالعديد من الأنشطة في اليمن، وفي البحرين، وفي لبنان، وفي تونس، وفي المغرب، وكثير من الدول العربية.

■ أي أن وظيفتك كمنسقة لا تختص باليمن فقط؟

- نعم، أنا وظيفتي، أو منصبي، يترتب عليه العمل على مستوى المنطقة العربية، ونعمل مع الحكومات، مع وزارات الخارجية، مع البرلمانات العربية، مع الإعلام ومنظمات المجتمع المدني، وغيرها، بهدف التعريف بالمحكمة الجنائية الدولية، ودعوة الدول العربية للمصادقة على هذه الاتفاقية، اتفاقية روما، أو نظام روما كما تسمى، وهي المنشِئة للمحكمة الجنائية الدولية، وعملنا على مستوى اليمن العديد من الأنشطة، فهناك تحالف يمني لأكثر من 120 منظمة وشخصية، هناك كتّاب ومثقفون ومحامون عملوا معنا طوال السنتين الماضيتين بكل جد، والتقينا في حوارات متعددة مع البرلمانيين، مع وزارة الخارجية، مع رئاسة الجمهورية، مع كل الأطراف المعنية، بهدف إقناعها أن تنضم للمحكمة.

■ البرلمان اليمني صادق على هذه الاتفاقية في 2007/3/24، ثم عاد في 2007/4/7 ونقض هذه المصادقة، كيف تبررين ذلك؟

- جاءت مصادقة البرلمان نتيجة أن اللجنة الدستورية التابعة لمجلس النواب قدمت تقريراً أشادت فيه كثيراً بالمحكمة الجنائية الدولية وبنظام روما، وقالت إن نظام روما يعتبر من أنبل الاتفاقيات التي تحمي حقوق الإنسان، وخصوصاً فيما يتعلق بأشد الجرائم جسامة وخطورة، وهي جرائم الإبادة، جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية؛ ولكن التقرير أشار إلى أن هناك بعض المعضلات القانونية، وكنا ناقشنا هذا التقرير في حلقة خاصة مع 25 نائباً، وأكدوا بأنه لا يوجد تعارض مع نظام روما أو الدستور اليمني، حتى تقرير اللجنة الدستورية الذي قُدم لم يشر أبداً إلا إلى تعارض في بعض النصوص الدستورية، وهي أيضاً -حتى هذه النقطة- لم تكن دقيقة أو موضوعية.

■ أي التعارض بين الدستور اليمني وبين نقاط اتفاقية روما؟

- حتى تقرير اللجنة الدستورية -وهي مشكّلة من 17 نائباً من حزب الإصلاح وهم إخوة كرام ورائعون، وأيضاً من المؤتمر الشعبي العام- لم يشر إلى تعارضها مع الشريعة الإسلامية.

■ هل فقط أعضاء الإصلاح هم الرائعون، والمؤتمر الشعبي ليسوا رائعين ولا (جميلين)؟

- لا، الآن تحولت المعركة إلى أن الإصلاحيين أو الإسلاميين هم الذين تحفظوا، وهذا غير صحيح، هناك كثير من الإصلاحيين الذين اطلعوا جيداً على المحكمة، وشاركونا في الحملة.

■ من الذين تحفظوا إذًا في 2007/4/7 على ما أُقر في 2007/3/24؟

- يمكن القول إن الذين تحفظوا على نظام روما ثلاثة مجاميع: هناك مجموعة لم تطّلع على نظام روما، وإنما تم تسييرها مع بقية الذين هم ضد، وأكاد أجزم أن عدداً منهم لم يطلع على الاتفاقية. المجموعة الثانية هي التي تخشى أن تتم جرجرة المتهمين بارتكاب جرائم إبادة، أو جرائم حرب، أو جرائم ضد الإنسانية، إلى المحكمة الجنائية الدولية، وهذا أيضاً غير صحيح، لأن في عقول هؤلاء أن هناك مجرمي إبادة، هل حصلت إبادة في اليمن؟ أو هل هناك نية لإحداث أو ارتكاب جرائم إبادة في اليمن؟

■ أنت تريدين القول إن الواقع اليمني لا يستدعي هذا التحفظ؟

- نعم، لا يستدعي هذا الخوف الشديد، المحكمة تتناول الجرائم الجسيمة، كتلك التي فجع بها العالم عند نهاية القرن الماضي في رواندا، والتي سميت بجريمة العصر، عندما كان يتم إبادة في حدود ثمانية آلاف شخص في اليوم

الواحد، الجرائم التي تمت في كوسوفو، وغيرها.

■ **هل هذه محاولة من أمل باشا رئيسة منتدى الشقائق ومنسقة المحكمة الجنائية الدولية لتطمين بعض القوى التي اعترضت على الاتفاقية، أنه لا شيء يخيفكم؟**

- هو يعني تطمين، إلا إذا كانت هناك نوايا لارتكاب مثل هذه الجرائم، حتى أن نظام روما أو المحكمة لا تتدخل إذا قام القضاء الوطني بدوره، أي إذا كانت الدولة مصادِقة، وقام القضاء الوطني بملاحقة المتهمين وتقديمهم للعدالة بحسب القانونِ الوطني، الذي يقوم على الشريعة، ويقوم في كثير من الأحيان على الأعراف القبلية أو العربية، فلا تتدخل المحكمة على الإطلاق، المحكمة الجنائية هي قضاء احتياطي لإنصاف الضحايا الذين لم يحصلوا على العدالة من قبل دولهم.

الإرهاب والمحكمة الدولية

■ **بالعودة إلى المجموعات الثلاث التي أشرت إليها بأنها اعترضت على هذا القانون داخل البرلمان اليمني، هناك مجموعة مشت مع الركب ومجموعة متخوفة أن يتم محاسبة هؤلاء بالرغم من أنه حتى الآن لا توجد أي تقارير تشير أن هناك جرائم ضد الإنسانية تقوم بشكل ممنهج وممأسس في اليمن، فما هي المجموعة الثالثة؟**

- المجموعة الثالثة هي التي تخوفت من أن تتم محاسبة بعض المتهمين بالإرهاب في اليمن، وتقديمهم إلى المحكمة الجنائية الدولية، وهذا أيضاً غير صحيح، لأن المحكمة الجنائية الدولية لا ينعقد اختصاصها على جرائم الإرهاب، وهذا ما

حدث الآن فيما يتعلق بجريمة اغتيال الحريري، حيث نصبت الأمم المتحدة محكمة خاصة مستقلة ليس لها علاقة بالمحكمة القائمة، وإلا لكانت أحالت موضوع لبنان إلى المحكمة الجنائية الدولية؛ ولكن لأن جرائم الإرهاب لا تدخل أيضاً في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، فإن المحكمة هنا لا دور لها.

■ ليس لها علاقة بكل هؤلاء المجاميع الثلاثة التي اعترضت!

- لكن هناك تخوف بأنه طالما أن اليمن دخل في قائمة الإرهاب منذ 11 سبتمبر (أيلول)، وبأن هناك بعض الأسماء مطروحة، وهذا الموضوع قد تم تجاوزه، إلا أن الخوف من أن يتم تسييس المحكمة، وأنت تعرف نظرية المؤامرة التي لدينا.

■ ألا تعتقدين بمشروعية أن التخوف من تسييس المحاكمات وفقاً لاتفاقية روما؟

- أنا أقول بأن عدم انضمام الدول العربية إلى اتفاقية روما هذا الذي ربما يعزز لدينا الموقف بأن المحكمة قد تسيس، لماذا؟ لأن المحكمة الجنائية الدولية جهاز مستقل عن الأمم المتحدة، لا يتبع الأمم المتحدة، وإنما يرتبط معها مثله مثل الاتحاد الأوروبي والإنتربول الدولي باتفاقية تعاون لا غير.

إن غياب الدول العربية والدول الإسلامية عن المصادقة والحضور في المحكمة كأعضاء، يحق لهم انتخاب وتعيين القضاة والمحققين والمدعين وموظفي المحكمة، هذا يترك المحكمة للآخرين، للدول الأخرى، هي التي تحدد سياساتها وتختار قضاتها، فلو أن 25 دولة إسلامية و 22 دولة عربية أصبحوا أعضاء فاعلين في هذه المحكمة، سيكون لدينا قضاة عرب ومسلمون، وسنشارك في تعديل نظام روما، وسنشارك أيضاً في صياغة اللوائح الداخلية للمحكمة، وسيكون لنا الحق أيضاً في تعيين موظفين، الآن هناك أكثر من 800 موظف من أوروبا وأفريقيا، فقط من الدول التي تصادق، إذاً عدم المصادقة يشكل خسارة لنا.

■ أي نخسر الفاعلية داخل هذه المحكمة!

- نخسر الفاعلية، وأن نكون فاعلين، وأن يكون لنا صوت.

القبلية تطغى على الديموقراطية

■ إلى أي حد تعتقدين أن إعادة التصويت على ما تمّ المصادقة عليه في البرلمان اليمني يضعف احتمالات إعادة القبول، بمعنى هل انتهى الأمل الآن في مصادقة اليمن على هذه الاتفاقية؟

- اليمن من الديموقراطيات الناشئة، والتقاليد والثقافة الديموقراطية ما زالت في مراحلها الجنينية الأولى، فمن المفترض أن مجلس النواب، وهو الجهاز التشريعي الذي من حقه أن يشرع وأن يراقب، ما زال حتى الآن ضعيفاً بسبب تركيبته القبلية والأمنية والمشايخ، لأن عدد الناس أو الأعضاء من المتعلمين ومن الكوادر ما زال قليلاً، وبالتالي فإن تركيبة المجلس الآن، بهيئته الحالية، يطغى عليها الطابع القبلي.

■ لكن إلى أي حد يمكن أن يدخل اليمن في هذه الاتفاقية، بعد أن نقض مجلس النواب ما أقره سابقاً؟

- دعني أقول لك: إن عمل المجلس الآن لا يسير بشكل صحيح بموجب لوائحه، فهناك الكثير من الاتفاقيات تم تمريرها في مجلس النواب ولم يذكر مسألة النصاب على الإطلاق، ولم يكن هناك نصاب، منذ أكثر من شهر تقريباً مرر البرلمان اتفاقية قروض بوجود أقل من 27 عضواً في المجلس، وهذا مخالف للائحة المجلس.

■ وتعتقدين أن جلسة نقض المصادقة كانت مخالفة للنظام؟

- كانت مخالفة، تلك المخالفات أصبحت عرفاً، وهناك عدد من الاتفاقيات لم يثر النواب أثناء مناقشتها مسألة اكتمال النصاب من عدمه، وتم تمريرها وهي مخالفة للائحة، ولكن عندما جاءت المصادقة في 24 مارس/آذار 2007، كان عدد الموجودين في حدود 63، منهم 43 مع، و 20 ضد، والعدد المطلوب هو 76.

■ إذًا استخدمت مسألة النصاب لنقض الاتفاقية.

- نعم، تذكر هؤلاء النواب المعارضون بأن هناك مخالفة للائحة، وتم في 7 أبريل / نيسان 2007 نقض المصادقة.

التراجع ومخالفة للائحة

■ هل هناك فرصة أن تنضم اليمن من بعد هذا الإجراء إلى هذه الاتفاقية عبر مجلس النواب؟

- أولاً هناك فرصة لأن مسألة التراجع في يوم 7 أبريل كانت أيضاً مخالفة للائحة المجلس، لماذا؟ لأن لائحة المجلس تنص على أن المداولات في أية أجندة أو في أي موضوع من أجندة المجلس تتم في نفس الجلسة.

■ يعني لا يمكن أن يُتحفظ على شيء مضى على جلسة سابقة!

- لا يمكن أن تأتي بعد عشرة أيام وتقول نفتح الموضوع للنقاش وتنقض، الشيء الثاني أنه في يوم 27 المجلس رفع مذكرة رسمية إلى فخامة رئيس الجمهورية بأن مجلس النواب قد صادق بأغلبية الحاضرين.

■ وبالتالي لم يبقَ إلا مصادقة رئاسة الجمهورية على القانون!

- نعم، الموافقة أو الرفض، لأن هذه تعتبر الآن منذ تاريخ المصادقة في 24 ينص الدستور في المادة 102 «وخلال ثلاثين يوماً إن لم يعد رئيس الجمهورية الاتفاقية إلى المجلس لإعادة النظر فيها أو يوافق عليها فإنها تصبح نافذة».

■ وهذا ما حدث، أي أنها لم تعد من رئاسة الجمهورية؟

- لكن البلبلة التي حصلت في 7 أبريل هذه الآن تضع الكرة في ملعب الأخ فخامة رئيس الجمهورية، ونحن نعرف الرئاسة ووزارة الخارجية والشؤون القانونية، كلهم أفتوا بأنه لا يوجد تعارض مع الدستور ولا تعارض أيضاً مع الشريعة، وأكد لنا أيضاً مندوب من رئاسة الجمهورية في لقاء نظمناه منذ شهرين، أن رئاسة الجمهورية لا تحفظات لديها، وإلا لما كانت اليمن استضافت مؤتمراً كبيراً في عام 2004 لتدعم المحكمة الجنائية الدولية، واليمن موقعة أيضاً، اليمن موقعة على اتفاقية المحكمة الجنائية بالإضافة إلى 13 دولة عربية.

الاتفاقية ضد الشريعة!

■ بعد السابع من أبريل وتعليقاً على نقض مجلس النواب لمصادقته في شهر مارس الاتفاقية، قالت أمل باشا تعليقاً على ذلك: «إن القوى التي وقفت ضد الاتفاقية هي ضد الشريعة الإسلامية، وهي قوى ليست دينية وتقف ضد قيم حقوق الإنسان»، وذلك على الرغم من أن أحد الأشياء التي حركت الموضوع هي خطباء المساجد الذين اعترضوا في اليمن على هذه الاتفاقية، وقالوا إن هذه الاتفاقية ضد الإسلام، وقالوا أيضاً إن القضاة الذين يشاركون سيكونون من المسيحيين واليهود، وإنه لا ولاية قضائية لكافر على مسلم،

كيف تردين؟

- دعني أوضح أن الحملة لم تبدأ فقط بعد تاريخ المصادقة في 24 مارس، وإنما الحملة بدأت منذ يونيو/حزيران 2006، عندما نظم منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان دورة تدريبية لأكثر من 60 صحفياً وعاملاً في المؤسسات الإعلامية المختلفة، وتنظيمات حزبية وغيرها.

■ **لماذا إذًا بدأت الحملة؟**

- لأن هناك قوى ترفض هذه الاتفاقية، لا لأسباب دينية، وإنما لأسباب سياسية.

■ **كيف؟**

- الأسباب السياسية منها الخوف أن يتم محاسبة المتهمين بارتكاب جرائم وجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

■ **مع أنك تقولين إن في اليمن لا توجد جرائم حرب!**

- لكن هناك شكوكًا، وهناك تخوفات، لأن هؤلاء لم يطّلعوا بشكل جيد، أو كما قلت، ربما هناك نوايا لارتكاب مثل هذه الجرائم، حتى الآن لا توجد الجرائم، لأن المحكمة تقول عفا الله عما سلف، إذا حدثت جرائم قبل 2002 –تاريخ دخول نظام روما حيز النفاذ– فكل الجرائم التي تمت قبل هذا التاريخ لا تدخل في اختصاص المحكمة، ولا تقوم بأثر رجعي، أيضاً الدولة عندما تصادق تصبح ملزمة بعد نحو شهر من تسليم صك الاتفاقية إلى الجهات المعنية في الأمم المتحدة، إذًا نحن نقول حتى الآن لا توجد جرائم، جرائم ضد الإنسانية.

حملة تكفير على الشقائق

■ **نعود لمسألة الاعتراض الديني، أنت تقولين إن قوى ضد الشريعة، كيف تكون ضد الشريعة وعندها تحفظات شرعية؟**

- دعني أقول: هي لها ارتباط طبعاً بقوى دينية أو بتيارات دينية متشددة، لكن في الأصل أو في الأساس هو الخوف من أن يتم تقديم هؤلاء، ربما لجرائم في المستقبل، لا ندري -وأتمنى أن لا يحدث ذلك- إلى المحكمة الجنائية الدولية، بالرغم من أن المحكمة كما قلت في السابق لا تتدخل إلا عندما تكون الدولة عاجزة عن محاسبة هؤلاء المتهمين، أو غير راغبة، ونعرف أنه عندما يكون أحد المتنفذين متورطاً في جرائم حرب، تدخل في اختصاص اتفاقية روما. أنا قلت إن الحملة بدأت، وبدأت ضدي شخصياً وضد منتدى الشقائق، لأننا منذ 1999 إلى يونيو/حزيران 2006 تحدثنا ونفذنا العديد من الأنشطة حول التمييز ضد النساء في القانون، حول قضايا التعذيب في اليمن، حول حقوق الإنسان، وتناولنا قضايا حساسة كثيرة، ولم يتهمنا أحد لا بالعمالة ولا بالخيانة ولا بالردة ولا بالكفر ولا بأي شيء، وكانت قضايانا كلها قضايا الساعة.

■ **أنا أود أوضح أنه تمّ تكفيرك على بعض المنابر، أليس كذلك؟**

- تمّ تكفيري حالياً في هذا الشهر.

■ **بعد هذه الاتفاقية!**

- بعدها، لكن هناك صحيفة من الصحف الصفراء التي تتبع لهذه الجهات -والكل يعرف في اليمن- وهي صحيفة أخبار اليوم، تناولتني بشكل منتظم منذ يونيو/حزيران 2006 حتى الآن.

■ لماذا لا نعتبر أن ما قالته أخبار اليوم ـ مع الاحترام للجميع ـ هو شكل من أشكال حرية التعبير؟

- هل حرية الرأي والتعبير أن تفتري وتفبرك أقوالاً على لساني لم أقلها؟ لقد رفعت قضية في يونيو إلى نقابة الصحافيين.

■ هل تعتقدين أن تكفيرك مبني على ما نُشر في أخبار اليوم؟

- التكفير هو المرحلة الأخيرة، إنما في عام 2006 نُشر في صفحة أخبار اليوم بالمانشيت العريض مقال يقول: إن أمل باشا تقول إن الحجاب ضد الدين ومع الفساد وإلى آخره، وفي متن المقال يقول: إنني عارية، والعاريات في اليمن قليلات، وهذا ليس بجديد، فأنا فوجئت، وفوجئ كثير من الناس، حتى أن اتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين انبرى بنفسه واستنكر مثل هذه الاتهامات.

■ وأنت ألم تقولي أية كلمة من هذا الحديث؟

- لم أقل، وقدمت إلى المحامي نص الكلام الذي تكلمت به.

■ ما هو نص الكلام الذي تكلمت به؟

- كان الحديث حول الحجاب، وكانت هناك إحدى السيدات من كندا تقول بأن نظرتهم في الغرب ترى بأن الحجاب مفروض على المرأة المسلمة، بينما نحن نرى أن هذه المسألة اختيارية، فأنا قمت وقلت إن هذا الكلام إلى حد ما صحيح، لكن في اليمن الحجاب مفروض للأسباب التالية، أن من لا تتحجب تُهان وتُلعن وتُشتم في الشارع، أن المسجد وخطباء المساجد بعضهم دائماً ما يشتمون ويلعنون ويتوعدون النساء غير المحجبات.

■ أنت غير محجبة، هل تمت إهانتك وشتمك في الشارع؟
- بشكل يومي يتم إهانتنا، كل النساء غير المحجبات يتعرضن للشتم أو للنصح، حتى سياراتنا يتم «خربشتها» وإلى آخره، هذا شكل من أشكال العنف المنظم.

■ لكن ألا تعتقدين أنكنّ تطرحنَ أطروحات بعيدة عن عقلية الشارع، وقبول الشارع، وهويته؟
- بالعكس، لم نطرح حتى مسألة الحجاب على طاولة النقاش، لأن رأينا فيها رأي شخصي.

لا أحب أن أكون محجبة

■ لكن عندك موقف من الحجاب أيضاً!
- أنا لست ضد المحجبات ولا أحب أن أكون محجبة.

■ لكن في مؤتمر الإسكندرية للمرأة، الذي كان عنوانه «خطوات نحو تحقيق الإصلاح»، وعقد في 2006/12/12 حدث سجال حاد بين أمل باشا وبين صافيناز كاظم، التي اعترضت على وثيقة الإسكندرية لأنها أهملت المرأة، ووصفت أنتِ الدساتير العربية والحجاب بأوصاف استفزت الأستاذة صافيناز.
- هذا غير صحيح، كان الحوار حول كيف يمكن أن نمكّن النساء من خلال تعديل الدساتير والقوانين، وأنا في لحظة انفعال، وكنت مع أخت من سوريا قلت لها: «طز» في الدساتير، هناك العديد من الدساتير العربية تضمن الحقوق

ولكن على مستوى الواقع، فإنها غير ذلك.

■ **ألم تقولي: «طز» في الحجاب؟**

- لا لم أقل: «طز» في الحجاب، لم يكن هذا هو الكلام، كان الحديث عن الدساتير، وقلت على النساء أن يشتركن في النضال من أجل التحديث والديموقراطية، لا أن نقف متفرجات؛ صافيناز كانت من الأخوات المعقبات على كلامي، وأنا كنت متحدثة، فهي بدأت تقول لي أنتن تلبسن الملابس الغربية، وثقافتكن غربية، وتتكلمن اللغة الإنجليزية، وتردن أن تتحدثن عن الديموقراطية... بدأت هي تقول أنتن ابتعدتن عن الإسلام، وأنتن غير محجبات.

■ **وماذا كان ردك عليها؟**

- قلت لها: لماذا عندما أنا ألبس هذه الملابس أعتبر متفرنجة ومتغربة، بينما أخي -وكان أسامة الغزالي حرب- كان يلبس ربطة عنق وبدلة غربية، قلت لها ألا يسمى «متفرنج» أو يسمى «مودرن» أي ملابسه «شيك» وإلى آخره.

■ **لكنك أشرت أيضًا إلى حجابها ولونه الأسود، أليس كذلك؟**

- قلت لها هل تعتقدين أن هذا اللباس -وهي كانت متشحة بالسواد تماماً- هو الحجاب الإسلامي؟ من قال إن السواد هو الحجاب الإسلامي؟ قلت لها: نحن في اليمن على سبيل المثال إلى قبل 15 سنة والنساء يلبسن الملون، ويضعن الزهور أو «المشاقر» على رؤوسهن، والعلاقات عادية جداً بين البشر، والآن نحن مجتمع زراعي.

■ هل يمكن أن نعتبر أن السجال الذي دار بينك وبين صافيناز كاظم كان سجالاً نسائياً؟ أي تحول إلى مناكفة نسائية؟ هي قالت لك أنتم تتغربون، قلت أنت حجابك ليس إسلاميًا، وهكذا.

- لم يكن حواراً نسائياً، وإنما كان حوارًا بين عقليتين مختلفتين، هذا الحوار يمكن أن يتم بيني وبين أي رجل يحمل نفس ما تفكر به الأخت صافيناز، ولعلمك لم أكن أعرف أن صافيناز هي التي كانت تتحدث، وإنما كنت أتكلم بشكل طبيعي.

■ أنت تدافعين عن حقوق الإنسان، وترأسين منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان، لماذا نطالب بحقوق الإنسان، ولا نعتبر أن من حقوق المرأة أن تتحجب، وأن تلبس السواد، أليس هذا خيارًا لها؟

- طبعاً هذا خيار، وأنا أحترم كل الخيارات، لكن كانت ردة فعلي على الأستاذة صافيناز أنها عندما انتقدت ملبسي الذي ألبسه أن هذا تشبه بالغرب، أنا أيضاً أجبتها بنفس المنطق، وقلت لها أنها تلبس أيضًا السواد، لأنها اعتبرت نفسها تلبس لباساً شرعياً وإسلامياً، فقلت لها منذ متى كان السواد هو اللباس الشرعي أو الإسلامي؟ لكنني لست ضد أن يلبس الآخرون الأسود أو الأبيض أو الأحمر، فهذه حرية، وأنا أحترم هذه الحريات، كما أطالب الآخرين أن يحترموا حريتي في أن ألبس ما أشاء.

امرأة تدعو إلى الفجور!

■ **إلى ماذا استند محرر أخبار اليوم عندما نشر حديثك الذي اعتبرتهِ افتراء، لما قال: «المتعريات في اليمن قليلات» ؟**

- هو يقول ما يلي على لساني: «وأهلي فخورون بي لولا أنني عارية»، فأنا قلت: حتى بنات الليل اللواتي يشتغلن في علب الليل أو المتعريات لا يمكن أن يصدر عنهن مثل هذا الكلام، فهل أصابني الجنون لأقول في ندوة إنني عارية والعاريات قليل، فكان واضحاً أن هناك محاولة، أو حملة، لإظهاري بمظهر المرأة التي تدعو إلى الفجور والفسوق، وقدمت شكوى إلى نقابة الصحافيين، وقدمت الشريط الذي سُجل عليه كلامي في الندوة والكلام الذي تمت كتابته، وفرّغنا الكلام وبعثنا به إلى المحامي نبيل المحمدي، وقال: إن هذا قذفاً صريحاً.

■ **هل صدر حكم بهذا الاتجاه؟**

- لا، لأن المحامي قال إنه أصلاً مستشار لنقابة الصحافيين، ولا يمكن أن يرفع قضية على صحفي، وقال أيضًا: «إننا نحن ندعو إلى حرية الرأي والتعبير، ولكن دعي النقابة تتحرك». فتحركت النقابة، واستدعت صاحب الامتياز سيف الحاضري واعتذر لهم، وقال: «أنا لم أنتبه أو لم أعرف بمثل هذا الكلام»، وهو مثل كثير من الناس الذين يحصلون على الامتياز، لا يراجعون أو يحققون أو يدققون ما الذي يكتب.

■ **بطبيعة الحال يصعب التدقيق في كل ما ينشر.**

- وأبلغني سعيد ثابت - عضو مجلس النقابة - بأنه اعتذر، طلب أن يكون هناك لقاء للاعتذار، فقلت لا داعي طالما هي جاءت زلة.

■ **أي عفوتِ مع أنك ما زلت تتحدثين عن هذه الحادثة بمرارة.**

- لأنني في تلك الفترة اعتبرت أنها ربما من المقالات التي تنشر وانتهينا، لكن استمرت أخبار اليوم بعدها تستهدفني في قضايا أخرى، ففي ذاك المقال حاولت أن تشوهني بأنني أدعو إلى العري والفجور، وإلى أنني أتهجم على الحجاب وما إلى ذلك. وفي مقال آخر تقول بأن منتدى الشقائق يدرب المرشحات اليمنيات لانتخابات المجالس المحلية بالتعاون مع المخابرات الأميركية، أي مع السي آي إيه. فكان طبعاً خبراً سخيفاً، فنحن لا نحتاج أن نتعامل مع المخابرات الأميركية لكي ندرب اليمنيات، لأن هناك منظمات دولية ومنظمات حقوق الإنسان تساعد في هذه المسألة، ولكن استمرت الحملة؛ وفيما بعد عندما بدأنا نتحدث عن المحكمة الجنائية والمصادقة، نشر خبر في الصفحة الأولى في أخبار اليوم أيضاً وباللون الأحمر يقول: «أمل الباشا تسعى إلى انتهاك سيادة اليمن بالدعوة إلى المصادقة».

الشارع مع من؟

■ **أستاذة أمل. قلت قبل قليل إن غير المحجبات يتعرضن لمواقف من قبل الشارع اليمني، هذه المواقف ليست بالضرورة ضمن حملة بل هي تعبير عن خيار الشارع، ألا تعتقدين أن الأطروحات التي تطرحونها لا تجد صدى في الشارع اليمني؟**

- لا، في الحقيقة وكما قلت، نحن لم نطرح حتى الآن قضية الحجاب أو الحجاب، لكننا نطرح قضية العنف.

■ تقولين حتى الآن، هل معنى ذلك أنك ستطرحين قضية الحجاب فيما بعد مثلاً؟

- أجندة حقوق الإنسان في اليمن كبيرة، والانتهاكات كثيرة، وربما مساحة الحرية المتاحة تجعلنا نستمع ونتلقى العديد من الشكاوى، لأن الناس أو الشعب اليمني يعيش حقيقة -أو ربما يكون يتوهم- الآن فترة ديموقراطية، وأن الدولة تحمي الحقوق والحريات، وبالتالي مساحة البوح ومساحة الحرية.

■ أنتِ أشرت أن اليمن مجتمع حديث العهد بالديموقراطية وهذا طبيعي.!

- لا ليس طبيعيًا، لكن نحن صدقنا الآن، ونريد أن نمارس هذه الحقوق الدستورية والقانونية، أن نتكلم عن الانتهاكات، سواء كانت من قبل مؤسسات الدولة الرسمية أو من قبل أفراد أو من قبل الشارع، الشارع اليمني مثله مثل الكثير من شوارع الدول العربية التقليدية والمحافظة، الشارع هو ملك للرجل، ليس فقط الشارع باعتباره مكانًا، بل أيضاً الزمان، فمثلاً لا تستطيع النساء على سبيل المثال أن تخرج بالليل في ضوء القمر، أو أن تتنزه أو تتمشى كمجاميع، كما يحدث أن الشباب والرجال يخرجون بالليل، ويتنزهون أحياناً في أوقات الصيف، أو في أوقات الليلة المقمرة.

■ هل تلخصت حقوق المرأة حتى صرنا لا نجد إلا قضية خروجها بالليل؟ ألا يوجد أولويات في تقديرك قبل هذا؟

- قضايا حقوق الإنسان لا تتجزأ.

■ لكنك كنت قبل قليل تتكلمين عن الحجاب.!

- عندما أقول إن الدولة تحمي الحقوق والحريات، إذًا على الدولة أن تحمي كرامتي في الشارع، لا بد أن يكون هناك قانون يحمي النساء من التعرض إلى

مثل هذا العنف، عنف الشارع.

■ **ولماذا لا تقدمون في أطروحاتكم أن المجتمع متدين، وأنه لا يقبل كل الأطروحات التي تطرحونها؟**

- ليس فقط غير المحجبات، فغير المحجبات في اليمن قليلات، أي أن المتبرجات -اللائي لا يغطين شعرهن- لا يتجاوز عددهن حتى ثلاثين امرأة، ولكن المحجبات اللواتي يظهرن وجوهن، حتى هؤلاء يتعرضن للعنف، حتى هؤلاء لا يقبل الشارع بأن تظهر المرأة بوجه مكشوف، حتى ولو كانت تغطي شعرها.

■ **أليس من حقوق الإنسان أن الشارع يقرر ما يحتاج وما يريد؟**

- كيف الشارع يقرر ما يحتاج؟ ما علاقة أن أكشف وجهي وأن أتعرض للأذى وللعنف والتحرش لأنني كشفت وجهي؟ هل حتى كشف الوجه في الشريعة الإسلامية حرام؟ أنا أعتقد أن هذا فيه كثير من المبالغة، لأن هناك بعض المغالين في الدين يقولون حتى أن وجه المرأة حرام... نحن في بلد يحترم الحقوق والحريات ويحمي المواطن، ونريد الحماية من مثل هؤلاء المتطفلين الفضوليين، الذين ينصبون أنفسهم أولياء أو أوصياء.

حصص المرأة في المؤسسات الرسمية

■ طرحتم في جمعية الشقائق، وأنت شخصياً طرحت ضرورة استخدام نظام الكوتا أو الحصص بالنسبة للمرأة في المؤسسات الرسمية، وتحديداً في الوزارات، ألا ترين أن نظام الكوتا سيجعل تعيين المرأة لأجل الجنس وليس لأجل الكفاءة؟

- دعني أوضح لك، إن نظام الكوتا هو نظام معمول به في اليمن في كثير من القضايا دون أن يكون مكتوباً في القانون.

■ كوتة الرجل والمرأة أم كوتا التوازنات؟

- الحصص، أنت تخصص حصصاً إما لأشخاص...

■ أو لقبائل، ولأشخاص...

- ولا أحد يعترض على هذا، وعلى سبيل المثال التشكيل الحكومي، فالتشكيلات الحكومية في كثير من الحكومات المتتالية منذ الوحدة إلى الآن تقوم على نظام الحصص، الحصص القبلية، أو المناطقية وغيرها، ولا أحد يتكلم، فلماذا عندما نتكلم عن نظام الحصص للنساء هنا تظهر مسألة الكفاءة؟

■ هل وصلت المرأة إلى مستوى الكوتا، التي تستطيع من خلالها أن تثبت كفاءتها؟

- بالطبع هناك عدد من النساء الكفؤات والكفؤات جداً، ومن المؤتمر الشعبي العام، لأننا نعيش فترة حكم المؤتمر الشعبي وهي حكومته الآن، وهو الذي يرسم السياسات الخاصة بالبلد، وهناك نساء رائعات من حزب

المؤتمر، إن كنا نستبعد المعارضات أو المستقلات، فلماذا لا يتم إعطاء حق لهؤلاء النسوة في تبوء مناصب؟ المشكلة أن هناك حديثًا وخطبًا عن حقوق النساء، وشراكة المجتمع المدني والمنظمات النسائية في صناعة مستقبل اليمن وسياسة اليمن، لماذا إذًا عندما يتم تعيين أكثر من ثلاثين وزيراً تعين امرأتان فقط؟

■ **كم من امرأة تريدين لها أن تكون وزيرة؟**

- كم نسبة عدد سكان نساء اليمن؟ نحن نتكلم عن بلد ديموقراطي، الديموقراطية تعني تمثيل الشعب.

■ **الغرب كنموذج مثلاً!**

- نحن نستحضر الغرب عندما تكون هناك قضايا ليست لصالحنا، عندما تكون القضايا لصالحنا لا نستحضر الغرب.. دعنا من الغرب.

■ **وما النموذج الذي تقترحينه؟**

- دعنا من الغرب، نحن الآن ندّعي - وبحسب الدستور - أننا بلد ديموقراطي؛ الديموقراطية تعتمد على تمثيل الشعب، نصف هذا الشعب مؤنث، أين هذا التمثيل إذاً؟ حتى ولو كنَّ نساء جاهلات أميات.

■ **هل تريدين أن تكون نسبة 50% من الوزارة للنساء؟**

- أنا مرحلياً لا أقول 50%، ولكن هذا سيكون نضال الأجيال القادمة، إلى أن نصل إلى هذه النسبة، ولم لا؟ إذا وجدت نساء كفؤات ومؤهلات، لماذا يتم استثناؤهن بسبب جنسهن؟ ولماذا يتم وضع رجال أو تعيينهم بسبب ذكورتهم فقط؟

■ ألذلك طالبت بتغيير قانون الانتخابات في اليمن؟

- بالطبع طالبنا منذ عام 2001، وطالبت الكثير من المنظمات النسائية، حتى الجهات الرسمية المسؤولة، مثل اللجنة الوطنية للمرأة، والمجلس الأعلى للمرأة، وقلنا بدّلوا هذا القانون أولاً، لأن القانون يقوم على الدائرة الفردية، وهذا قد أثبت فشله في كثير من الدول.

القائمة النسبية في صف المرأة

■ ماذا تقصدين بالدائرة الفردية؟

- أن لكل دائرة يترشح شخص واحد، وليس هناك نظام القائمة النسبية، القائمة النسبية أثبتت بأنها الأكثر نجاعة لتمثيل النساء والفئات المهمشة، وبالتالي نحن نطالب أولاً أن يتغير النظام الانتخابي من نظام الدائرة الواحدة إلى نظام القائمة النسبية، أيضاً أن يكون هناك تخصيص كوتا للنساء، لأنه بتخصيص الكوتا -كما ذكرت أنت- سيكون هناك التمثيل على أساس الجنس، ولكن الكوتا أيضاً تضمن بأنه إذا كانت هناك أعداد ممثلة للنساء بكتل حاسمة -كما يقال- فمن هذه الكثرة ستظهر أيضاً الجودة، ولكن عندما تضع لي سفيرة، أو فقط كم قاضية، أو غير ذلك من آلاف أو مئات السفراء والوزراء أو إلى آخره، هذه السفيرة أو هذه الوزيرة أو هذه ستكون تحت المجهر، فإن كانت كفؤة يعني هذا ممكن أن يفتح الباب، وإن كانت غير ذات كفاءة سيقولون انظروا المشكلة.

■ لماذا طالبت بتغيير الدستور اليمني أيضاً؟ هل للفكرة نفسها، أي لأنك تعتقدين أن الدستور لا يخدم المرأة، على الرغم من أنه ينص على المواطن

وعلى المواطنة؟

- لا، الدستور لا ينص على المواطن والمواطنة، إذا قارنت بين قانون الانتخابات والدستور، ستجد أنه في قانون الانتخابات ينص في الصفحة الأولى أنه يقصد بالمواطن هو كل يمني ويمنية، هنا شدد على مسألة الأنوثة، لأن هناك مصلحة أن تخرج النساء زرافات ووحدانًا لكي تنتخب، (أو كي) وتم التأنيث.

■ **تقصدين أن المرأة لم تعط حقها إلا في صناديق الاقترا ع؟**

- طبعاً من أجل أن تكون أصواتاً.

■ **ألا تعتقدين أن هذه نظرة متشائمة قليلاً؟**

- هي ليست بتشاؤم، بينما الدستور اليمني تكلم بخطاب ذكوري بحت، تحدث عن المواطن والعضو والوزير والرئيس وإلى آخره، وتم إعدام تاء التأنيث ونون النسوة تماماً، على الرغم من أن لغتنا العربية مزينة بهذين الحرفين.

■ **إذًا أنت تطالبين في الدستور أن ينص على الوزير والوزيرة؟**

- لا، طلبنا أن يكون هناك في التعريفات، يُقصد به المواطن هو كل يمني ويمنية وما يسري على الذكور يسري على النساء، لأنه عندما تتحدث عن أن: «من حق المواطن» فإن الذهن ينصرف إلى المواطن الذكر، ونحن في مجتمع بسيط، لا نقرأ، نحن في إحدى الفعاليات كنا ننتظر، وقالوا الآن سنستمع إلى فقرة من «الأطفال المعاقين».

■ **أنت تريدينها «والمعاقات»؟**

- ليس هذه فقط، ولكن انتظرنا فإذا بنا نجد أن هؤلاء الأطفال المعاقين هم

طفلات معاقات كلهن، فتخيل فقط ماذا كان الضيف ينتظر؟ ولكن كان يُقصد شيء آخر... أيضاً إحدى الأخوات تعمل في رئاسة الوزراء، وقالوا الآن سيدخل رئيس الوزراء ومعه المدير العام للشؤون الإدارية، فكان الكل يتوقع المدير العام للشؤون الإدارية أن يظهر رجل، هذا تحيز اللغة.

■ لكن هذه أزمة لغة وليست أزمة دستور أليس كذلك؟

- ليست أزمة لغة، هذه أزمة أن اللغة أنتجها رجل وذكر، ولم يتم تغييرها، هناك الآن تغيرات تتم على مستوى اللغة، لماذا لا يتم استخدام لغة أكثر حياداً من تلك اللغة التي تقصي النساء في الذهن؟ حتى عندما نكون حاضرات، يأتي الأخ الكريم أو الأخت الكريمة ويقولون «أيها الإخوة الحضور»! وماذا عن الأخوات الحاضرات؟ هذا حتى فيه إهانة للحضور النسوي في أي تجمع، لماذا لا نخفف من هذه اللغة شديدة الذكورية؟

■ ألا تعتقدين أن المطالبة في ما يتعلق بحق المرأة في الخطاب هي مرحلة متأخرة، في مقابل حق المرأة الأساسي، كقضية اضطهادها، وتوفير فرص التعليم لها؟

- أنا قلت: في مرحلة النضال لا يمكن أن نؤجل أشياء.

■ مع أنك أجلت موضوع الحجاب قبل قليل.

- لأن هذه الخيارات خيارات مواطنينا، وخيارات شعبنا، نحن نتكلم عن الانتهاكات، نتكلم عن الاعتقالات، نتكلم عن إهانة المواطن والمواطنة، عن الاعتقالات العشوائية، عن الترهيب الذي يحدث. منذ أسبوع تم اختطاف زميلة لنا لأنها مرت أمام السفارة الإيرانية، ولم يتحرك هؤلاء النواب الذين يتكلمون عن الشريعة، لم يتحركوا في استجواب الجهات الأمنية حول

اختطاف امرأة من الشارع، لمجرد شبهة أنها ربما دخلت السفارة الإيرانية.

■ **لكن أنت حددت الجهة التي خطفتها، وجزمت بأنها هي الجهة الخاطفة، أليس كذلك؟**

- إنها هي التي قالت، ونظمنا فعالية بهذا الخصوص، وقالت بأن هناك سيارتين توقفتا وأخرجوها بالقوة من سيارتها في الشارع العام، واصطحبوها إلى السجن المركزي، وعندما سألتهم من أنتم؟ قالوا نحن من الأمن، وقد طالبنا في ندوة بأن تتخذ الدولة الإجراءات لمحاسبة هؤلاء الذين خالفوا الدستور وخالفوا القانون، لأنه ما الفرق الآن بين قوى الأمن وبين قطاع الطرق؟ المفروض أنها تحمي المواطن، إذا لم يكن هناك التزام بالقانون، فهناك إجراءات لا بد من اتباعها.

■ **لكن الموضوع حدث منذ أسبوع، وهو الآن في طور التحقيق!**

- لم يتم حتى الرد علينا، لم يتم حتى الاعتذار رسمياً، هناك صحف رسمية وخاصة وصحف أمنية، كان بالإمكان الاعتذار لهذه البنت، ويقال عفواً حصل خطأ، ولكن الذي حصل أنها عندما أطلقوها قالت لهم شكراً.

الأدب
في الدين والسياسة
«العمل مع الساسة أجدى للمثقف»

د. عبد العزيز المقالح

د. عبد العزيز المقالح

أكاديمي وشاعر يمني

الجمعة 8-6-2007

يشغل الشاعر والأديب والباحث عبد العزيز المقالح مكانة مرموقة في خريطة الحركة الأدبية المعاصرة في اليمن والعالم العربي. تنوعت أعماله الشعرية وكتاباته الأدبية والبحثية بين قضايا أمته الحاضرة، وتاريخها بصفحاته المليئة بالانتصار والانكسار. خاض معارك أدبية وفكرية كثيرة، وتعرض قلمه للتكفير في مراحل مضت من حياته بسبب بعض القصائد.

والمقالح، المولود في 1937 بمنطقة الشعر بمحافظة إب، يعمل أستاذاً للأدب في جامعة صنعاء، ورأس تلك الجامعة حتى العام 2001، ثم عين مستشارا للرئيس علي عبد الله صالح لشؤون الثقافة، وقد صدر له العديد من الدواوين الشعرية منها: «لابد من صنعاء»، «مأرب يتكلم»، «رسالة إلى سيف بن ذي يزن»، «هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي»، وغيرها. ومن مؤلفاته الأدبية: «الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن»، «شعر العامية في اليمن»، «قراءة في أدب اليمن المعاصر»، أصوات من الزمن الجديد، وغيرها.

التقينا عبد العزيز المقالح في صنعاء، وبدأنا معه حوارنا حول العلاقة بين المثقف والسياسي، ذلك أن الرجل كانت له آراء في «مثقف السلطة»، الذي يخدم الحاكم بأرائه وأفكاره وقلمه، فماذا عنه الآن وهو مستشار رئيس الدولة لشؤون الثقافة؟

كذلك يطرح المقالح في هذا الحوار دور المثقف الذي تراجع لصالح دور

السياسي، حسب رأيه، حتى أن المثقف عندما أتيح له دور في الحياة العامة بعد الوحدة اليمنية، هجر الثقافة وتحول كلية إلى اللعبة.

أما عن معركته مع الذين قاموا بتكفيره، فكان لها نصيب مهم من هذا الحوار، ذلك أن عبد العزيز المقالح، الذي يدعو في كتاباته وأشعاره ومقالاته إلى الحوار والانفتاح والاعتراف بالآخر، وصفته جماعة إسلامية يمنية متشددة بـ «الشيطان»، ووصمته بالكفر والإلحاد. وتزامن «تكفير» المقالح عشية إعلان صنعاء عاصمة للثقافة العربية للعام 2004، وبُعيد اختتام مؤتمر «حوار الحضارات»، الذي شهدته صنعاء، ودعا فيه المقالح إلى تعزيز الحوار الثقافي والحضاري، وإلى نشر ثقافة السلام ورفض ثقافتي العنف والتكفير.

لكن المقالح تعامل مع هذه القضية من موقع فكري خالص، تاركًا الأمر لذوي التخصص، ففي رأيه أن من كفّروه أناس غير متخصصين بالإبداع، وهكذا تم تحريف نصوصه، وتم نزع كتاباته عن سياقها، ومن هنا كان التسرع بالتكفير... لكن اللافت هنا هو أن عبد العزيز المقالح لم يتوقف كثيراً عند جدال هؤلاء، ومضى في إبداعه الشعري والأدبي غير مكترث بقذائفهم التكفيرية.

ويتحدث عبد العزيز المقالح في هذا الحوار أيضًا عن علاقته بالصوفية، حيث يرى أن الصوفيين «كانوا رواداً في الإيمان والمحبة واكتشاف الطريق لهم ولغيرهم... اكتشاف الطريق إلى الله وإلى الجنة وإلى العمل النبيل والخير. الصوفية فيها عذوبة وشفافية». كما يتحدث عن الحداثة في الشعر والأدب، وله مواقف تجاه الشعر التقليدي «العامودي»، والشعر الحديث، ومع ذلك فهو «مع كل أشكال الشعر... شرط أن يكون شعراً».

أسئلة كثيرة أخرى طرحناها على الشاعر والأديب عبد العزيز المقالح، حول علاقة المثقف بعلماء الدين المنافحين عن العقيدة، وعن الخطاب الديني والمثقف، وأولوية القضايا والهموم التي على المثقف العربي أن يتعامل معها، وأخيرًا عن مسحة الحزن التي تكسو أدبه وتشكل خطًا ثابتًا في معظم كتاباته. وخرجنا بهذا الحوار مع ذلك المثقف الطليعي، الذي لم يشف من جروح الذاكرة اليمنية، التي طالما عانت في الماضي، وما تزال تعاني، لكنها دائمًا تتطلع إلى ذلك اليمن السعيد.

جدلية العلاقة بين المثقف والسياسي

تركي: سنبدأ من العلاقة بين المثقف والسياسي، هذه العلاقة التي نالت الكثير من أطروحاتك، تحدثت فيها ناقداً مثقفي السلطة في أكثر من أطروحة، هل ما زال الدكتور عبد العزيز المقالح ينتقد المثقف في السلطة؟

د. المقالح: ربما، وليس كلهم، وإنما بعض مثقفي السلطة، أولئك الذين يؤجرون أفكارهم وأقلامهم لسلطة غير وطنية.

■ **إذًا ليس لديك مشكلة أن تؤجر الأقلام لسلطة وطنية، الإشكالية في أن تكون السلطة غير وطنية؟**

- أنا لا أفضل أن أي قلم... أي مبدع... أي مثقف أن يؤجر نفسه، ولكن أن يعمل في سلطة وطنية لأنه مواطن، ومن حقه كمواطن أولاً، كمثقف، كعنصر إيجابي داخل وطنه، أن يكون مشاركاً في السلطة من قريب أو بعيد، شرط أن تكون سلطةً وطنيةً، وأن تعمل لصالح البلد الذي هو بلده، وأن تعمل هذه السلطة على تطوير هذا البلد، والعمل على تقدمه.

■ لكن كيف يمكن أن نفهم تعيينك كمستشار لرئيس الجمهورية اليمنية، ونقدك السابق لمثقفي السلطة، باعتبار أن المثقف المستقلٍ ينتج إبداعاً حقيقياً؟ هل يمكن أن نعتبر الدكتور عبد العزيز بتعيينه مستشاراً للرئيس انتقل ليكون مثقف سلطة؟

- أود هنا أن أوضح أن الرئيس علي عبد الله صالح له ميزة ربما لا تكون لدى كثير من الرؤساء والقادة العرب، فهو عندما يعيّن أو ينتزع شخصاً من مكانه الوظيفي، يمنحه صفة مستشار، والرئيس علي عبد الله صالح عنده أكثر من 10 آلاف مستشار، يستشير بعضهم، وقد لا يستشير كل هذا العدد، وبالنسبة للمستشار الثقافي سواء لرئاسة الجمهورية، أو لرئيس الجمهورية -وأنا مستشار لرئاسة الجمهورية- ولكن أيضاً في الثقافة ليس هناك ما يُستشار فيه، إذًا فمن الممكن القول إنه منصب شرفي.

■ أي أنه منصب شرفي، كتكريم وتقدير، أكثر منه منصب عملي، يمكن أن تمارسوا من خلاله أي دور، أليس كذلك؟

- لأنه ليس هناك في الثقافة ما يُستشار فيه.

■ هل تعتقد أنه ليس هناك وظيفة يقوم بها المستشار الثقافي مثلاً؟

- أظن هذا.

■ أم أنه لا يُستشار في الشؤون الثقافية وبالتالي لا يقوم بدور؟

- هناك وزير ثقافة في وزارة تؤدي واجبها الرسمي والعملي، وليس هناك ما يستحق الاستشارة.

■ في واحد من أحاديث كثيرة أجريت معك، كنت تتحدث عن جدلية العلاقة بين المثقف والسلطة، قلت في أحدها «إن الأمور لم تعد بيد المثقف على الإطلاق، خرجت من يد المثقف، ربما في الخمسينات وقبل ذلك، إلى يد السياسي، وأصبحت كل المقاليد في يد السياسي»، ألا تعتقد أن في هذا القول تقليلاً من دور وقيمة المثقف وما يجب أن يقوم به، وأن فيه تسليماً بأن الأمور فقط بيد السياسي؟

- ليس تقليلاً من أهمية المثقف، ولكنه اعتراف بالحال العربي منذ الخمسينات وحتى إلى الآن، والدور هو للسياسي والمثقف على الهامش، وأحياناً فإن المثقف سياسي، أيضاً لا ننسى أن هناك مثقفاً سياسياً، هذا المثقف السياسي يشارك مشاركةً فاعلةً في القيام بأدوار.

تهميش دور المثقف

■ لكن ألا تعتقد أن السياسي همّش دور المثقف؟

- لا شك أن السياسي همّش المثقف العربي، ولم يعد له إلا أن يرى -أحياناً- من قرب، أو في الغالب أن يرى من بُعد. لماذا -في تقديرك- لجأ السياسي لتهميش المثقف؟ هل يزاحم المثقف السياسي على اتخاذ القرار وبالتالي همشه السياسي؟

■ لماذا ـ في تقديرك ـ لجأ السياسي لتهميش المثقف؟ هل يزاحم المثقف السياسي على اتخاذ القرار وبالتالي همشه السياسي؟

- المفترض هو الجمع بين السياسة والثقافة، أن يكون -كما سبقت الإشارة- السياسي مثقفاً، ولكن في الوطن العربي، ونتيجة ظروف معينة، وما تعرض له

الوطن من احتلال واستعمار طويل الأمد، فتصدى السياسي العسكري أو السياسي المدني لكل هذه التحديات، وكان على هذه الفئة الوطنية أن تمسك بزمام الحكم، وأن تبعد المثقف، بل أحياناً كان المثقف هو الذي أبعد نفسه.

■ لكن السياسيين يقولون إن أطروحات المثقف غير واقعية، وبالتالي لا نستطيع أن نطبقها على الأرض، ولذلك هم يدفعون بذلك تهمة تهميشهم للمثقف؟

- ربما يكونون على حق؛ لكن الحقيقة -والغريب في الوقت نفسه- أنه بعد الوحدة اليمنية، وإعادة وحدة البلد، كان هناك عدد كبير من المثقفين الذين كانوا يعيشون على الهامش مقتنعين بدورهم الثقافي... فعندما جاءت الوحدة وبدأ التعدد السياسي، ولم يعد العمل السياسي محرماً، والحزبية لم تعد خيانة، عندئذ ذهب عدد كبير من هؤلاء المثقفين إلى السياسة.

■ وتخلوا عن أدوارهم الثقافية؟

- عادوا إلى أحزابهم فتخلوا عن الثقافة، وكادت الساحة تخلو، وهنا أعتبر هذا نوعاً من جناية السياسة على الثقافة، أي أنها أبعدت عناصر متميزة وألحقتهم بها، فخلا دورهم الإبداعي بخاصة...

■ لماذا لجأوا إلى السياسة؟ هل لأنهم يبحثون عن أدوار على الأرض أو مكانا على الخارطة مثلاً؟

- عندهم أمل بأن ما يمكن أن يعملوه داخل العمل السياسي أكثر نجاحاً مما يعملونه في الحقل الثقافي.

المثقفون العرب في أبراج عاجية؟!

■ هناك تهمة تُساق أحياناً إلى المثقف العربي، وهي أنه بعيد عن معايشة هموم الإنسان العربي، بعيداً عن التواكب مع طموحات رجل الشارع، هل يعيش المثقفون العرب في أبراج عاجية؟

- هذا القول ليس صحيحاً على الإطلاق، ربما كان هناك فئة من المثقفين استطابت أن تعيش على الهامش، أو أن تعيش في أبراج، لكن يبدو لي في الوقت الحاضر أنه لم يعد هناك مثقف يستطيع أن يعيش في برج عاجي، أو في أي مكان بعيد عن الهم اليومي للإنسان، إنسان وطنه، وإنسان الوطن الكبير، فالمثقفون على مستوى الساحة العربية يمارسون أدواراً إيجابية في الوقت الحاضر أحياناً أكثر من السياسي، بعلاقاتهم اليومية، بمحاولة أن ينقلوا مشاعر ووجدان الإنسان العادي وما يعانيه...

■ ألا تعتقد أن المثقف تخلّى عن التماس مع الناس لصالح الديني أكثر من ذي قبل مثلاً؟

- ربما يكون الديني أكثر ارتباطاً وعلاقة بحكم تواصله اليومي، لكن لا أستطيع أن أتهم المثقف أيضاً أنه ابتعد.

■ هل بحكم تواصله اليومي أم بحكم تركيبته العقلية العربية؟

- الظرف العربي، والمستوى الثقافي والفكري للناس، لا شك أن الديني أقرب وأكثر قدرة على التواصل بالمجموع من المثقف، لغة المثقف صعبة إلى حدّ ما، صعبة الوصول.

■ أي أنها نخبوية؟

- تقريباً، ومع ذلك أكرر قولي إنه أيضاً صاحب تأثير، وتأثير واضح، ليس متفرجاً.

■ من خلال أطروحاته؟

- من خلال كتاباته، ومن خلال أطروحاته، أيضاً تعايشه وتناغمه مع الواقع بشكل من الأشكال.

■ قلتَ في حوار أجري معك في العام 1996 بأن التناغم بين السياسي والثقافي يبدو ضرورة لا بد منها.

- هذا الذي يجب أن يكون... أنا أرى أن هذا ضروري، وهناك أفكار عن تجسير الفجوة بين السياسي والثقافي، لكن أحياناً يأتي وقت قد يكون من الصعب تماماً، وفي ظروف وفي بلدان معينة يكون من الصعب تجسير الفجوة بين المثقف والسياسي... السياسي شكّاك بطبعه.

■ هل هناك أزمة ثقة؟

- هناك أزمة... السياسي يشك، وهذا الشك يوجد حالة من التباين.

■ ألم تنتقل معادلة الشك بشكل معاكس أيضاً لدى المثقف، أي أنه أصبح يتوجس من السياسي كثيراً؟

- هي حالة... ما أود أن أقول إنها حالة معادلة هناك، وهذا الذي يحدث في بعض الأقطار العربية، حيث هناك شكوك متبادلة فعلاً، فالسياسي يخاف المثقف، والمثقف يخاف السياسي... أنا أقول إن السياسي أقدر من المثقف،

فلماذا يخاف السياسي من المثقف؟ لماذا يخاف من صوت المثقف؟ من قصيدة المبدع؟ أنا أحياناً أستغرب... في بعض الأقطار تصل الأمور إلى درجة من الصعب تخيّل ردود أفعالها!

■ **تقصد ردة فعل السياسي على فعل الثقافي، وأنه لا مبرر لذلك؟**

- نحن وصلنا إلى مرحلة يجب أن يكون فيها التناغم ضرورة، ليتعاون الجميع على بناء الوطن، بناء المستقبل، السياسي وحده لا يستطيع بمفرده والمثقف أيضاً لا يستطيع بمفرده، كلاهما مكملان لبعضهما.

معارك تؤدي إلى التكفير!

■ **دكتور عبد العزيز، خضت معارك كثيرة، سواء معارك أدبية، أو على صعيد الأفكار منذ الثمانينات، وهناك أشبه ما يكون بصراع مع المحافظين يخوضه الدكتور عبد العزيز، أدى ببعضهم إلى تكفيره أحيانا، هل تتألم لهذا الوضع؟**

- ربما أكون قد نسيت تلك المرحلة، بما فيها من آلام ومزعجات.

■ **على الرغم من أن آخرها كان حديث العهد، أي في 2004؟**

- أحياناً تعود لسبب أو لآخر، ولكن تتكشف الأمور لبعض هؤلاء الذين -للأسف الشديد- يفهمون بعض الأشياء بحسب مستواهم الفكري والأدبي. لكن الشيء المثير للقلق أن تُحاكَم بعض القصائد محاكمة غير أدبية، محاكمة من أناس غير متخصصين بالإبداع، سواء كان هذا العمل شعرياً أو روائياً. وعلى سبيل المثال سوف أتحدث عن شخص سامحه الله، قرأ رواية لأحد الزملاء وهذه الرواية مليئة بشخوص متعددة كأي عمل روائي، فيها الإنسان الفاضل

وفيها الإنسان غير الفاضل وهكذا... أحد أبطال الرواية يشرب الخمر، لكن الروائي عندما يحكي فيحكي على لسان هذا الفرد أو الشخصية، فيقول «لقد شربت الخمر وكذا وكذا ...»، فأخذ الرواية وذهب إلى أماكن عديدة، يقول «هذا الكاتب اعترف أنه شرب الخمر.. اعترف بنفسه... هذا كلامه في روايته يؤكد..»، وفي بعض الروايات البطل يقتل أحياناً عشرات، يقتل شخصيات، فهل نذهب وندينه؟

■ أو نحاكمه جنائياً بناءً على تصرف شخصيته الروائية؟

- فهذا نوع من الفهم المغلوط للعمل الأدبي. كذلك في ما يتعلق بالقصائد، ينطبق الشيء نفسه، هذه القصائد فيها دراما، فيها حوار، فيها استنطاق شخصيات، فيها استدعاء شخصيات من الماضي، فيها أشياء كثيرة، لكن بعضهم يقرؤها على أساس خلفية مسبقة، أو بلسان حاله.

■ إذا سمحت لي سأستعرض بعض النصوص، التي كان لدى بعض المحافظين تحفظ عليها، والتي كتبها الدكتور عبد العزيز المقالح؛ منها مثلاً القصيدة التي تقول «فيها صار الله رماداً.. صمتاً.. رعباً في كف الجلادين، حقلاً ينبت سباحات.. وغمائم بين الرب والأغنية.. الثورة والرب القادم من هوليود.. كان الله قديماً...» إلى آخر القصيدة؛ هذه كانت إحدى أهم الأشياء التي استند إليها هؤلاء المحافظون، أليس كذلك؟

- هذا ليس كلامي... ليس كلامي.

■ أليست القصيدة لك؟

- ليس بلساني، ليس على لساني، هذا على لسان هؤلاء الذين في هوليوود والذين يرون هذه الرؤية، أنا -بالعكس- موقفي -يمكن- كان في الطرف الآخر،

الطرف المعارض لهؤلاء الذين يقولون مثل هذا القول، صار عندهم تحول.

■ **إذًا هو على لسان هؤلاء، وأنت تسوقه كشاعر على لسان أشخاص آخرين؟**

- وكما قلت العمل عمل فني درامي، عمل رمزي وليس شعراً مباشراً، إنني من أقول هذا الكلام، والله هذا، وهو ليس على لساني ولا هو كلامي، وإنما هو هذا، والحمد لله أن بعض العلماء الطيبين الذين كانوا أخذوا فكرة خاطئة عن بعض النصوص تفهموا الأمر وصار واضحاً لهم تماماً.

عصر تشويه المفاهيم والقيم

■ **هل يقع في هذه الدائرة أيضاً قصيدتك «يهوذا» التي كتبتها قبل أكثر من ثلاثين عاماً، عندما قلت فيها: «كفرت بهذا الزمان بكل زمان.. كفرت بصمت الكهوف بلون الحروف بهذه القصيدة.. بكل العقيدة.. بدين يهوذا.. بعصر يهوذا.. بما تكتبون بما تقرؤون.. تعالوا لكي تصلبوني.. لكي تنقذوني.. فإن كفرت بعصري.. هذه أيضاً كانت من النصوص التي أخذت على الدكتور عبد العزيز المقالح؟**

- أولاً عنوانها عصر يهوذا، يهوذا يتكلم، ما الذي سيقوله يهوذا؟ سيقول هذا الكلام، إنه كفر بكل شيء في هذا العصر، بالكتاب، بالقصيدة، بالعقيدة، بالكلمة، هذا هو يهوذا، أيضاً الموضوع نفسه عندما يقرأها ناقد، يقرأها قارئ محب للشعر، قارئ يعرف معنى الشعر، لن يقف عند هذا المفهوم الخاطئ على الإطلاق، بالعكس، سيجد أنها تؤيد رأيه، وأنها تقف معه في خندق واحد ضد هذا اليهوذا الذي يكفر بكل شيء، ولا يؤمن بشيء... هذا العصر شوّه كثيراً من المفاهيم والقيم.

■ لماذا بظنك يا دكتور تشوهت كثير من المفاهيم والقيم في هذا العصر؟

- نتيجة اختلاط الرؤى، نحن نعيش في مفترق طرق، لم نصبح معاصرين ولا صرنا.. نحن نعيش واقعنا العربي، وواقعنا العربي معقد وملتبس وشائك، وهو يدفع بنا أحياناً إلى أن نتصادم دون حاجة إلى الصدام، لذا نختلف على البدهيات.

المقالح والصوفية

■ الكثير من الإسلاميين لديهم موقف، أو تحفظ، على الأدباء والمثقفين، لأنهم يرون أنهم أحياناً يتهجمون على الذات الإلهية من خلال نصوصهم، ألا ترى أن هذا التحفظ لدى الإسلاميين له مبرر؟

- هم من حقهم أن يتحفظوا، أنا لست ضد أي متحفظ أو محافظ، ولكن على أساس الفهم، أي أن نتفهّم أولاً ونعرف أولاً. فيما يتعلق بالأدب والإبداع الشعري بخاصة أرى أن لا تكون محاكمته بأيدي أي إنسان، يجب أن يعاد للمتخصصين، هم الذين يحددون: ما الذي يقصد بهذا؟ ما الذي يهدف إليه هذا الشاعر؟ هل نيته حسنة أم نيته سيئة؟ وعندما نعود إلى المتخصص سوف نحمي المبدعين، وسوف نخلق علاقة جيدة بين هؤلاء العلماء والفقهاء الطيبين والمخلصين والمنافحين عن العقيدة، ولا يحدث هذا اللغط وهذا الصراع الذي -من وجهة نظري- لا معنى له، لأن أحداً من المثقفين والمبدعين لا يمكن أن يخطر على باله أن يسيء إلى القيم الدينية، أو يفكر -مجرد تفكير- أن يسيء إلى الذات الإلهية.

■ لكن ألا توجد أخطاء أحياناً لدى المبدعين في هذا الإطار؟

- ربما هناك ما يسميه الصوفية بالشطحات، فأحياناً يشطح المبدع، ولكن لم

يحدث في كل ما قرأته، وفي كل ما دارت حوله معارك، فهذا ليس فيه أي شطحات، وإنما هو -آسف أن أقول- نوع من عدم الفهم للمراد.

■ **عطفاً على حديثك عن الصوفية، كتب عبده وازن في الحياة في 2004/2/17 متحدثاً عن حملات لتكفيرك، قال: «إن الدكتور المقالح من المتأثرين بالصوفية والفلسفة الدينية والميتافيزيقية، ومن المعتقدين بإنسانية الإنسان وبالصفاء الروحي والقدرة الإلهية»، هل تعتقد أن هذا الوصف يناسبك؟**

- أشكر الأخ عبده وازن، وله أن يتصورني كما يشاء، والحقيقة أن هناك بيني وبين الصوفية كفكر وكمدرسة روحية نوعًا من التجاذب، وأتمنى على علمائنا وفقهائنا الأفاضل أن يتواصلوا مع هذا الجانب الروحي من الإبداع الصوفي، فهو يفتح أبواباً واسعة لمعرفة أبعاد الأدب ورموزه، فهؤلاء الصوفية، أو بعض هؤلاء المبدعين من الصوفية، كانوا رواداً في الإيمان والمحبة واكتشاف الطريق لهم ولغيرهم... اكتشاف الطريق إلى الله وإلى الجنة وإلى العمل النبيل والخير.

■ **هل تعتبر أنك متأثر في أدبياتك بالمدرسة الصوفية، أي هذا الذي تصفه بالتجاذب؟**

- إلى حد ما، الصوفية فيها عذوبة وشفافية.

■ **لكن هناك مفهوماً للصوفية يرتبط أحياناً بالصورة النمطية للدروشة!**

- الدروشة هذه أشكال خارج المدرسة الروحية العظيمة.

■ **تحدثت قبل قليل دكتور عبد العزيز عن أدوار يقوم بها العلماء المنافحون عن العقيدة، ألا ترى أن علماء الدين الإسلامي يجب أيضاً أن يكون للمثقفين**

صلة بهم لتقليص هذه الفجوة، كما تحدثت عن السياسي من قبل؟

- أتمنى ذلك ويجب أن يكون.

■ **أنتم ما هو دوركم كمثقفين للتواصل معهم؟ هل الواجب فقط تجاه العلماء أو المنافحين عن العقيدة؟**

- هناك محاولات، وتمت محاولات ولقاءات، وهنا بدأ التفهم، بدأ نوع من التقارب، وليس مع الجميع للأسف الشديد، هناك بعض من هؤلاء يعانون من حالة الجمود ونسأل الله لهم الهداية.

■ **جمود في تفكيرهم وبالتالي لا يتواصلون، أي ليس لديهم استعداد للحديث أوالحوار؟**

- مع أن مهمتهم الأساسية هي أن يتصلوا بي، وسيجدون هناك أن العلاقة ممكنة وأن الموقف واحد، وأننا نحن في هذه الأمة المحاربة علينا أن نكافح في جبهة واحدة وأن لا تضيع قدراتنا وطاقاتنا في الحرب فيما بيننا.

الخطاب الديني والمثقف

■ **هل هذا الموقف الذي يبديه الدكتور عبد العزيز المقالح الآن، هذا الموقف المتصالح، هو موقفك عندما قارب عمرك السبعين؟ أم هو ذات الموقف عندما كنت في عنفوان الشباب؟**

- لا أود أن أتحدث عن نفسي، ومع ذلك فقد حاولت منذ البداية أن أكون معتدلاً، معتدلاً إلى أبعد حدود الاعتدال، الاعتدال الذي ليس فيه استسلام أو خضوع أو رضوخ لما لا أؤمن به، والمعارك التي -إذا صح أنني اقتربت

منها- ما زلت أؤمن بها تماماً، المعارك الأدبية الإبداعية ما زلت أؤمن بها تماماً، وهي لا تتناقض مع ما أقوله الآن، كان ذلك بالأمس، وهو اليوم، وسيكون ذلك إن شاء الله غداً، لا تراجع ولا تطرف.

■ **إحدى المعارك التي خاضها الدكتور عبد العزيز المقالح تتعلق بالحداثة في الشعر، ألا تعتقد أن الحداثة في العالم العربي لم تأخذ إلا أقل أشكالها، أو أسوأ أشكالها، وهي المساس بالثوابت، دون الحداثة في ما يتعلق بالتقنية، أو في ما يتعلق بالاقتصاد، أو رفع مستوى التعليم ونحو ذلك؟**

- للأسف الشديد، علاقتنا بالحضارة -وأنا أسميها حضارة صناعية تقنية- هي علاقة بمنتجاتها، وليست علاقة بها هي كما فعل الأخرون في اليابان وحتى في الصين والهند، في أماكن عديدة كانت علاقتهم بالحضارة من الناحية التقنية الصناعية تماما وليس بمنتوجها، نحن علاقتنا فقط بالمنتوج.

■ **تقصد كمستهلكين؟**

- نعم مستهلكون... وهناك قرن كامل ذهب هباء، لا أدري متى، سواء كان هذا على الصعيد الاقتصادي الصناعي، أو على الصعيد المعرفي الثقافي، فعلاً لقد أخذنا قشور الثقافة.

■ **أي أسوأ نماذج الحداثة.**

- وتركنا الثقافة بعمق، ومع ذلك أعود فأقول -مثلاً- إن هناك خلطاً، هناك حديث أو أحاديث تملأ الفضاء: أن هذا التغيير الذي حدث في الشعر كان تقليداً أوروبياً ومسخاً للإبداع الشعر العربي، وهذا كلام غير صحيح، فقصيدة النثر موجودة من القرن الثالث الهجري، وموجودة في القرن الرابع الهجري.

■ ممثلة بشعر من؟

- بشعراء، لكن أبرزهم، وهو النفري، هذا العالم الجليل الشاعر، وهو في مخاطباته ومواقفه، كتب أجمل شعر بالنثر، هناك كتابات نثرية بديعة في القرن الثالث الهجري والقرن الرابع الهجري، أيضاً تحديث القصيدة، الخروج على العمود موجود.

■ تعني القصيدة الحديثة العامودية؟

- القصيدة الحديثة، قصيدة التفعيلة موجودة أيضاً في القرن الثالث الهجري، هذا بغض النظر عن الحديث عن الموشحات وما أحدثته من تجديد ومن كسر الأوزان، واعتبره بعضهم في حينها تخريباً، ثم أضافوه واعتبروه من أجمل الشعر.

■ لذلك قال الدكتور عبد العزيز المقالح قبل نحو نصف قرن «سجنتنا الأوزان في قمقم الشكل فعافت عن الخيال البحور»؟

- كانت هذه فترة البداية، وما زلت أؤمن بهذا، لا يجب أن نسجن أنفسنا في أقفاص، سواء كانت أقفاصاً في قواعد الأدب، أو في السياسة أو الاقتصاد، حتى القفص السياسي، القفص الحزبي، يقفل على الإنسان ولا يعود يرى إلا ما داخل القفص، ففي الإبداع الشعر فضاء واسع، وأرجو أن يكون موقفي أيضاً واضحاً، أنا مع كل أشكال الشعر بشرط أن يكون شعراً.

روح القصيدة وليس شكلها

■ **كيف يكون شعراً؟ تعني إحساساً وموسيقى مثلاً؟**

- أنا مع القصيدة العامودية الشعر، ولست مع القصيدة العامودية النظم الفارغة من الشعر، ومع القصيدة التفاعلية الشعر، ولست مع القصيدة التفعيلية التي هي مجرد كلمات، أنا مع الروح؛ روح الإبداع، روح الشعر، يهمني روح القصيدة وليس شكلها.

■ **قلت في حوار مع مجلة نزوة في عام 1994 إن: «المهمة الأولى للمبدع العربي هي العودة إلى الإيمان بالثوابت التي كانت وما تزال صالحة للبقاء»، ما هي هذه الثوابت التي تحتاج إلى إعادة بعث، وهي المهمة الأولى في تقديرك؟**

- هناك ثوابت، أنا أيضاً أريد أن أشير هنا إلى موضوع السياق، سياق القصيدة، سياق الرواية، سياق النص... حتى السياق المقابلة، في أي سياق أتى هذا الأمر؟ بعضهم يلتقط «لا تقربوا الصلاة» ويقف عندها. الثوابت هنا -التي أقصدها- قد تكون ثوابت الإبداع، ومن أهم ثوابت الإبداع: اللغة، الحفاظ على اللغة، هناك بعض الشباب -للأسف الشديد- علاقتهم بقواعد اللغة علاقة سلبية، أيضاً أنا لا أريد أن يكون عالِم عروض، فيتعلم العروض لكن يعرف ماذا تعني الأوزان، حتى لما يخرج على الأوزان يكون قد وعى هذه، فهناك ثوابت في الإبداع، كما أن هناك ثوابت روحية أيضاً، ثوابت روحية تجمع الأمة، وتلم الصفوف. الخروج على هذه الثوابت الروحية كالخروج على الثوابت اللغوية وبقية الثوابت.

■ **ماذا تقصد بالثوابت الروحية تحديداً؟**

- الإيمان عموماً، للعرب ثوابت روحية تاريخية.

■ **أنت إذًا ضد الأفكار التي لا تخضع لسياق الإيمان؟**

- أنا لست ضدها، لكن أنا مع الثوابت... مع أن يكون الإنسان العربي مؤمناً بثوابت مثلما الآخر الذي نحاول أن نقلده، ولم نتمكن من تقليده لأن له ثوابته أيضاً.

■ **أشرت قبل قليل إلى ضرورة أن يعرف، حتى المبدع، عندما يكتب نصاً ـ ولو كان هذا النص نصاً مفتوحاً أو قصيدة عمودية ـ أن يعرف الأوزان.**

- أنا لا أريد أن يكتب الوزن، هذا الشاب الذي يكتب قصيدة نثر، أود أن يكون على اطلاع ووعي وتمثل كامل للغته، فيكتب بهذه اللغة، هذا الشاعر الذي يريده خارج الأوزان، لكن تمثلها أن يكون على علم بالرحلة. مثلاً كبار الشعراء كلهم خرجوا من القصيدة العامودية، وأنا لا أريد للشاب أن يخرج من القصيدة العامودية، لكن أريد أن يتعرف ويتمثل هذه الثوابت الإبداعية، كيف نمت، كيف ظهرت، ثم كيف تطورت إلى أن وصلت إلى ما يريده.

صراع الثنائيات

■ **خاضت الثقافة العربية صراع ما يسمى بصراع الثنائيات، يعني أنا والآخر، الشرق والغرب، القصيدة الموزونة والقصيدة المقفاة، القديم والجديد، ونحو ذلك، هل تعتقد أن صراع الثنائيات يفرز ظاهرة ثقافية إيجابية في تقديرك؟**

- في حالة الوعي بهذا الصراع، وإدارك صحيح لنتائجه، فيمكن أن يقدم خدمة للإبداع وللحياة العربية، وفي حالة سوء النية، فلن يأتي إلا بالكوارث.

■ **ماذا تقصد بسوء النية أثناء الخوض في صراع الثنائيات؟**
- دعنا نظل في حقل الإبداع مثلاً؛ الصراع الدائر حول القديم والجديد، هو لا بد أن يتم -لا أقول صراع أوسجال- أن تتم سجالات حول هذا بين القديم، وهذا كان موجوداً في القرن الثاني، حيث بدأ صراع شديد حول الجديد والقديم، القدماء والمحدثون، هذا في القرن الثاني الهجري، إلا أنه حدث تغير.

■ **لكنها لا تكون هي القضية الرئيسية، أي تكون ضمن السجالات الثقافية؟**
- وتكون أيضاً هكذا تجاذبًا، سجالاً للوصول إلى شيء جديد، قديم وجديد، نخرج إلى شيء جديد سيكون هو أيضاً قديماً وهكذا.

لماذا أنا لست حزينًا؟

■ **كثير من أدب عبد العزيز المقالح هو أدب مكتسٍ بمسحة حزن، سُئلت لماذا أنت حزين؟ فقلت «يجب أن يعاد السؤال ويصاغ من جديد ليكون: لماذا لست حزيناً، كل ما حولنا يراكم الأحزان». هل تعتقد دكتور عبد العزيز أن الحزن دافع للإبداع؟**
- قد يكون أحياناً، يكون كما يكون الفرح الحقيقي دافعاً، يكون الحزن العميق أيضاً، وللأسف فإن واقعنا الحالي... ربما عندما كتبت هذا الكلام من 35 سنة ربما أو أكثر.

■ **هذا في حوار من سنوات قليلة.**
- أذكر أني كتبت شيئًا كهذا بالسبعينات، كانت الأوضاع من وجهة نظري أفضل منها الآن، فدواعي الحزن الآن أكثر بكثير، ما يحدث لا يكاد يصدق،

تفتح التلفاز فترى فعلاً كأنه سيرش عليك دماً، ما يحدث في العراق، ما يحدث في الصومال، ما يحدث في السودان، ما حدث ويمكن أن يحدث في لبنان -لا سمح الله- وفي كل الأقطار العربية، كلنا في هذا، ألا يحزن هذا؟ أليس مدعاة للحزن؟ أنا في رأيي أنه.. الحزن الإيجابي، أنا أتحدث عن حزن إيجابي.

■ **أنا وددت أن أسألك عن هذا، هذا الحزن ألا يشكل نفسية متشائمة قد تعيق عمل المبدع أو المثقف العربي وتفاعله مع أحداثه؟**

- لا بد، لا بد أن نحزن، أن نتألم، أظن أن هناك تعبيراً للشاعر الراحل صلاح عبد الصبور ربما تذكره، هو شاعر، «أنا شاعر متألم لست حزيناً»، متألم مما يحدث ومما يجري، ولكن هذا الحزن الإيجابي، الحزن الذي يدفع إلى العمل، إلى التغيير، إلى أن نقول كفى كفى هذه الصراعات، كفى كفى يا صانعي الأحزان كفانا.

■ **ألسنا نحن من يصنع الأحزان يا دكتور عبد العزيز أنا وأنت؟**

- والله لسنا -في رأيي- لسنا نحن، نحن نعتصر حزناً لما يصنعه الآخرون، هناك قوى خارجية، بالتأكيد ليست شماعة، هي قوى موجودة وقوى داخلية، وأحمّل هذه القوى الداخلية أكثر مما أحمل القوى الخارجية مسؤولية ما نحن فيه، مسؤولية صناعة الأحزان وصناعة الدم الذي يحدث، والمسؤولية مسؤولية الجميع، أنا معك أنه نحن مسؤولون جميعاً، لكن نحن لا نصنع هذا الذي يحدث، من صنع مأساة العراق؟ هذه المأساة، هذا الدم اليومي، من صنعه؟ من يصنعه في أماكن أخرى؟

■ **من المحزن أن أتوقف عند المآسي، وأشكرك د. عبد العزيز المقالح على هذا الوقت.**

محمد الشرفي

شاعر وكاتب مسرحي يمني

2007-10-5

كان سؤالنا الأول للشاعر اليمني محمد الشرفي، الذي التقيناه في صنعاء، عن موضوعة الثورة في شعره، فهو الملقب بـ «شاعر الثورة اليمنية»، بل إنه وقبل ميلاد الثورة بعام واحد، أي في العام 1961، كانت أحلام الشرفي بالثورة تراوده باستمرار، وكتب في ذلك الحين قصيدته «مع الثورة»، وهي من أهم قصائده المثيرة للدهشة. فهل ما يزال الحالم بالثورة، والمدافع عنها، عند المواقف نفسها بعد مضي نصف ما يقارب النصف قرن على قيامها؟ وهل حققت الثورات طموحات من قاموا بها، واستجابت لتطلعات من أيدوها؟

للشاعر محمد الشرفي مواقفه التي ما يزال يدافع عنها في مسألة الثورة، وهو، فضلاً عن ذلك، من أوائل المذيعين في إذاعة صنعاء قبل الثورة وبعدها، ويعتبر المؤسس الأول للبرامج الشعبية فيها، والتي حملت مضمونا مؤيدًا للثورة بالطبع، حيث قدم برنامجاً في الأسابيع الأولى من الثورة اليمنية بعنوان «هكذا كنا»، وظل يعمل بالإذاعة إلى العام 1995. وبعد عام من قيام ثورة 26 سبتمبر 1962، ظلت الوحدة الكبرى شغله الشاغل، وكتب في ذلك قصائد عديدة. كما أن له 16 ديوانًا مطبوعاً، منها «دموع الشراشف»، «منها وإليها»، من أجلها»، «العصافير لا تطير»، بالإضافة إلى مسرحياته الشعرية والنثرية. وقد صدرت للشاعر عدة دراسات، منها دبلوم ورسالة ماجستير عن معهد البحوث والدراسات العربية، ورسالة دكتوراه مقدمة لجامعة سدني في استراليا عن مسرحه الشعري والنثري. وترجم بعض شعره ومسرحياته إلى اللغات الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الروسية، البولندية، والتشيكية، وغيرها.

ولد محمد الشرفي -نسبة لمنطقة الشرف الأسفل من مناطق حجة في الشمال من اليمن- في مدينة الشاهل، قضاء المحابشة التابع لمحافظة حجة، في العام 1940. أكمل المنهج الدراسي في المدرسة العلمية بصنعاء عام 1960، وبعد فترة عمله الممتدة في الإذاعة اليمنية، عمل في السلك الدبلوماسي، وتنقل بين عدد من سفارات اليمن في دول عربية عديدة. وكان لنا وقفة معه حول هذه «النقلة»، فروى لنا قصة مواقفه ضد الأوضاع التي جاءت بعد الثورة، والتي أدت إلى سجنه بضعة أشهر، ومن ثم «إبعاده» بتسكينه في وظيفة دبلوماسي.

ولم يثنه تنقله بين سفارات بلاده عن مواصلة الكتابة الشعرية والإذاعية، ومن بين الموضوعات التي شغلت ضيفنا محمد الشرفي، قضية حقوق المرأة، والتي جر عليه الحديث عنها الكثير من المتاعب والمصاعب، خصوصًا ما يتعلق بأطروحاته حول الحجاب، ووصلت المضايقات ضده بسبب إحدى القصائد إلى حد المطالبة برميه من شاهق، أو قطع يده ورجله من خلاف، أو نفيه من الأرض. ولكنه مع ذلك يعرب أنه راض عما وصلت إليه المرأة اليمنية من مراكز جيدة، بفضل الجهود التي قام بها هو وغيره.

تحدث الشرفي أيضًا في هذا اللقاء عن موقفه من الشعر العامي، وحكى قصته مع شاعر العامية اللبناني «شربل بعيني»، كما تحدث عن قضايا الحرب على الفساد، وكان عضواً في جمعية تحمل هذا الاسم، لكن هذه الجمعية لم يقدر لها الاستمرار، ويفسر الشاعر في هذا الحديث لماذا لم تستمر، كما يشرح قصة القصيدة التي أرسل بها كي تغنيها أم كلثوم، وبدأ تلحينها بالفعل، لكن لم يقدر لها أن تخرج إلى النور. بين قضايا الشعر والسياسة والمرأة والدين. كان لضيفنا محمد الشرفي مواقف وإسهامات ومعارك، وقبل كل ذلك إيمانه بمسيرة ثورة ثار هو عليها أحيانًا، لكنه لم يخرج أبداً من عباءتها.

ماذا قدمت الثورات للعالم العربي؟

تركي الدخيل: يُطلق عليك البعض شاعر الثورة، وظلت الثورة ـ كما يقال ـ هاجساً لمحمد الشرفي حتى قبل ثورة 26 سبتمبر/ أيلول، أيضاً من ضمن ما يقال إنك كما لو كنت تنبأت بثورة 26 سبتمبر بقصيدتك مع الثورة، التي قلت فيها:

يا ثورة الأحرار هبّي فما   للحر بعد اليوم من مضجع
وامحي ظلام الشعب دكي الدجى   لا تبقي من دنياه إلا النعي

الدكتور عبد العزيز المقالح أيضاً قال إن محمد الشرفي كان على موعد مع الثورة، فقد ولدا معاً، وأعطته الثورة كل شيء حين منحته حقيقة الشعر، وأعطاها هو كل شيء حين غنى انتصارها وانكسارها وصمودها العظيم. سؤالي هو هل تعتقد أن الثورات في العالم العربي الآن ـ وقد اكتسى شعركم شيباً ـ قدمت للمواطن العربي تعددية وتنمية كما كنتم تبشرون بها في شعركم؟

محمد الشرفي: الثورة معناها فن التغيير، وهي في البداية محاولة للتغيير إلى الأفضل، طموحات الثوار أو الأحرار كانت كثيرة، أو تبدأ طموحة وواسعة، ولكن ماذا يتحقق على الأرض أو في الواقع؟ يتحقق تقريباً ما يستطيعون أن يصلوا إليه، لأن الثورة إذا تحركت أو ثارت يدخل فيها جميع الناس، بعضهم من لا يؤمن بأهدافها، وبعضهم يتلصص عليها، وبعضهم يسرقها، ولذا تبدأ المشاكل والمتاعب للثورة والثوار بعدما تتفجر وتقوم، بعضهم يقضم منها شيئاً، وبعضهم يقضم منها جزءاً آخر، ولذا تلاقي مشاكل كثيرة بعد قيامها، وهذا ما حدث بالنسبة لثورتنا.

■ **أنا لا أتكلم بالذات عن ثورة 26 سبتمبر، أتكلم عن كل الثورات، هل قدمت الثورات الطموحات التي كان المبشرون بالثورة يتحدثون عنها؟**

- ولكن فضلها أنها فتحت الأبواب للتغيير، وعلى الناس أن يفكروا كيف يغيرون، وليس على الثائر أو المريد للتغيير أن يتحمّل المسؤولية فيما صح وفيما بطل، فيما هدفت إليه الثورة ولم يتحقق منها.

■ **هل تؤمن بالثورة لأجل الثورة، بعيداً عن تحقيق الأهداف؟**

- لا أبدًا، ولذا ظللت أكتب شعراً، وأكتب مسرحاً، من أجل تحقيق الأهداف التي آمنت بها، وآمن بها معي زملائي أو إخواني الثوار والأحرار.

■ **وما زلت حتى الآن مؤمناً بالثورات؟**

- وما زالت أمامي هذه المبادئ وهذه الأهداف، وأكتب عنها دائماً، لأنه لا مناص للذي قدم -في أيامها الأولى- حياته، أو غامر في أن يشارك بشيء في سبيلها، لا يمكن أن يتراجع.

■ **حتى لو لم تتحقق كما تريد وكما يريدون هم؟**

- الأهداف تكون كبيرة، وتكون طموحة، ولكن كما يقال، ما في حيلة، لأن الذي يدخل عليها أشياء لم تكن في حسبان أحد ولذا تتعثر، ولذلك نجد أن ثورتنا، أو الثورات الكثيرة إلى الآن، لم يرَ فيها الكثير من المشاركين، أو كثير من الطامحين، أنها وصلت إلى الأهداف التي يطمحون إليها.

■ **لكن كل الثورات العربية لم تقدم تعددية، جاءت بإمضاء رأي واحد، وكانت في بداياتها ـ في معظمها ـ قمعية، لم تأتِ التعددية إلا في تجارب تلت هذه الثورات، هل تعتقد أن هذا المعنى كان معنى إيجابياً؟**

- لا يلغي ذلك طموح الناس إلى التغيير، إذا لم يتحقق شيء فإنما بفعل الناس، بفعل المصالح، بفعل اختلاف المطامح من هذه الثورة، لا أننا نرفض الثورة ونرفض التغيير لأنه لم يتحقق شيء من هذه الطموحات، ولكن نحاول، ولا مانع أن نحاول مرة وثانية وثالثة، أو نناضل بوسائل أخرى، ليس بطريق السلاح أو بطريق الثورات التي عهدناها.

■ إذًا أنت ترى أن أفكار الثورة لا يجب أن لا تكون من خلال أعمال مسلحة؟

- أقصد إذا لم تحدد الثورة أهدافها، والمبادئ التي قامت من أجلها، لا يجوز أن نعاود هذه الشيء إلا إذا كانت الضرورة تدفع إلى ذلك، فلابد من استخدام أي سلاح، وأظن أننا وصلنا في هذا العصر إلى مرحلة معينة أؤمن بها، وهي مسألة أن تنفتح الشعوب على الديموقراطية والحرية وحرية القول، حتى تطالب بطرق مشروعة.

■ هل كانت الثورات تقدم هذا المعنى في البداية؟ كل الثورات العربية هل هناك ثورة عربية كانت تقدم الديموقراطية؟

- الثورة العربية جاءت بعد أن قامت الثورة، أو جاءت إرادة التغيير، أو صلُبت إرادة التغيير لتنفتح على العالم، أو تنفتح على شعوبها بهذه المطالب، التي هي المطالب الشعبية وهي حرية التعبير.

هل الشعوب قادرة على التغيير؟

■ **بمناسبة الحديث عن الشعب، كان لمحمد الشرفي قصيدة بعنوان «أنا الشعب» تقول فيها:**

أنا الشعب زمجرة من رعود وأنشودة في شفاه الخلودِ
إذا احترمت ثورتي فالطغاة بقايا رماد على كل بيـديَ

الشعوب التي لم يحصل لها قدر كاف من التعليم، لم يحصل لها قدر كاف من التنمية، هل هي قادرة على التغيير في تقديرك؟ الشعوب المنزوعة الإرادة بضعف التعليم، بضعف التنمية، هذه شعوب قادرة في تقديرك على التغيير؟

- من خلال ثورتنا في اليمن، أو من خلال الثورات التي نسمع عنها، وأستطيع أن أتحدث عن الثورة في اليمن، إنما جاءت الثورة في عام 1962 بعد معاناة شديدة، ظلت حوالي 70 عاما أو أكثر أو 100 عام، جاءت بعد معاناة شديدة مع الحكم الماضي، الحكم الإمامي، الذي لم يستطع أن يستوعب العصر، ولم يستطع أن يتجاوب مع المطالبة الشعبية بالتغيير.

■ **أنا أتحدث تحديداً عن الشعوب، الشعوب التي ليس لديها قدرة من التنمية والتعليم، هل هي قادرة على التغيير في تقديرك؟**

- لكن هناك طلائع، ورجال تنويريون يبدأون.

■ **كأنك تجيب بأنها – الشعوب _ لا تستطيع، فقط، الطلائع تستطيع.**

- وهذه هي البداية، الطلائع، مثلاً في عام 1934 بدأت طلائع من الرجال

التنويريين، الذين حصلوا على شيء من التعليم والاتصال بالخارج ومفاهيم التغيير في العالم، هنا بدأوا يطالبون النظام الموجود آنذاك بالتغيير، وحاولوا بقدر الإمكان، هل تتصور أنهم بدأوا بالمنشورات، يطالبون النظام السابق بالتغيير.

■ **ولكن أليس من حق الشعب الذي تتحدث عنه، وتطالب بالتغيير من أجله، أن يحصل على القدر الكافي من التعليم، على القدر الكافي من التنمية؟ لماذا نختص فقط هذه الطلائع أو هذه النخب؟**

- الأصل أن ذلك النظام كان لا يريد أن يفتح أي مدرسة، ولا أي مستشفى، ولا أن يشق أي طريق، أصمّ أذنيه عن هذه المطالب المبدئية الأولى التي لا يختلف عليها اثنان، كانت بعض مدارسنا تحت الأشجار، كان المنهج لا يوجد لدينا، هذا قبل الثورة بسنوات؛ ثم جاءت هذه الطلائع لتطالب بأبسط الأمور، واستمرت هذه المطالبة إلى سنوات متأخرة كثيراً، لم يأتِ عام 1962 إلا بعد مرور ثلاث أو أربع محاولات قبلها، وهي مطالب بسيطة، لو كان النظام استجاب لهذه المطالب ما كانت ستحدث.

المرأة والحجاب والمشاكل

■ **الآن أوشكت الثورة على أن تبلغ نحواً من نصف قرن، ويبدو الحديث واضحاً فيما أشرت إليه، لكني أود أن أنتقل إلى نقطة أخرى؛ يُسمى محمد الشرفي، أو يُطلَق عليه شاعر المرأة، تناولت أدب المرأة وحقوق المرأة بالكثير من الطرح، وقد جرَّ عليك هذا التبني مواجهات كثيرة داخل المجتمع اليمني، حتى الآن خلال بضعة عقود منذ بدأت تطرح حقوق المرأة، ماذا تحقق من ذلك؟ وكيف تصف الصراع الذي حدث لك مع الذين لم يقتنعوا بأطروحاتك؟**

- لنبدأ القصة من أولها، اعتبرت أن الثورة هي تغيير، والتغيير معناه في كل شيء، والثورة جاءت من أجل الرجل والمرأة، وهذا كان الفارق الذي سبب إزعاجاً للآَخرين.

■ **من هم الآخرون الذين سبب لهم الفارق إزعاجاً؟**

- الذين ظنوا أن الثورة جاءت من أجل الرجل، ولذا طرحت أنا قضية المرأة، فأدهشهم أو أذهلهم أو قضّ مضاجعهم، أن يتحدث رجل عن المرأة التي كان من المحرمات الحديث عنها.

■ **أعتقد أنه أصبح من المباحات الحديث عن المرأة الآن؟**

- أعتقد ذلك، وقد تطورت المرأة.

■ **بعد أن جر عليك حديثك عنها الكثير من المتاعب والمصاعب؟**

- الكثير من المشاكل والمتاعب، خاصة من الذين لا يؤمنون بحق المرأة، ويؤمنون بسلطة الرجل الدائمة المطلقة على المرأة، هذه هي القضية، وبدأت

قضيتها بالتساؤل حول الحجاب، لماذا؟ لماذا هذا الحجاب الأسود الذي ترتديه المرأة؟ «من ذا الذي أخفاك في شرشفي»؟.

■ **كانت عندك أطروحة واضحة ضد الحجاب، ألا تعتقد أن هذه الأطروحة كانت تتناقض مع الدين الإسلامي الذي هو دين الشعب اليمني إجمالاً؟**

- أولاً كنت أتساءل لماذا هذا الحجاب، وهذا الشرشف الذي يغطي المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها، وهو لباس غير معهود في اليمن ولا معروف، وإنما جاء في زمن ما مع الأتراك.

■ **أنت تقف ضد الحجاب، وتنتقد الحجاب، ألا تعتقد أن هذه الأطروحة تتناقض مع أفكار الدين الإسلامي، الذي يدين به الشعب اليمني؟**

- أرى أن هذا الشرشف والحجاب جاء مع الأتراك في الغزو العثماني.

■ **ماذا تقصد بالحجاب؟ هل تقصد غطاء الوجه أم غطاء الشعر؟**

- هذا الذي يغطي المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها، وهو لباس معروف، أو شرشف معروف يأتي من قطعتين.

■ **قطعة توضع على الرأس، والأخرى؟**

- قطعة مثل (الدوينلا) هذا هو الشرشف الذي جاء مع الأتراك.

■ **لكن أنت ليس لديك مشكلة مع غطاء الشعر، أم أنك تتحفظ عليه أيضاً؟**

- لا أريد للمرأة أن تتقيد بشيء من القيود البالية، ويحاولون أن يجعلوها ديناً، وهو تقليد مستورد، ما دامت المرأة في بلادنا من الريف كله قبل الثورة وبعد الثورة بسنوات، كانت نساء الأرياف لا يحتجبن ولا يستخدمن الحجاب،

ولكن الآن عمّ اليمن بالكامل، وحسبوه شيئاً من الدين، وهذا جاء بسبب التطرف الديني.

■ **ومع ذلك الثورة لم تواجهه، هذه الثورة التي جاءت بالتغيير كما تقول، التي غيّرت العقول، لم تغير هذه الفكرة؟**

- الثورة ليست الرجال، أقصد الثورة ليست شيئاً هلامياً، إنما هي الناس،

يقولون الزمان به فساد   وهم فسدوا وما فسد الزمان

فالفعل هو للإنسان، فعل الأشياء، التغيير هو للإنسان وحده، وليس للثورة، الثورة عبارة عن مبادئ، عبارة عن طموح التغيير، عبارة عن مبادئ تغيير، وتحتاج إلى أناس ثوار يفهمون معنى الثورة ومعنى التغيير.

قصيدة كادت تودي إلى القذف من شاهق!

■ **موقفك من الحجاب جرّ عليك الكثير من الآراء من كثير من المشايخ، مشايخ الدين والمتدينين، وقفوا منك موقفاً عنيفاً، بل امتد هذا الأثر أحياناً إلى محيطك الاجتماعي، هل كنت مستعداً لكل ردة الفعل هذه؟**

- لقد أخلصت لهذه القضية، ولم أتوقف، ولم أخف، وتركتهم يفعلون ما يريدون.

■ **ماذا فعلوا بك؟**

- التهديدات كانت موجودة.

■ تهديدات شخصية؟

- نعم شخصية.

■ بماذا؟

- ذات مرة قدموا مطالبة بسبب قصيدة، قصيدة واحدة أثارتهم، وانتشرت هذه القصيدة انتشاراً واسعاً، وهي قصيدة كانت مثيرة في ذلك الوقت، ولكنني سلمت من أحكامهم وسلمت من أذاهم.

■ ما هي المطالبات التي قدموها ضدك؟

- إما أن يُرمى من شاهق، أو تقطع يده ورجله من خلاف، أو ينفى من فوق الأرض، أو يحبس حبساً مؤبداً.

■ أكيد كانت الأفكار التي طرحتها في القصيدة مثيرة جداً، ماذا كانت هذه الأفكار أستاذ محمد الشرفي؟

- العنوان اسمه «الله والحب»؛ أولاً انتقدوا العنوان «الله والحب»، فقيل لهم أو قال لهم الناس: الله محبة، الله شفقة، الله رحمة، ولكنهم صرخوا أو عارضوا لأنهم أحسوا أنفسهم أنهم المعنيون، وعندما قال لهم الطيبون: هو يقصد رجال الدين المتخلفين، الذين لا يؤمنون بالتغيير، الذين يقفون ضد العصر.

■ الأفكار التي تصفها أنت بأنها متطرفة ودخلت اليمن، وصلت إلى عقر دارك، وتأثر بها الكثير من المقربين منك، هناك من يقول بأن هذا دلالة على أن هذه الأفكار أفكار حقيقية أو أفكار جديرة بالتقدير، لدرجة أن أهل بيتك تأثروا بها، بينما لم تستطع أنت بأطروحتك أن تؤثر على أهل بيتك، أليس كذلك؟

- هذا قيل يومها، ولذا كانوا يستشهدون أن ابنتك... ابنتك لا توافقك على

هذا، أقول لهم إن ابنتي صغيرة، أو استطاعت الأفكار الغربية الجديدة أن تغيرها.

■ **كانت أفكار الثورة جديدة وهي صغيرة أيضاً!**

- نحن الذين كنا نمتلئ بهذه الأفكار، أفكار الثورة الجديدة، فهذا جاء غريباً، جاء في بداية السبعينات واستمر.

■ **تقصد الفكر المتدين؟**

- الفكر المتخلف، المتدين المتخلف.

التدين والتخلف

■ **هل تعتبر التدين تخلفاً؟**

- التدين بالطريقة الجديدة.

■ **وما هي هذه الطريقة؟**

- طريقة المتطرفين الذين لا يؤمنون بحق المرأة، وبحرية المرأة، وحرية الرجل، ويكبلون الحرية من بدايتها، ويعلمون الصغار وهم في المدرسة من البداية الأولى التي لا يستطيع بعدها أن يتربى.

■ **ألا تعتقد أن من الحرية أنك تقدر خيار ابنتك أو ابنك، حتى لو اختار أن يتدين بطريقته الخاصة؟**

- ليأتي هؤلاء -ابنتي أو ابني- في سن الشباب، سأقول اختر ما تريد، لكن

أن يأتي وهو في سن الخامسة والرابعة ويبدأ يُربى بهذه الطريقة، لا أستطيع أن أقاومهم وأنا في البيت، لأنهم ينتشرون في المدرسة وفي المساجد وفي كل مكان، ويبثون هذه الأفكار التي نعاني منها حتى الآن، أنا لا أمنع أخي أو ابنتي الكبرى أو ابني الكبير أن يتحجب أو يتشرشف، أو تتشرشف ابنتي، لا أمنعهم، لأنه قد ملك كامل خياراته، ولكن أن تأتي له في الصبا، في الصغر، لتحاوره عن الدين، لا بد أن يستسلم ويستجيب لهذا.

■ **هذه القصيدة التي أثارت كل هذا اللغط، وردة الفعل القاسية هذه، تبدو ـ القصيدة ـ عنيفة في أفكارها؟**

- هي ليست عنيفة.

■ **هل ممكن أن تقرأ لنا شيئاً منها؟**

«الله والحب»

أرفضكم يا سادتي الذين تدعون وتصرخون
باسم الدين والشريعة
أرفضكم لأن الحب لا يحيا
ولا يكون إلا وراء أسوار
وخلف جدران منيعة
أرفضكم لأن كل امرأة في خدرها المصون
ليست سوى كالشاة أو كالسلعة المبيعة
أرفضكم لأن دينكم مشوّه

وعلمكم مشوّه
وكل علمكم ودينكم ليس سوى للدس والخديعة
أرفضكم لأن الله لم يكذب وأنتم تكذبون
وأن بينكم وبينه مسافة
وأنه يكرهكم من حيث لا تدرون
وأنه يود لو لم ينزل الآيات في التأجيل
ويبدأ الحساب والعقاب والتنكيل
لأنكم لم تفهموا شيئاً من القرآن والتنزيل
وأنكم أغبى عبيده تمثلونه أسوأ ما يكون أي تمثيل
أرفضكم يا سادة
لأنكم لا تحسنون حتى طرق العبادة
الصوم والصلاة عندكم فريضة
لكنها قابلة للنقص والزيادة
الله يستحي من فعلكم
لأنكم لستم عبيداً مثلما تهوى السماء
وأنكم يا سادتي أناس أغبياء
والله لا يحب المؤمنين الأغبياء
وأنكم مقلدون
لستم هنا للأرض فوق الأرض سادة
لا تحسنون غير أن تستسلموا أو تركعوا للقادة

وأقول في نهايتها:

يهزمكم يا سادتي طفل بعلمه

يقتلكم بسيفه الخشب
يقضي عليكم كلكم بحبه
يا من ترون أنكم لا تحسنون غير قلة الأدب
تحاربون الحب في الإنسان
وتمنعون روعة الإبداع في الإنسان
وتملؤون كل مسجد بآلاف الخطب
أرفض تحميل الدين ما لا يطاق

■ **هذه التي ثارت عليها كل هذه الثائرة، الإشارة إلى «أرفض دينكم»؛ هل لدى محمد الشرفي مشكلة مع الإسلام؟**

- لا يوجد، أنا أولاً بيئتي بيئة علم، ودرست في المدرسة العلمية ومنهاجها منهاج الأزهر الشريف، ووالدي كان قاضياً حاكماً، قاضيًا شرعيًا، وأنا أيضاً توليت أحياناً القضاء كوكيل لوالدي.

■ **هل كان القضاء عندكم بالوراثة؟**

- أنا من بيئة دينية بحتة.

■ **ألم تكن عندك مشكلة مع تنفيذ البعض لآليات التطبيق؟**

- آليات أو تحميل الدين ما لا يطاق أو ما ليس فيه، وهذا الذي واجهته وظللت أواجهه حتى اليوم.

■ **هذه الأفكار التي تطرحها، وهي أفكار واجهها الكثير من المتدينين بالرفض، هل كان والدكم عنده تحفظ عليها؟**

- ليس له تحفظ، أو لم يواجهني مواجهة واضحة وصريحة، ولكن أحياناً يقول

لهم عندما يشكون له، وأنا أكتب الديوان تلو الديوان عن المرأة، فيقول لهم اذهبوا إليه وانصحوه هذا رأيه.

■ **لكنه لم يحدثك أنت مثلاً.**

- لم يحدثني، أو لم يقل لي ابتعد عن هذا المجال ولا ينفعك، أو أن هذا ليس من الدين.

الدبلوماسية وقصيدة أم كلثوم

■ **هل ما زلت مؤمناً بذات الأفكار؟ واخترت العمل الدبلوماسي قبل التقاعد حتى تبتعد عن ردود الفعل العنيفة هذه؟**

- لم أختر العمل الدبلوماسي، ولكنني ذهبت مرغماً إليه.

■ **من أرغمك عليه؟**

- لقد تظاهرنا ضد الأوضاع التي جاءت بعد الثورة، تظاهرنا وعقدنا مؤتمرات، فاختيرت منا مجموعة سجنت لمدة أشهر، ثم اختيرت للذهاب إلى الخارج.

■ **أنت كنت من ضمنهم؟**

- كنت واحداً منهم.

■ **كم سجنت؟**

- سجنت مرتين، مرة شهرين ومرة ثلاثة أشهر.

■ **كان العمل الدبلوماسي شكلاً من أشكال الإبعاد؟**

- الإبعاد تقريباً.

■ **كتبت قصيدة لتغنيها المطربة العربية المصرية الشهيرة أم كلثوم، وكانت بعنوان «قل ما تشاء»، وأرسلتها لرياض السنباطي وأحمد رامي من خلال السفارة اليمنية في مصر، لكن أم كلثوم لم تغنِّ هذه القصيدة، لماذا لم تغنّها؟**

- كان بدأ التلحين، ولكنها سافرت للعلاج في لندن، ثم ماتت فيما بعد.

■ **هل تعتقد أن الشاعر يجب أن يطرق أبواب المطربين، يقدم لهم قصائده مثلما فعلت؟**

- هي ليست عادة، ولكن في تلك الفترة، كان الشعراء في البلاد العربية يرسلون إليها، أو إلى أحمد رامي، وهو المختص باستقبال القصائد والموافقة عليها.

■ **كل شاعر كان يتطلع إلى أن تغني له أم كلثوم؟**

- لأنها بدأت على هذا الأساس، برنامجها كان أن تغني لكل قطر عربي، فبعد قصيدة الشاعر السوداني أغداً ألقاك والشاعر اسمه آدم، أرسلتُ قصيدتي إلى السنباطي، ثم إلى أحمد رامي وبدأ التلحين ولكن للأسف.

■ **اختطفها الموت قبل أن تغني لك.**

- نعم، ونشرتها الصحف في القاهرة في وقتها.

الرجل أقوى دفاعاً عن المرأة

■ **هل تعتقد أن دعوتك وتبنيك لقضايا المرأة وجدا أثراً تنتظره؟**

- نعم، وأنا مرتاح كثيراً جداً، إذ أسمع من كثير من الفتيات وقد أصبحن في مراكز جيدة: «هذا بفضلك» أو «أنت الذي بدأت»، هكذا يقولون لي: «هكذا أنت بدأت ولك الفضل»، الآن تجد عشرات من الشاعرات والكاتبات والموجودات على كراسي الوزارات والبنوك وغيرها.

■ **تأثرنَ بدعوتك إذاً؟**

- هكذا يقلن ويعتبرنني، أنا لا أدعي أن هذا كله بسبب محمد الشرفي، أو بسبب دعوته، أو بسبب أشعاره، ولكن الزمن كان معي والعصر كان معي ليساعد المرأة على الوصول إلى بعض ما تريد، أو ما أريد أنا بها.

■ **الأديبة العربية الشهيرة غادة سمان تقول بأنك أحد أهم الشخصيات العربية التي دافعت عن حقوق المرأة، بأفضل مما تفعله النساء من خلال رؤيتك المتكاملة بين المرأة والرجل، هل تعتقد أن الرجال في العالم العربي يدافعون عن حقوق المرأة أكثر من النساء؟**

- أولاً كثّر الله خيرها، لأني لم أقرأ هذا الرأي للأديبة غادة السمان، أنا أعتبر الرجل ما زال إلى الآن مصراً على الإمساك بسلطته التاريخية، ويظن أنها حق.

■ **تقصد سطوته الذكورية؟**

- سلطته الذكورية طبعاً، ولذلك فهو بخيل بما يعطي للمرأة من حقوق، لأنه أيضاً قد فوض نفسه أن يكتب حقوقها، أو يكتب الدساتير عن المرأة، أو أي شيء يتعلق بها.

■ **أي أنه لا يستشير المرأة حتى في الدفاع عن حقوقها؟**

- أنا أطالب، ومن سنوات طويلة، ما دامت المرأة قد وصلت إلى هذه المرحلة، أن تقوم بنفسها لتناضل عن حقوقها حتى تستعيدها كاملة.

■ **إذًا أنت توقفت عن الدفاع عن المرأة مقابل أن تستلم هي الراية؟**

- لم أتوقف ولن أتوقف، ولذلك فهي حاضرة عندي كثيراً، وعندي مجموعة أيضاً من القصائد خاصة بالمرأة، ولأني كنت قد تطرقت في قصائدي وفي دواويني إلى كثير من قضاياها، فأجد نفسي بعد أن أمسكت بشيء من الواقع، أو فهمت ما هو دورها، فأنا أطالبها دائماً، سواء كان عبر الإذاعة أو التلفزيون أو عبر الوسائل الإعلامية الأخرى، أن تأخذ حقها بيدها، وتناضل ولا تركن مهما وصل الرجل في الدفاع عنها.

■ **هل في ذرية محمد الشرفي من تبنى أفكاره، لاسيما فيما يتعلق بحقوق المرأة؟**

- أسرتي للأسف الشديد، درسوا دراسات غير أدبية مع تطورات العصر، أحد أبنائي يعمل في النفط، وآخر في الكهرباء.

■ **لكن ما موقفهم من قضايا المرأة، سواء أبناؤك أو بناتك؟**

- بالنسبة لأولادي الذكور فهم مع المرأة دائماً وعلى طول الخط ومعي أيضاً في قضيتي.

■ **ماذا عن بناتك؟**

- بناتي كذلك.

■ **أيضاً يؤيدن؟**

- يؤيدن الآن، يؤيدن قضية المرأة، ولكن تلك الفترة مرت بدون رضى الجميع.

الأحزاب تضطهد المرأة

■ **في فترة من الفترات كان هناك من يختلف معك، هل الآن كلكم متفقون؟**

- لأن ما يسمى بالصحوة الدينية انزاحت قليلاً، وفي هذا العهد المجيد، استطاعت المرأة أن تتحدث وتتكلم بصراحة، خاصة في الفترة الأخيرة، أيام الانتخابات الرئاسية والمحلية، تحدثت المرأة بكل شجاعة وبتشجيع من الدولة، تحدثت عن كل العراقيل التي يضعها الرجل أمامها، وخاصة في بعض الأحزاب الموجودة على الساحة، شكون كثيراً من أنهن كن محاربات من كثير من أعضاء الأحزاب.

■ **ما هي هذه الأحزاب؟ طالما هي أحزاب وموجودة إذًا فلا توجد أسرار، أي الأحزاب تقصد؟**

- الموجودة هنا، مثل الاشتراكي الناصري.

■ **هل كلهم يقفون مواقف سلبية ضد المرأة؟**

- أقصد في برامجهم، لا يتركون للمرأة حرية القول والمنافسة الشريفة بالنسبة لتسلم المناصب القيادية في الأحزاب نفسها.

■ **بعض هؤلاء يقول بأن الأهلية ليست مرتبطة بالذكر والأنثى، إنما نجعل الأولوية للأكثر تأهيلاً، فهل أنت ترى أن المرأة يجب أن تعطى الرأي حتى لو كانت أقل تأهيلاً؟**

- عندما تقرأ برامج وأدبيات هذه الأحزاب، تجد أن قضية المرأة من أساسيات هذه الأدبيات أو من جوهرها، ولكن عند الممارسة لا يفعلون شيئاً.

الموقف من الشعر العامي

■ **لك موقف من شعر العامية، بعثت رسالة خاصة ـ تم نشرها ـ إلى الشاعر اللبناني «شربل بعيني» اعتبرت فيها أن شعره العامي أجمل من الفصيح، لكنك قلت له: «أنا لا أشجعك أن تعتبر الشعر العامي بديلاً للغة العربية الفصحى، فأنت عربي، ولم تكن كسعيد عقل أو على مذهبه، ولا تصدق من يشجعك، المنطقة واحدة تراثاً وتاريخياً ولغة وجغرافيا وأحلاماً وآلاماً ومسافات عبر التاريخ الطويل الماضي والمستقبل التاريخي القادم»، هل أنت ضد الشعر العامي؟**

- الشاعر شربل بعيني، (الله يجعله بخير)، فقد انقطعت المراسلة بيننا طويلاً، ولذا أحيِّيه عبر هذا البرنامج إلى أستراليا إن بقي في استراليا، وقد قلت له إن لديه شعراً عامياً جميلاً يكتبه، ولديه شعر فصيح ولكنه أضعف، فقلت له إن الفصيح هو الباقي وهو الأصل، وأريد أن أزحزحه عن الرأي الذي يقول بأفضلية العامية.

■ **مع أنك قلت له إن شعره العامي أفضل من الفصيح؟**

- نعم نعم، شعره بالعامية أفضل، ولكن لا غنى له عن الفصيح.

■ أنت لا تريد مثلاً أن تقول إن الشاعرية هي في المقدمة؟

- لا، لا، أعني الدعوة إلى العامية اللبنانية كمذهب.

■ ألا يعجبك شيء من شعر سعيد عقل؟

- تعجبني دواوينه الأولى، ولكني لست معه في توجهه ودعوته إلى العامية، أو إلى مذهبه أو إيديولوجيته التي زحفت به إلى إسرائيل، وظل يعيش فيها إلى الآن.

■ لكن هو موجود ـ سعيد عقل ـ الآن في لبنان.

- آخر ما أعلم أنه كان في إسرائيل لمدة طويلة.

الشعر العامي لن يقضي على الفصيح

■ سننتقل إلى قضية أخرى، هل تعتقد أن شعر العامية أيضاً في الجزيرة العربية، يقف ضد شعور الأمة، وأنه يجب أن لا يتعزز؟

- الشعر العامي هو أحد الآداب، أو أحد فنون الشعر الجميل الذي لا غنى عنه، وهو موجود لدينا في اليمن، وموجود في الجزيرة العربية وباللهجات المختلفة، ولدينا أيضاً الشعر الحميني، وهو شعر مسكّن الكلمات ولكنه شعر فصيح، وهو أحد الفنون الشعرية الجميلة التي لا غنى عنها، ولا أستطيع أن أقول إن الشعر العامي ربما يقضي على الشعر الفصيح، الشعر الفصيح موجود بتراثه الطويل وبشعرائه الكبار من امرئ القيس إلى الآن.

■ **إذاً لن تقضي العامية على الفصيح، لماذا إذاً ذهبت مذهبك ذاك في رسالتك إلى شربل بعيني؟**
- أنا قلت إنه لن يستغني، إن شعره العامي جميل وفعلاً شعره العامي جميل.

■ **ليست لديك مشكلة مع الشعر العامي؟**
- ليس لدي مشكلة، لأن الشعر شعور وروح.

■ **سواء كان بالفصيح أو بالعامي؟**
- المهم أن يكون هناك شعر، فإذا أجدت الشعر بالعامية فعليك به، فإذا لم تستطع أن تكون مُجيداً باللغة الفصحى فلا مانع.

■ **بمناسبة الحديث عن الشعر، إحدى شقيقاتك متأثرة بك شعرياً، مع أنها بدأت مسيرتها الحياتية في العمل النسوي وحقوق المرأة، إلا أن الكثير من النقاد يعتقد أنها متأثرة بمدرسة محمد الشرفي الشعرية، هل هذا صحيح؟**
- ربما متأثرة، ولكن لا أذكر أنني سلطت عليها موهبتي أو إنتاجي أو ألزمتها بقراءة شعري، ولكنها متأثرة بالجو الأسري العام، وبجو المجتمع، وهي دائماً متمردة في شعرها، وكذلك في أسلوبها في الحياة.

■ **انحسار الشعر في العالم العربي لصالح الرواية، هل تعتقد أن هذه الظاهرة سلبية أم إيجابية؟**
- سيبقى الشعر، الشعر هذا الجميل، هذه الروح الشاعرة الموجودة في الوطن العربي ستبقى هي، ولا أصدق أن الرواية أصبحت كما يقال ديوان العرب، سيبقى الشعر هو النبع الصافي الأصيل في حياة الأمة العربية أو العالم كله، ولن يخيب هذا، لأنه هو الفن النابع من القلب ومن الروح ومن الحياة، وهو

الشيء الذي يريد أن يقوله كل الناس، ولا يستطيعون أن يقولوه.

هل انتصرت الحرب على الفساد؟

■ أنت عضو في جمعية محاربة الفساد، أنا أسمع الجميع في اليمن يتحدث عن محاربة الفساد، لم أسمع لساناً إلا ويلهج بهذه الدعوة، ومع ذلك هناك حديث من قبل اليمنيين عن وجود للفساد، إذا كان الجميع يحارب الفساد ويدعو إلى محاربة الفساد، فلماذا يبقى الفساد منتشراً في تقديرك؟

- هذه معلومة قديمة لديكم، حاولنا قبل عشر سنواتٍ إنشاء جمعية صغيرة لمحاربة الفساد، ولكنها ماتت لأن الجو لم يكن مهيأ، والآن أصبحت الدولة وأصبح الرئيس نفسه يطالب ويشجع محاربة الفساد، وقد شُكلت لجنة أو ستشكل لجنة ستعلن فيما بعد، لتوخي الفساد في أي مكان ومحاربته.

■ لكن إذا كان الجميع يتحدث عن مكافحة الفساد ومحاربة الفساد، فلماذا لم يتم القضاء عليه؟

- كان هنالك شعور بوجود خلل في المجتمع، وأن هنالك فساداً، ولذلك انتظمنا مع مجموعة من الأشخاص في هذه الجمعية.

■ لماذا لم تستمر تلك الجمعية، هل لأن المجتمع لم يتقبلها؟

- لأن المجتمع لم يكن مهيأ، ولأنها من البداية حوربت بصراحة.

■ من حاربها؟

- بعض الذين لايريدون محاربة الفساد.

■ وهل ما زال هؤلاء موجودين؟

- أظن أن المجتمع قد تغيّر كثيراً من عشرين سنة للآن، ربما عشر سنوات أو أكثر منذ عشر سنوات بدأت هذه الدعوة فلم تستمر.

فهرس الأعلام

أ

ب

ت

فهرس الأماكن

أ

ب

ت

و

ي

فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

س

ش

ص

ط

ع

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

ي


السيد علي الأمين
الأحزاب الدينية

السيد علي الأمين
ولاية الدولة
ودولة الفقيه

المرأة
والولاية العامة
بين الفقه الإسلامي والقوانين العربية

حكاية اسمها
غازي القصيبي
أعدها:
كمال عبد القادر

تشيع العوام
وتشيع الخواص
السيد أحمد القبانجي

صورة أوروبا
في
الأدب العربي الحديث
من طه حسين الى الطيب صالح
د. كمال عبد الملك

كنا في إسرائيل
رحلات مصرية
منذ 1956 وحتى 2009

أمريكا
في مرآة عربية
صورة أمريكا في أدب الرحلات العربي
1668 - 1995
الجزء الأول

أمريكا
في مرآة عربية
صورة أمريكا في أدب الرحلات العربي
ما بعد 11 سبتمبر 2001
الجزء الثاني


تركي الدخيل
الدنيا... امرأة!


سلمان العودة
من السجن إلى التنوير
تركي الدخيل


تركي الدخيل
إنما نحن... جوقة العميان


الدكتور أحمد اللويمي
المجتمع
الأحسائي المعاصر
قراءة في طباعه وأفكاره


نازح من جازان
مفاجآت التمرد الحوثي
على الحدود السعودية
هادي فقيهي


تغطية العالم!
بدعة الإلزام بتغطية الوجه
أحمد السيد عطيف


خَارِجُ الطَّائِفَةِ
د. علي أحمد الديري


بيكاسو
وستاربكس
ياسر حارب
STARBUCKS
COFFEE


عبدالله المغلوث
كخه
يا
بابا


رشيد الخيّون
عمائم سُود
بـ
القصر السّعودي
انطباعات شخصية عن نجد والحجاز


تَلخيص البيَانِ
في ذِكرِ
فِرقِ أهْلِ الأديانِ


رشيد الخيّون
بَعد إذنِ الفَقيه
الحرام والحلال في أمر النساء
والطفولة والكتابة والطعام


رشيد الخيّون
لا إسلام بِلا مَذاهِب
و
طُروس أُخر من التراث


رشيد الخيّون
ضد الطّائفيَة
العراق... جدل ما بعد نيسان 2003


رشيد الخيّون
رسالة
في العلمانية والخلافة


رشيد الخيّون
جَدَلُ التّنزيلِ
مع كتاب
خلق القُرآنِ للجَاحظ


رشيد الخيّون
مُعتَزِلَة
البَصرَة وبَغْدَاد


الحب والفراق
إنّه محمد عبده يماني


أعمدة الضحك السبعة
علي سالم


التطرف وثقافة السلام
علي سالم


الضحك في عز النكد
علي سالم
إذا كنت مسافراً خذني معك


علي سالم
بكالوريوس في حكم
الشعوب


اعترافات زوج
علي سالم


دلال...
رحلة ألم وأمل وفراق

جوهرة في يد فحَام!

بعد 73 عاماً يعود الإعلامي تركي الدخيل في كتابه جوهرة في يدِ فحام ...يرسم «غورنيكا يمنية» بسرد مشاهد مختلفة في مقدمة كتابه الطويلة نوعاً ما، تاركاً لخيال القارئ حرية ترتيب هذه المشاهد لرسم اليمن السعيد البائس العصي على «رياح الثورات العلمية والصناعية».

(mbc.net)

الكتاب في مجمله صورة تستجلي الكثير من أغوار التحولات المختلفة التي شهدها اليمن.

محمد المرزوقي (جريدة الرياض)

يمكن تلخيص كتاب «جوهرة في يد فحَام» بأنه «خاض في كل خصوصية يمنية».

ياسر باعامر (الوطن) السعودية

«أسئلة وقضايا كثيرة يفجرها كتاب «جوهرة في يد فحام» ويناقش جدليات: الثقافة والسلطة والدين والمرأة وحقوق الإنسان».

مي ابو زيد (روز اليوسف) المصرية

يمضي الدخيل ليفسر أثر هذا التجني على اليمن منعكساً في الفن اليمني الساحر».

(الاشتراكي/ نت)

«قدم الكتاب لكل حوار بمقدمات خفيفة تحوي أهم النقاط التي تناولها المؤلف مع ضيوفه، مما يسهل هضم الكتاب الذي كانت مقدمته الضافية لوحة بانورامية عن عجائب اليمن السعيد.

أحمد النويهي

«في صفحات قصيرة وسريعة يتنقل تركي الدخيل ليرسم أبرز تقاطيع وتقاطعات الوجه اليمني.

تركي لا يعنيه كثيراً أن يقبض على أطراف السرد التاريخي المنهجي، ولا يعنيه كثيراً أو قليلا أن يصب لغة كتابه في إطار من المفاهيمية المتبعة في كتب التأريخ... إنه يمضي على سجيته... ويستشرف بعض الأسئلة الحية والدارجة أحياناً أخرى لتقديم صورة عن حالة اليمن اليوم.

عبدالله السمطي (إيلاف)

ISBN 978-614-411-030-X
9 786144 110300

Madarek مدارك
Creating, Publishing, Translating & Arabizing إبداع، نشر، ترجمة وتعريب